٢

سلسلة المدن الفلسطينية

اللِّدّ

في عهدَيّ الانتدابِ والاحتلال



إسبير منيّر

مؤسّسة الدراسات الفلسطينيّة

مُقَـدّمَـة

أقدم إليك، أيها القارىء الكريـم، كتابي هذا، أحدثك فيه عن تاريخ مدينتي الحبيبة اللد، منذ بدء الحرب العالمية الأولى التي كان من نتائجها انهيار الجيوش العثمانية وانسحابها من جميع أنحاء فلسطين، ثم ابتداء فترة الانتداب البريطاني على فلسطين. من أهم الحوادث التي مرّت على اللد في هذه الفترة البغيضة كان الزلزال المخيف، بتاريخ ١١/٧/١٩٢٧م، الذي ضرب فلسطين بشدة، وخصوصاً منطقة اللد، وكانت نتيجته كارثة ضربت المدينة، أدت إلى وقوع مئات القتلى والجرحى وإلى تهدُّم مئات البيوت. ثم اندلاع ثورة فلسطين الكبرى في الفترة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ وما حدث في اللد خلالها من نضال سكان المدينة وكفاحهم وحربهم ضد حكم الانتداب البغيض لحماية فلسطين عربية حرة. أحدثك عن بطولات ثوّارها في حربهم ضد القوات البريطانية التي قامت بتعذيب سكان المدينة، وهدم بعض بيوتهم، وتخريب بيوت كثيرة أُخرى، واستشهاد بعض شبابها واعتقال المئات منهم وزجهم في معتقلات غير إنسانية. ثم ابتداء الحرب العالمية الثانية بين بريطانيا وحلفائها ضد ألمانيا وحلفائها. وقد تطورت المدينة في أثنائها بسبب فتح عدة معسكرات للجيش البريطاني وحلفائه في منطقة اللد ـ الرملة. أحدثك عن إعلان مشروع الأمم المتحدة لتقسيم فلسطين إلى دولتين: واحدة عربية وأُخرى يهودية، ورفض عرب فلسطين هذا المشروع، الذي أعطى اليهود أكثر كثيراً مما لهم من مناطق البلاد الخصبة العامرة. ثم استعداد سكان المدينة للدفاع عنها أمام مطامع اليهود في محاولاتهم الاستيلاء عليها. أصف لك الحالة في المدينة وحماسة سكانها في الدفاع عنها، والمعارك التي خاضها مقاتلو اللد لمنع الجيش الإسرائيلي من تطويق المدينة وعزلها عن بقية فلسطين والاستيلاء عليها. أحدثك عن استبسال قوات المدينة، على الرغم من خسائرها الكبيرة في الأرواح، خلال حرب استمرت نحو أربعة أشهر من القتال اليومي في منطقة تمتد من الرملة جنوباً حتى رأس العين شمالاً واللطرون والقرى العربية شرقاً. أحدثك عن الغارات الجوية المتكررة التي تعرضت لها المدينة، والمعارك الطاحنة الشرسة حولها ضد القوات الإسرائيلية

التي قارب عددها نحو ١٠ آلاف جندي منظم، بإمرة قيادة عسكرية مدربة، وأسلحة حديثة، ومدفعية ثقيلة كثيرة العدد، ومدرعات ومجنزرات كثيرة اشتركت في معارك احتلال المدينة. ثم عملية طرد جميع سكانها واللاجئين فيها، الذين بلغ عددهم نحو ٤٥ ـ ٥٠ ألف نسمة، فلم يبق في المدينة الكبيرة سوى ٥٠٣ أشخاص نصفهم جرحى، أبقوهم حتى قدوم سيارات الصليب الأحمر لترحيلهم؛ وكيف استشهد المئات من أهل بلدي، وكانت جثثهم مبعثرة في الشوارع والأزقة؛ وكيف نهب الجيش الإسرائيلي مخازن المؤن المكدسة والحوانيت والبيوت التي لم يبق فيها سوى أشياء لا قيمة لها.

أيها القارىء الكريم، أحدثك عن جميع الأشياء التي ذكرت بصورة مفصلة وصادقة، إذ إني عايشت هذه الفترة ومآسيها، وكنت شاهد عيان لما حدث، واشتركت في المجهود الدفاعي مع أبناء بلدي. لقد عملت ممرضاً ميدانياً أرافق وإخواني الممرضين، المدافعين عن المدينة في معظم المعارك التي خاضوها، وكم من مرة تعرضت سيارات الإسعاف التي كنا فيها لإطلاق الرصاص، الذي اخترق قسمها الأعلى. أحدثك أخي القارىء عما حدث لنا، نحن الخمسمئة شخص الذين بقوا في المدينة ولم يغادروها، وكيف تحملنا شتى أنواع العذاب كي نبقى أحياء، إذ كنا لا نظن أننا سنعيش أو سنبقى يوماً آخر. كان خوفنا شديداً، نرتعد لرؤية الجنود، وتُركنا بلا غذاء أو ماء أو دواء يكفينا، وخصوصاً الأطفال والنساء والمسنّون، وكيف أن ضابط المدينة العسكري بلّغنا أنه غير مسؤول عن أكلنا أو شربنا، وبقينا في المدينة نحن الأحياء إلى جانب المئات من جثث الشهداء المبعثرة، وهم أهلنا وأصدقاؤنا ومعارفنا، لم نتخاذل لحظة واحدة، بل قمنا ونظمنا أنفسنا ووزعنا الأعمال علينا، وكان أمقت تلك الواجبات هي جمع جثث شهدائنا ودفنها، لأن معظمها كان تفتت وتعفن، إذ كان الطقس صيفاً.* وبعدها أُعلنت اللد والرملة مدينتين يهوديتين، وتدفق عشرات الآلاف من المهاجرين الجدد وسكنوا فيهما، وأصبحنا نحن أقلية صغيرة في بلدنا. كما أحدثك عما جرى بعدها وكيف ازداد عدد سكان المدينة العرب، حتى أصبح عددهم في هذه الأيام ما يزيد على ١٥ ألف نسمة في مدينة يبلغ عدد سكانها أكثر من ٦٠ ألف نسمة.

إن الذي دفعني إلى الكتابة هو رغبتي في أن أشارك أبناء بلدي، الأجداد

---

* عشنا نحن الباقين حياة اشتراكية كاملة، نأكل جميعاً الأكل نفسه، ونشرب المياه نفسها. وكنا إخوة وأخوات في عائلة كبيرة.

والآباء والأحفاد في ذكرياتي هذه، ليعرفوا ما مرّ على سكان هذه المدينة من حوادث خلال هذا القرن الذي كان مليئاً بالحوادث والتطورات والمآسي والكوارث، حتى لا يُدفن تاريخ هذه المدينة في طيات التاريخ.

لقد وجدت التشجيع والتعاون من الدكتور بطرس أبو مَنّة، وهو محاضر في قسم تاريخ الشرق الأوسط في جامعة حيفا، ومن الدكتور شكري عراف، اللذين أرشداني، ولم يبخلا عليّ بأية معلومة عندهما تتعلق بموضوع هذا الكتاب، فلهما مني جزيل الشكر والامتنان والتقدير. كما أقدم شكري إلى مؤسسة الدراسات المقدسية التي شجعتني على إكمال الكتاب وساعدتني في تنقيحه والعمل على نشره، كي يصل إلى أكبر عدد من أبناء بلدي وبلادي وأمتي، وأخص بالذكر الدكتور سليم تماري، مدير مؤسسة الدراسات المقدسية.

ولا أنسى أن أشكر أبناء بلدي وأصدقائي على الإجابة عن أسئلتي واستفساراتي من أجل استكمال بعض المعلومات التي غابت عن ذاكرتي.

«ابن اللد»

إسبير منيّر

كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٦

الفَصْــل الأوَّل

اللـّـد

نَبْـذَة تاريخيَّـة مُقتَضَـبَة

اللد مدينة قديمة جداً، كانت موجودة منذ آلاف السنين، وذلك بحسب ما دلت عليه الآثار التي وجدها، سنة ١٩٩٢م، الدكتور آفي عوفر، وهو عالم آثار من جامعة تل أبيب. وفي أيام فرعون مصر، تحتمس الثالث، الذي احتل هذه البلاد في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، كان اسمها «رتن»، وكانت هي العاصمة، حتى إن الفراعنة سموا هذه البلاد «رتن» على اسم المدينة حينذاك.[١] وفي أيام الإمبراطورية الرومانية، كانت اللد التي دعاها الرومان باسم ديوسبوليس، عاصمة منطقة مهمة جداً هي وسط فلسطين، وجعلوها مدينة رومانية لها نقدها، الذي وُجد قطع منه في الحفريات الأثرية. في صدر المسيحية، اعتنق الكثيرون من سكانها الدين المسيحي، وقام بطرس الرسول بزيارة المدينة في أثناء تجواله في البلاد، وصلى في هيكلها، وشفي إينياس أحد سكانها وكان مقعداً منذ ثمانية أعوام. وفي إثر ذلك آمن كثيرون من سكان المدينة التي كانت تدعى حينها «لد»، ورجعوا إلى الرب بحسب ما جاء في الإنجيل المقدس.[٢]

في سنة ١٦هـ/ ٦٣٦م، أخذت الجيوش العربية الإسلامية بقيادة عمرو بن العاص، أيام الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، اللد من أيدي البيزنطيين صُلحاً، بعد أن وقّع سكانها اتفاقاً مع قيادة الجيش العربي الإسلامي، تدخل الجيوش العربية بموجبه اللد صلحاً على غرار الاتفاقيات التي عقدها الفاتحون العرب عند دخولهم نابلس وسبسطية في السامرة.[٣] ونص هذا

---

(١) ي. أَهَروني، «أرض إسرائيل في عهد المكرا ـ جغرافيا تاريخية» (بالعبرية).

(٢) «الإنجيل المقدس»، سفر «أعمال الرسل»، الإصحاح التاسع.

(٣) البلاذري، «فتوح البلدان»، ص ١١٣ ـ ١٣٨؛ وراجع: الواقدي، «فتوح الشام»، ص ١٨٨.

الاتفاق على أن يمنح الفاتحون سكان المدينة الأمان على أنفسهم ونسائهم وأولادهم وأملاكهم، كما نص على أن تُمنح حرية العبادة لجميع السكان، وعلى تأمين مؤسساتهم الدينية وأملاكها، وذلك في مقابل جزية محددة يدفعها السكان للفاتحين.(٤) ونظراً إلى موقع اللد الجغرافي في وسط فلسطين، على مفترق الطرق الرئيسية فيها، فقد اتخذها الفاتحون العرب عاصمة عسكرية وإدارية لهم في جُند فلسطين، وكذلك مقراً لوالي فلسطين الذي كان يلقب بصاحب جند فلسطين. وقد بقيت اللد هكذا مدة ٨٢ عاماً. وعندما أصبح سليمان بن عبد الملك والياً على جند فلسطين سنة ٧١٥م، قام ببناء مدينة الرملة، وهي قريبة من اللد وتبعد عنها نحو ٤ كلم جنوباً، وجعلها عاصمة جند فلسطين بدلاً من اللد، وانتقل هو وجميع المؤسسات الإدارية والعسكرية لفلسطين مع الموظفين إلى عاصمته الجديدة. عندها تحولت اللد من مدينة كبيرة وعاصمة البلاد إلى بلدة صغيرة وخربة مهملة، بعد إن أُجبر سكانها على هجرها والنزوح إلى الرملة.(٥)

من الحوادث التي جرت في اللد أيام فتنة قتل الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) أن دعا والي مصر، محمد بن أبي حذيفة، إلى خلع عثمان عن الخلافة، وحرّض عليه بكل شيء يقدر عليه. ثم أرسل جيشاً بقيادة عبد الرحمن بن عديس لخلع عثمان. وكان من رؤساء الجيش المذكور كنانة بن بشر التجيبي، وقد شارك في مقتل الخليفة عثمان، في ذي الحجة من سنة ٣٥هـ، ثم عاد الجيش وقواده بعد ذلك إلى مصر. ولما أراد معاوية بن أبي سفيان المسير إلى صفّين، رأى أن لا يترك أهل مصر مع ابن أبي حذيفة فسار إليهم في عسكر كثيف. فخرج إليهم الوالي محمد، مع جنده، فتقاتلوا في العريش إلى أن تصالحا، وطلب معاوية من الوالي محمد أناساً يكونون تحت إمرته رهناً، ليأمن جانبهم إذا خرج إلى صفين، فأخرج ابن أبي حذيفة رهناً عدتهم ثلاثون نفساً، فأحيط بهم وهو فيهم. فلما بلغوا اللد سجنهم معاوية بها وسار إلى دمشق. فهربوا من السجن فتبعهم صاحب فلسطين فقتلهم. وكان على رأس المقتولين: محمد بن أبي حذيفة وعبد الرحمٰن بن عديس وكنانة بن بشر التجيبي. وكان قتلهم ومن معهم في السجن بعد سنة من مقتل عثمان، أي في

(٤) الطبري، «تاريخ الأمم والملوك»، ج ١، ص ٢٤٠٦ _ ٢٤٠٧.

(٥) اليعقوبي، «تاريخ البلدان»، ص ٣٢٨.

ذي الحجة من سنة ٣٦ هـ.[٦]

جاء في الكتب التاريخية والجغرافية القديمة أن السيد المسيح، عليه السلام، يقتل الدجال بباب لد. ويقول المقدسي: إن «لُدّ، وهي على ميل من الرملة، بها جامع يجمع بها خلق كثير من أهل القصبة وما حوله من القرى، وبها كنيسة عجيبة على بابها يقتل عيسى الدجّال.»[٧] ورُوي عن النبي، صلى الله عليه وسلم، أنه ذكر الدجّال، وأن اليهود، بني قومه، يكونون من أعوانه، وقال: «يقتله عيسى بن مريم، هو ومن معه من المسلمين، (وفي رواية: هو ومن معه من العرب) بباب لُدّ.»[٨]

في ١٠٩٩/٦/٣م، احتلت القوات الصليبية مدينة اللد، فوجدوها خالية من سكانها، الذين تركوها وهربوا مع سكان مدينة الرملة إلى مدينة عسقلان (المجدل) خوف بطش الصليبيين.[٩] وجد الصليبيون دير القديس جاورجيوس (الخضر) محروقاً، أحرقه المسلمون انتقاماً منهم. وبعد احتلالهم المدينة قاموا بتغيير اسمها من اللد إلى مدينة سان جورج، أو جاورجيوس تبركاً بالقديس، الذي ولد وترعرع فيها، كما دفن فيها بعد تعذيبه وموته شهيداً في سجن الإمبراطور الروماني ديوقليتيانُس سنة ٣٠٣م. لذلك قام الصليبيون ببناء كنيسة كبيرة على أنقاض الكنيسة البيزنطية القديمة، أحاطت بها قلعة ضخمة وحصينة، وذلك في الفترة ١١٥٠ ـ ١١٧٠م. وقد أصبحت كاثدرائية للمدينة ومنطقتها، وعُيّن لها أول أسقف لاتيني في فلسطين.

في ١١٨٧/١١/٢٥م، دارت معركة حامية بين الصليبيين بقيادة غي دو لوسنيان وبين قوات صلاح الدين الأيوبي، قائد القوات العربية. تحصن الصليبيون داخل القلعة حول الكنيسة، وتمكنوا من صد قوات صلاح الدين، حتى إنه كاد يقع أسيراً في أيديهم، ولكنه انسحب من المدينة والمنطقة. وقد دُعيت هذه المعركة معركة الرملة. آمن الصليبيون بأن انتصارهم المذكور كان بفضل مؤازرة القديس جاورجيوس لهم انتقاماً من هدم الكنيسة على أيدي المسلمين سنة ١٠٩٩م حين سقطت اللد بأيدي الصليبيين. وعند وصول الملك الإنكليزي، ريكاردوس قلب الأسد، إلى البلاد، على رأس جيش صليبي كبير

---

(٦) محمد بن يوسف الكندي، «ولاة مصر»، ص ٤٣.

(٧) المقدسي، «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم»، ص ١٧٦.

(٨) ابن عساكر، «التاريخ الكبير»، ج١، ص ١٨٧ ـ ١٩٥.

(٩) برافير، «تاريخ مملكة الصليبيين في أرض إسرائيل»، ص ١٣٠ (بالعبرية).

في محاولة للتغلب على الجيوش العربية، أمر صلاح الدين جيشه بهدم الكنيسة وقلعتها المحيطة بها، خوفاً من أن يتحصن فيها الجيش الصليبي، كما حدث في المرة السابقة.[١٠]

في سنة ١٢٦٧م، استولى السلطان بيبرس المملوكي على مدينة اللد، بعد انتصاره على الصليبيين، وقضى على جميع معاقلهم في وسط البلاد.[١١] وفي أيامه استعادت اللد أهميتها وأصبحت عاصمة الناحية تمر فيها طريق البريد الرئيسية في البلاد، كما كانت محطة للحمام الزاجل لنقل الرسائل المستعجلة بين غزة ودمشق.

أمر الظاهر بيبرس، سنة ١٢٦٨م، ببناء الجامع الكبير، وأشرف على بنائه علاء الدين السواق.[١٢] بني الجامع على أرض كنيسة سان جورج الصليبية، كما أن حجارته ومواد البناء الأخرى وبعض الأعمدة الرخامية، أُخذت من أنقاض الكنيسة. إن العمود الثالث من الجهة اليسرى في قاعة الصلاة الرئيسية، هو أحد أعمدة الكنيسة البيزنطية الأولى، ونقشت عليه كتابة باليونانية. ونقش على اللوحة الرخامية المثبتة فوق بوابة الجامع الرئيسية ما يلي:

«بسم الله الرحمٰن الرحيم، أمر ببناء هذا المسجد المبارك مولانا السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين أبو الفتح بيبرس الصالح صديق المؤمنين، أعز الله انتصاراته وغفر له. وقد قام بعملية البناء وأشرف عليها العبد الفقير لرحمة الله علاء الدين علي السواق، غفر الله له، في شهر رمضان من سنة ٦٦٦هـ» (سنة ١٢٦٨م).

في سنة ٦٧١هـ/ ١٢٧٣م، أمر الملك الظاهر ببناء جسر قوي فوق مجرى الوادي الكبير، والمسمى اليوم وادي أيلون لتمر عليه الطريق الرئيسية في البلاد من الشمال وإلى الجنوب، التي كانت تسمى طريق البريد السلطاني. تم بناء هذا الجسر أيضاً من بقايا أنقاض كنيسة سان جورج في اللد بطريقة هندسية رائعة، الأمر الذي يدل على تقدم الفن المعماري في ذلك الوقت. يبلغ طول الجسر ٣٠ متراً وعرضه ١٣ متراً وارتفاعه ٦,٥ أمتار. وثُبّتت لوحتان رخاميتان فوق القنطرة الوسطى من كلا الاتجاهين، وقد نقش على اللوحة من الجهة الشرقية

---

(١٠) المصدر نفسه؛ وراجع: أبو شامة، «كتاب الروضتين في تاريخ الدولتين»، ٢/ ١٩٢.

(١١) المقريزي، «السلوك في معرفة دول الملوك»، ١/ ٢٣٠؛ وراجع: القلقشندي، «صبح الأعشى»، ٧/ ٩٢٤.

(١٢) دافيد روبرتس، «الأراضي المقدسة»، ٢/ ٦٠.

الشمالية للجسر ما يلي:

«بسملة وصلواته على سيدنا محمد وصحبه أجمعين. أمر بعمارة هذا الجسر المبارك مولانا السلطان الأعظم الملك الظاهر ركن الدين بيبرس ابن عبد الله في أيام ولده مولانا السلطان الملك السعيد ناصر الدين بركة خان، أعز الله أنصارهما وغفر لهما، وذلك بولاية العبد الفقير إلى رحمة الله، علاء الدين السواق، غفر له ولوالديه، في شهر رمضان من سنة ٦٧١هـ» (سنة ١٢٧٣م).

أمّا ما كتب على اللوحة الشرقية الجنوبية فهو ما يلي:

«بسملة. أمر بعمارة هذا الجسر المبارك مولانا السلطان الأعظم الملك الظاهر ركن الدين بيبرس ابن عبد الله في أيام ولده مولانا السلطان الملك السعيد ناصر الدين بركة خان، أعز الله أنصارهما وغفر لهما وذلك بولاية الفقير إلى رحمة الله علاء الدين علي السواق بن عمرو غفر الله له ولوالديه.»

وقد نقش على جانبي كل لوحة صورة أسدين يضربان بقوائمهما اليمنى مخلوقاً صغيراً أو حيواناً صغيراً ويدوسان عليه. تظهر هذه الإشارات على بنايات كثيرة بنيت في عهد السلطان بيبرس، كما وجد بعض القطع النقدية التي ضُربت في عهده وتحمل الشعار نفسه.

كانت اللد في العهد العثماني، سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م، قرية صغيرة تعيش في ظل مدينة الرملة، التي كانت مدينة القضاء الذي يضم جميع قرى هذه المنطقة. كما كانت تتبع الرملة إدارياً وقضائياً، ومع هذا، اعتُبرت قرية مهمة لوجود الجامع الكبير فيها، الذي يؤمه المصلون يوم الجمعة من جميع أنحاء القضاء، ومن الرملة أيضاً؛ وكذلك بسبب استمرار السياحة المسيحية إليها لزيارة قبر القديس جاورجيوس (الخضر) وأنقاض الكنيسة. في سنة ١٥٥٢، منح السلطان سليمان القانوني اللد إلى وقفية خاصكي سلطان في القدس مع عدد من القرى الأُخرى، لترصد جميع الضرائب الحكومية والمستحقات الأُخرى للصرف على التكية التي أنشأتها روكسيلانا في القدس لإطعام الفقراء ومساعدتهم. وروكسيلانا هي أصغر نساء السلطان سليمان القانوني وكان يحبها أكثر من بقية نسائه.

في سنة ١٨٧٠م، تمت إعادة بناء كنيسة القديس جاورجيوس (الخضر) في اللد على جزء من أرض الكنيسة المهدومة، الملاصقة الآن للجامع الكبير، وتدل على علاقات شراكة وصداقة واحترام سائدة بين جميع السكان، مسلمين ومسيحيين. مر على سكان اللد في أواخر العهد العثماني مصائب متلاحقة. ففي سنة ١٩٠٠، انتشر فيها وباء الكوليرا، الذي أودى بحياة الكثيرين من سكانها. وفي سنة ١٩١٤، عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى، جُنّد جميع شبان

المدينة للاشتراك في الحرب التي أنهت الحكم العثماني على البلاد، لكن الكثيرين منهم لم يرجعوا بعد انتهاء الحرب، ولم يعرف السكان إن كانوا أسروا أو قُتلوا في المعارك، أو أنهم ماتوا من الأوبئة الكثيرة التي أصابت فرق الجيش العثماني.

في سنة ١٩١٦، هاجمت أسراب هائلة من الجراد المدينة ومنطقتها، وقضت على الأخضر واليابس، كما يقول المسنون، من المزروعات والأشجار حديثة السن. انتشرت المجاعة في المدينة، الأمر الذي أدى إلى موت مئات الأطفال لإصابتهم بأمراض مختلفة نتيجة قلة التغذية. كانت تلك الفترة مليئة بالبؤس والشقاء لجميع السكان. في أواخر العهد العثماني، كان عدد سكان اللد يزيد على سبعة آلاف نسمة، الأمر الذي دعا العثمانيين إلى إعلانها مدينة، وألفت لجنة بلدية لإدارتها. وفي تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٧، انسحب الجيش العثماني من اللد مع الوحدة العسكرية الألمانية والوحدة النمساوية عند اقتراب الجيش البريطاني منها، وأصبحت اللد تحت الحكم العسكري البريطاني الذي تحول بعد بضع سنين ليصبح حكومة الانتداب البريطاني على فلسطين.[١٣]

---

(١٣) من أقوال المرحوم عيسى يوسف رزق المنير ومحمود أبو حمد، وقد عاشا في المدينة آنذاك.

الفصل الثاني
اللد في عهد الانتداب البريطاني وقرار التقسيم

بعد احتلال الجيش البريطاني فلسطين، ومنها اللد التي احتلها بتاريخ ٥/١١/١٩١٧م، قامت الحكومة البريطانية بتعيين حكام عسكريين لمختلف مناطق البلاد. وعند استتباب الأمن في اللد ومنطقتها، وزع حاكم المنطقة العسكري بعض الإعانات النقدية وبعض المواد الغذائية على محتاجي المدينة، وكان عددهم كبيراً، وكان مقرّ ضابط الإعانات دير الروم الأرثوذكس[١] في اللد. كان أول عمل اهتمت به السلطات العسكرية البريطانية في فلسطين إصلاح وترميم وتوسيع الطرق الرئيسية، وأول تلك الطرق، طريق يافا ـ القدس للسيارات، كما قامت بإصلاح وتحسين وتوسيع خط سكة الحديد الممتد من يافا إلى القدس ماراً باللد، وبإبدال الخط المذكور، الذي كان خطاً ضيّقاً عرضه ١٠٥ سم، بخط جديد عرضه ١٤٣ سم، الأمر الذي مكّن القطارات من زيادة سرعتها.

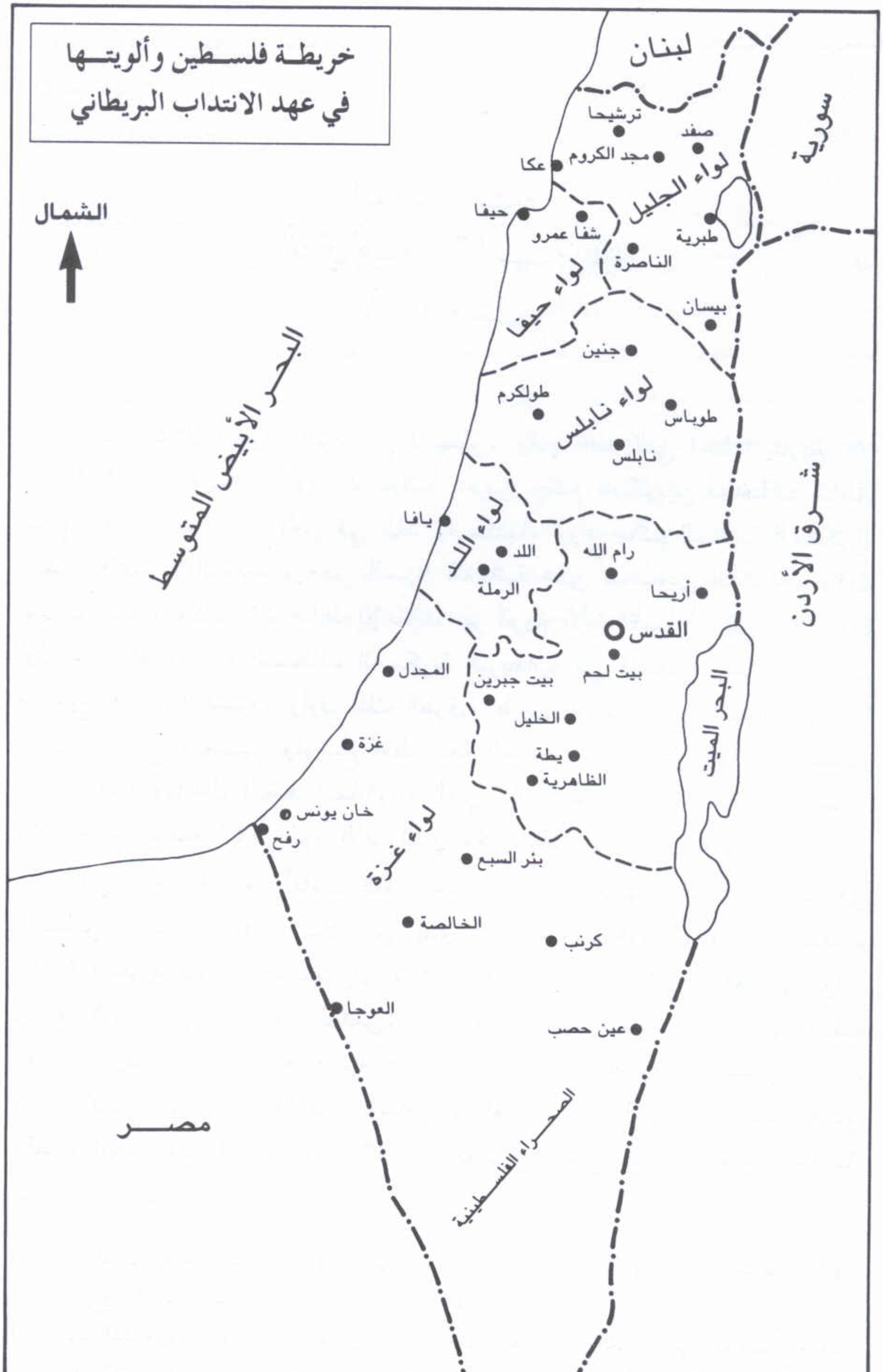
في سنة ١٩٢٢م، أقامت الحكومة البريطانية حكومة انتداب مدنية في فلسطين، استلمت إدارة البلاد من أيدي الحكام العسكريين، وقامت بتنظيم الإدارة المدنية فيها، وقسمتها إلى ست مناطق[٢] سمّت كل منطقة منها لواء. وهذه الألوية هي: ١) **لواء القدس**: الذي ضم جميع المدن والقرى في منطقة القدس، وقسمته إلى ثلاثة أقضية هي: قضاء[٣] رام الله وقضاء القدس ـ بيت لحم وقضاء الخليل؛ ٢) **لواء السامرة** (لواء نابلس): الذي ضم قضاء جنين وقضاء نابلس وقضاء طولكرم؛ ٣) **لواء الجليل**: الذي ضم قضاء عكا وقضاء

---

(١) من أقوال ميخائيل منير، وهو من مسني المدينة، وكان شاباً عند دخول الجيش البريطاني إليها.

(٢) الدباغ، «بلادنا فلسطين»، الجزء الأول، ص ١٤٢.

(٣) كان القضاء يضم المدينة الكبيرة في منطقته وتتبعها بقية المدن والقرى الموجودة ضمن حدوده، وفيها تقع مكاتبه.



خريطة فلسطين وألويتها
في عهد الانتداب البريطاني
الشمال
لبنان
سورية
ترشيحا
صفد
مجد الكروم
عكا
لواء الجليل
حيفا
شفا عمرو
طبرية
الناصرة
لواء حيفا
بيسان
جنين
البحر الأبيض المتوسط
لواء نابلس
طولكرم
طوباس
نابلس
شرق الأردن
يافا
لواء اللد
اللد
رام الله
الرملة
أريحا
القدس
بيت لحم
المجدل
بيت جبرين
البحر الميت
الخليل
غزة
يطة
الظاهرية
خان يونس
رفح
لواء غزة
بئر السبع
الخالصة
كرنب
العوجا
عين حصب
مصر
الصحراء الفلسطينية

صفد وقضاء الناصرة وقضاء طبرية وقضاء بيسان؛ ٤) **لواء اللد** (لواء يافا): الذي ضم قضاء يافا وقضاء الرملة. وشمل هذا اللواء جميع المدن والقرى الساحلية والداخلية الوسطى من البلاد؛ ٥) **لواء غزة**: الذي ضم قضاء غزة وقضاء بئر السبع؛ ٦) **اللواء الشمالي** (لواء حيفا): الذي ضم قضاء حيفا والكرمل.

عينت الحكومة حاكماً مدنياً لكل لواء دعته حاكم اللواء، والذي قام بدوره بتعيين مساعد بريطاني له، كما عين قائمقاماً[٤] لكل قضاء في لوائه. كان جميع حكام الألوية ومساعديهم من الإنكليز. أمّا القائمقامون فكانوا من سكان البلاد الذين اعتمدوا مختاراً لكل قرية تتبع قضاءهم.

إن موقع اللد، في السهل الداخلي من وسط فلسطين ومرور طرق المواصلات الرئيسية عبرها، أعطاها أهمية استراتيجية على مر العصور. لهذا اختارت القيادة العامة للقوات العثمانية اللد ومنطقتها مركزاً لتجمع قوات الجيش في أثناء الحرب العالمية الأولى. ومن هناك انطلقت هذه القوات جنوباً لمحاربة القوات البريطانية وحلفائها في مصر وصحراء سيناء. عندما انهزمت القوات العثمانية والقوات الألمانية، انسحبت إلى منطقة اللد فتبعتها القوات البريطانية في أثناء زحفها لاحتلال القدس ويافا واحتلت اللد والرملة في ١٩١٧/١١/٥. انقسم هذا الجيش إلى قسمين: الأول، ويضم فرقة الفرسان الأستراليين والنيوزيلانديين، وكانت تُسمى فرقة الأنزاك بقيادة الجنرال شوفال. وكانت هذه الفرقة قد احتلت منطقة النقب الشمالي وساحله. ويقول مسنّو المدينة إن القوات الأسترالية كانت من سلاح الفرسان، إذ امتطى الجميع الخيول. وكان كل جنديين يمتطيان حصاناً واحداً، الأول وجهه إلى الأمام والثاني وجهه إلى الخلف. وكانت الخيول الأسترالية كبيرة الحجم نسبياً، ذات حوافر كبيرة. أمّا القوات البريطانية فقد عسكرت في اللد والرملة، ومنها توجهت غرباً واحتلت مدينة يافا في ١٩١٧/١١/١٦، وتوجه قسم منها شرقاً لاحتلال اللطرون، وفُتح الطريق أمام قوات الفرقة البريطانية رقم ٧٥ لاحتلال القدس. أمّا الجنرال أللنبي، القائد العام للجيوش البريطانية في فلسطين، فاختار قرية بير سالم القريبة من اللد والرملة مقراً لقيادته.

أصبحت اللد من أهم مناطق فلسطين في مجال المواصلات، إذ أقيمت فيها محطة مركزية للقطارات في فلسطين، ومنها امتدت خطوط سكة الحديد إلى مختلف أنحاء البلاد والشرق الأوسط. أول هذه الخطوط خط قطارات من يافا

---

(٤) يقوم القائمقام بإدارة قضائه في المجالات المتعددة، ويمثل دوائر الحكومة المتعددة فيه.

إلى القدس عبر محطة اللد، وخط اللد ـ القاهرة الذي يمر بمختلف مدن الساحل الجنوبي عبر سيناء وقناة السويس حتى القاهرة، ومن محطة اللد يتجه خط آخر إلى حيفا ومنها إلى لبنان وسورية. نتيجة هذه المشاريع والمرافق، تطورت المدينة واتسعت وزاد عدد سكانها، وأصبحت مدينة مهمة في فلسطين.(٥) ازدهرت فيها الزراعة وغرست عشرات بيارات الحمضيات على مساحة واسعة بلغت ٣٢١٧ دونماً، بالإضافة إلى ٩٥٠٠ دونم مغروسة بأشجار الزيتون، عدا الأراضي السهلية لمختلف المزروعات.(٦) انتعشت صناعة الصابون المصنوع من زيت الزيتون. كما أن عشرات الآلاف من صناديق البرتقال وأصناف الحمضيات الأُخرى كانت تُحمل بالقطارات إلى ميناء يافا لتصدر إلى أوروبا. بلغت مساحة أراضي اللد في زمن الانتداب البريطاني على فلسطين ١٩,٨٦٨ دونماً منها ٣٢١٠ دونمات للأبنية و ٦٤٥ دونماً للطرق والوديان وسكة الحديد والباقي أراضٍ زراعية.

بلغ عدد سكان اللد ٨١٠٣ نسمة بحسب إحصائية سنة ١٩٢٢ منهم نحو ٩٢٠ مسيحياً، ومما يذكر أنه بحسب ما ورد في دليل بايدكر بلغ عدد سكان اللد ٧٠٠٠ نسمة سنة ١٩١٢.

أمّا عدد سكان اللد بحسب إحصائية سنة ١٩٣١ فهو ١١,٢٥٠ نسمة منهم ١٢١٠ مسيحيين، وفي سنة ١٩٤١، أصبحوا ١٥,٧٠٠ نسمة بحسب تقرير الأميرالية البريطانية.(٧) في سنة ١٩٤٤، بلغ عددهم ١٦,٧٨٠ نسمة منهم نحو ٢٠٠٠ نسمة مسيحيين والباقي مسلمون. أمّا في سنة ١٩٤٦،(٨) فبلغ عددهم ١٨,٢٥٠ نسمة. وفي سنة ١٩٤٨،(٩) ازداد عددهم إلى نحو عشرين ألف نسمة، إذ بلغ عددهم في تلك السنة ٢٢ ألفاً.

إن ارتفاع معدل الزيادة الطبيعية بين السكان كان نتيجة الاهتمام بشروط الصحة العامة وارتفاع مستوى الطب الوقائي، إذ طُعّم السكان ضد انتشار الأوبئة والأمراض الأُخرى، الأمر الذي أدّى إلى تقليل نسبة انتشارها. كما تحسنت كثيراً أحوال النظافة في المدينة بعدما مُدّت أنابيب المياه إلى البيوت. وقد

---

(٥) الدباغ، مصدر سبق ذكره، ج ٤، ص ٤٧٧.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) عن تقرير الأميرالية البريطانية، ص ٣٣.

(٨) عن تقرير اللجنة البريطانية ـ الأميركية، قسم ١، ص ١٥١.

(٩) الدباغ، مصدر سبق ذكره.

أعادت الإرسالية المسيحية الإنكليزية فتح عيادة صحية في مبنى الإرسالية في اللد، الذي يقع غربي المسجد الكبير، وكان الطبيب من المستشفى الإنكليزي في يافا يحضر إلى العيادة مرتين في الأسبوع، ترافقه ممرضة مختصة بصحة الأطفال والأمهات في أثناء فترة الحمل وما بعدها. وكانت الأمهات، يحضرن إلى العيادة للكشف ولسماع الإرشادات الطبية، كما كنّ يحضرن أطفالهن إلى العيادة، حيث يقوم الطبيب بإجراء الفحوصات اللازمة ومتابعة نمو الطفل ووزنه. كانت العيادة المذكورة تعمل، يومياً، على معالجة المصابين برمد العيون، لوجود ممرضة متخصصة بهذا الشأن يومياً في العيادة. وكانت تسكن في الطبقة الثانية من عمارة الإرسالية. وجاء إلى العيادة المرضى من سكان المدينة ومن سكان القرى المحيطة بها.

اللد مدينتي

بعد تأليف حكومة الانتداب اعترفت السلطات باللد مدينةً، وعُين لها مجلس بلدي بدأ جباية الضرائب عن البيوت والحوانيت وغيرهما. كما تم استخدام بعض الموظفين الإداريين للعمل في المكاتب، وعمال نظافة باشروا جمع النفايات ونقلها إلى مكان بعيد عن المدينة خصص لتجميع النفايات. تحسنت الأحوال الصحية في المدينة، الأمر الذي كان له أثر كبير في انخفاض عدد الوفيات بين سكانها. وقد عينت سلطات الانتداب طبيباً سكن في المدينة، وذلك سنة ١٩١٩، وهو أول طبيب مقيم بالمدينة. لهذا لم يعد السكان في حاجة إلى إرسال مرضاهم إلى عيادات خارج المدينة. وفي الثلاثينات، فُتحت صيدليتان، الأمر الذي سهل كثيراً على السكان الذين كانوا يضطرون إلى الذهاب إلى المدن المجاورة لشراء الأدوية. وبحسب الإحصائيات[١٠] الحكومية لسنة ١٩٤٢، كان عدد المواليد في اللد ٩٣١ ولادة في مقابل ٢٠٥ وفيات. وكانت نسبة الوفيات ١٢ وفاة لكل ألف نسمة. أمّا نسبة الولادات فكانت ٥٦ ولادة لكل ألف نسمة، أي أن الزيادة الطبيعية وصلت إلى ٤٤٪، وهي نسبة عالية جداً.

---

(١٠) عن نشرة دائرة الإحصاء لحكومة الانتداب سنة ١٩٤٢.

أولاً: بلدية اللد

يقول مسنّو المدينة إن اللد كانت مدينة معترفاً بها، ولها مجلس بلدي، منذ أواخر العهد العثماني، أُلحق إدارياً بقائمقام يافا التركي الذي عيّن رئيس المجلس وأعضاءه. يقول محمود أبو حمد، نقلاً عن والده، إن المجلس البلدي الأول في المدينة اختاره قائمقام المنطقة الذي كان مقره في يافا، وحسبما يذكر، كان الحاج يعقوب حسونة وزرق منير والحاج صافي الشتيتي من أعضاء المجلس الأول. كما تم تعيين مختار لكل حي من أحياء المدينة يمثل سكان حيّه أمام مجلس البلدية. استمر هذا التنظيم الإداري حتى انتهاء الحكم العثماني في المدينة في أواخر سنة ١٩١٧م. وفي سنة ١٩٢٠، عيّن حاكم لواء اللد لجنة بلدية لإدارة المدينة، يرأسها محمد علي الكيالي، وأعضاؤها هم: شحادة حسونة والحاج علي الكرزون وعيسى يوسف منير وصلاح الدين الصالحي.[١١] انتمى جميع الأشخاص المذكورين إلى العائلات المتميزة والكبيرة في المدينة. بدأت اللجنة عملها بجد ونشاط من مقر البلدية السابق أيام العثمانيين، الذي يقع في مدخل السرايا[١٢] التركية قرب خان الحلو. كان أول أعمالها إزالة أكوام النفايات التي تراكمت خلال سنوات الحرب، والاهتمام بنظافة الشوارع والأزقة، وتصريف مياه الأمطار، التي كانت تتجمع في داخل المدينة، بواسطة قنوات إلى الوادي الكبير شرقي المدينة. كما وضعت مشروعاً لمد شبكة أنابيب مياه إلى المنازل. عملت اللجنة على تحسين الأحوال الصحية، فسنت قوانين فرضت فيها على أصحاب الحوانيت الاهتمام بالشروط الصحية في حوانيتهم، وخصوصاً حوانيت القصابين. كذلك اهتمت بنظافة مياه الشرب ومصادرها. ثم ساعدت دائرة الصحة الحكومية في القيام بحملة تطعيم الأطفال والكبار ضد بعض الأمراض المعدية، فتحسنت الأحوال الصحية بين السكان، وانخفضت نسبة الوفيات، وخصوصاً بين الأطفال.

ثانياً: زلزال سنة ١٩٢٧ وما بعده

بتاريخ ١١/٧/١٩٢٧، حدث زلزال قوي في وسط فلسطين، وكانت منطقتا نابلس واللد أكثر المناطق تضرراً. ومن الجدير بالذكر أن احتلال المدينة، سنة

---

(١١) من أقوال محمود أبو حمد، وهو من مسنّي المدينة وكان حينها رجلاً «واعياً».

(١٢) سرايا: كلمة تركية، معناها بيت كبير لمؤسسات الحكومة ومكاتبها المتعددة.

١٩٤٨، حدث في التاريخ نفسه الذي كان الزلزال وقع فيه، لكن بعد ٢١ عاماً، أي ١٩٤٨/٧/١١.

وقع الزلزال الرهيب في اللد، بعد أن تنفس أهالي المدينة ومنطقتها الصعداء من أهوال الحرب العالمية الأولى ومآسيها، التي بدأت سنة ١٩١٤ وانتهت سنة ١٩١٧. كانت الحرب كارثة على جميع أجزاء فلسطين ومن ضمنها اللد، إذ راح ضحيتها مئات الرجال قتلاً أو موتاً من الأمراض والأوبئة التي أصابت الجيش العثماني، أو أنهم أسروا لكنهم لم يرجعوا. وبعد نحو عشرة أعوام، تنفس فيها سكان المدينة الصعداء ورجعت الأوضاع إلى حالتها الطبيعية، إذ بزلزال عنيف يضرب المدينة ومنطقتها، الأمر الذي أدى إلى هدم مئات المنازل وإصابة المئات من السكان بين قتيل وجريح. جاء في كتاب أصدره صندوق الأبحاث البريطاني سنة ١٩٢٧، بعد الزلزال، أن عدد المنازل التي انهارت كلياً من جراء الزلزال بلغ ما يزيد على خمسمئة منزل، وأن عدد القتلى ما يزيد على أربعين قتيلاً، فضلاً عن مئات الجرحى والمصابين، عانى معظمهم كسوراً في العظام. كما أصبحت مئات العائلات من دون مأوى. بعد هذه الكارثة التي حلّت بسكان المدينة، هام الناس على وجوههم في الحقول وساحات المدينة، لا يريدون الرجوع إلى منازلهم، حتى تلك التي لم تتضرر، خوفاً من زلزال آخر، وناموا عدة ليالٍ في الحقول وتحت الأشجار. وقع معظم الخراب في البلدة القديمة، وخصوصاً في المنازل القديمة المتداعية. بعد أن صحا السكان من هول الصدمة، عمل الجميع، بكل جد ونشاط، على رفع الأنقاض، وإخراج جثث القتلى من تحتها، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه من أمتعتهم وأثاثهم. كما أقامت حكومة الانتداب البريطاني عشرات البيوت الخشبية الموقتة (برّاكيات) في ساحات المدينة والأراضي المحيطة بها، لإيواء العائلات المنكوبة التي أصبحت بلا مأوى. لا يزال أحد تلك البراكيات قائماً ومسكوناً حتى يومنا هذا.

قامت البلدية ببذل جهود جبارة في مساعدة الأهالي على إصلاح بيوتهم التي تضررت من جراء الزلزال، لكنها لم تهدم، وأعادتهم إليها. كما قامت بهدم ما تبقّى من الأبنية التي تهدمت جزئياً كي لا تنهار على السكان. كذلك عمل عمال البلدية مع السكان على إزالة الأنقاض التي تراكمت في البلدة القديمة وفي شوارعها وأزقتها.

نتيجة الزلزال، الذي أدى إلى تدمير الكثير من الأبنية وإلى تضرر أبنية أُخرى بأضرار كبيرة جعلتها غير صالحة للسكن، أصبح هناك حاجة ماسة إلى

إيجاد مساكن أُخرى بديلة خارج البلدة القديمة لإيواء السكان. لذلك قامت البلدية بتخطيط سريع لأحياء سكنية جديدة غربي المدينة وجنوبي غربيها، فُتحت فيها شوارع عريضة ومعبدة. كما بنى السكان بيوتاً حديثة صحية وواسعة تحيط بها حدائق زُرعت ببعض الأشجار المثمرة والزهور، الأمر الذي أعطى المدينة مظهر مدينة عصرية بمبانيها وحدائقها وشوارعها الواسعة المعبدة. وكان لزاماً على البلدية أن تمد أنابيب المياه العذبة لتصل إلى كل بيت، إذ كان السكان، يستقون من آبار تتجمع فيها مياه الأمطار وبعضها آبار نزازة (تمد).(١٣) كان يتم نقل الماء، التي لم تكن دائماً صالحة للشرب، على ظهور البهائم. بعد الزلزال قامت البلدية بحفر بئرين حديثين أحدهما في الجهة الغربية الجنوبية، والآخر في شرقي المدينة، تُضخ منهما المياه بواسطة مضخات، وكانت مياههما عذبة نظيفة تصلح للشرب. كما أقامت، في البداية، خزاناً(١٤) كبيراً لمياه الشفة التي تصل إليه من البئرين المذكورين بواسطة الأنابيب. من هذا الخزان، مُدّت شبكة أنابيب فولاذية إلى معظم بيوت المدينة وإلى المرافق الأُخرى. شعر الناس بارتياح كبير لوصول المياه العذبة النقية إلى منازلهم، بعد أن كانوا ينقلونها على ظهور البهائم، ولم تكن تلك المياه نقية كما يجب. تحسنت الأحوال الصحية في المدينة كثيراً، وانخفضت نسبة الإصابات بالأمراض المتعددة. كان ذلك التطور العمراني الكبير في المدينة على عهد رئيس البلدية أحمد الشيخ مطر الحسيني. ثم بنت البلدية مبنى كبيراً يكون مقرّاً لها خارج البلدة القديمة غرباً، بعد أن تهدم المقر السابق نتيجة الزلزال. تكوّن المبنى المذكور من طبقتين؛ خصصت الطبقة الأولى لفتح عدة حوانيت، وجُعلت الطبقة الثانية مقرّاً لرئيس البلدية تضم قاعة استقبال كبيرة، بالإضافة إلى عدة غرف لدوائر البلدية المتعددة. لقد تطورت أعمال البلدية واتسعت وأصبح لها عدة دوائر أو أقسام منها: قسم النظافة؛ قسم الصحة العامة، دائرة المالية، دائرة جباية الضرائب البلدية وغيرها. ومما يذكر، أن حاكم لواء اللد هو الذي عيّن المجلس البلدي، ولم ينتخبه الشعب. في سنة ١٩٣٤م، سنّت حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين قانوناً جديداً للمجالس البلدية والقروية والمحلية، ألغت فيه قانون المجالس البلدية والمحلية العثماني، الذي نص أحد بنوده على أنه يحق لكل

---

(١٣) بئر نزازة أو تمد: عبارة عن حفرة تحفر في الأراضي الرملية تجمع فيها المياه التي تمتصها الرمال. (المؤلف)

(١٤) أنشىء هذا الخزان في ساحة البلدية التي كانت مرتفعة نسبياً عن أرض البلدة القديمة. (المؤلف)

رجل بلغ الحادية العشرين من العمر، أن يشترك في عملية انتخابات البلدية، شرط أن يملك بيتاً أو أرضاً في المدينة، أو أن يكون صاحب حانوت، ويدفع الضرائب البلدية المستحقة عليه. أمّا الرجال الذين لا يملكون عقارات، أو لا يدفعون ضرائب البلدية، فلا يحق لهم الاشتراك في عملية الانتخابات. لذلك كان المجلس البلدي يمثل أصحاب الأملاك فقط، وهم ليسوا أغلبية السكان، إذ كان أغلب سكان المدينة من العمال والموظفين، وكذلك من أبناء أصحاب الأملاك وكانت أملاكهم مسجلة بأسماء آبائهم الذين حُصر حق الاشتراك في الانتخابات فيهم. كما خوّل بند آخر في القانون حاكم اللواء تعيين رئيس المجلس من دون أن يتقيد بعدد الأصوات التي يحصل عليها أعضاء المجلس المنتخبين. وبعد هذه الانتخابات، عيّن حاكم لواء اللد، ومقره في مدينة يافا، أحمد الشيخ مطر الحسيني رئيساً للمجلس البلدي في اللد.[١٥] بدأ المجلس الجديد المنتخب عمله بجد ونشاط وأنشأ عدة أقسام أو دوائر في البلدية، ووسع أعمالها وزاد عدد موظفيها وعمالها. قام المجلس بعملية تخطيط للمدينة، فتح بموجبها شارعين رئيسيين في المدينة وبنى خزان مياه جديداً، كما شرع في مد شبكة أنابيب لمياه الشفة لتصل إلى البيوت، وخصوصاً بيوت البلدة القديمة، كما ذكرنا.

الشارعان الرئيسيان هما: شارع الملك فيصل، الذي بدأ من مبنى البلدية واتجه جنوباً حتى وصل إلى الطريق المؤدية إلى الرملة، والتقى بطريق بن شيمن الممتد منه شرقاً. كان الشارع المذكور عريضاً ذا مسارين يفصل بينهما جادة بعرض خمسة أمتار على طول الشارع، غُرست فيها أشجار خاصة دائمة الخضرة. كذلك تمّ مدّ أرصفة مبلطة على جانبيه؛ أمّا الشارع الثاني، فبدأ من جسر الظاهر (جنداس) في شمالي المدينة واتجه جنوباً حتى وصل إلى شارع الرملة ـ اللد والتقى بشارع الملك فيصل، وسمي شارع صلاح الدين الأيوبي.

تحسنت الحالة الاقتصادية في اللد كثيراً في أوائل عهد الانتداب البريطاني، وأصبحت المدينة في حاجة إلى أيدٍ عاملة حتى من خارجها، الأمر الذي شجع سكان القرى في المنطقة المحيطة على الهجرة والاستيطان فيها، وخصوصاً العمال الزراعيين وعمال الخدمات.

قررت الحكومة إقامة مطار لهبوط وإقلاع الطائرات في فلسطين، إذ أصبحت

---

(١٥) من أقوال يوسف عيسى منير، وهو من مسنّي المدينة.

الطائرات وسيلة مواصلات مهمة بين الدول لنقل السياح والزائرين منها وإليها. اختارت الحكومة منطقة اللد مكاناً للمطار لموقعها الاستراتيجي المهم في وسط البلاد ولمرور الطرق الرئيسية عبرها. هذا بالإضافة إلى وجود أكبر محطة مواصلات للقطارات فيها. بدأ العمل على إنشاء المطار سنة ١٩٣٤، وحمل اسم المدينة، فسمّي مطار اللد. يقع المطار شمالي المدينة، على بعد نحو ٤ كلم، وقد عمل على بنائه مئات الموظفين والمهندسين والعمال من سكان المدينة ومن خارجها الذين سكن بعضهم في المدينة لقربها من المطار. استمر العمل في هذا المشروع ثلاثة أعوام، وأصبح مطار اللد المطار الوحيد في فلسطين، تستعمله الطائرات المدنية والعسكرية. وهكذا أصبحت اللد أهم مدينة مواصلات برية وجوية في فلسطين. إن شق وتعبيد الكثير من الطرق المارة في المدينة وبقربها، ومد خطوط سكة الحديد للقطارات، أوجد حاجة ماسة إلى أيدٍ عاملة وكثيرة من خارج المدينة أيضاً. لذلك استوطن أولئك العمال والمهندسون والموظفون في المدينة. كما أنشئت، فيها، أحياء خاصة بالموظفين الأجانب وغيرهم. أقيم الحي الأول غربي المدينة بالقرب من محطة القطارات، لموظفي دائرة سكة الحديد على اختلاف مهنهم. أمّا الحي الثاني، وهو أصغر من الأول، فهي حي مهندسي وموظفي مطار اللد، وقد أقيم في القسم الشرقي من المطار، وكان معظم سكانه من الأجانب. لذلك اتسعت المدينة وتطورت ونشطت أسواقها، وفتحت فيها شوارع معبدة واسعة، وأقيمت أسواق جديدة، منها المركز التجاري الذي أقيم قرب محطة القطارات، حيث كانت حركة المسافرين بالقطارات نشيطة جداً. في سنة ١٩٤١، أقامت دائرة سكة الحديد حيّاً آخر خاصاً بموظفي سكة الحديد الأجانب يقع شمالي المحطة وملاصقاً لها. كانت بيوت هذا الحي مبنية من الحجر على الطراز الإنكليزي، وسطحها من الحجر الأحمر (القرميد) وتعلو منها مدخنة، وتحيط بكل بيت حديقة جميلة. خصص هذا الحي للموظفين البريطانيين واليهود، كما فتح فيه نادٍ رياضي فيه ملعب للتنس وآخر لكرة القدم. كانت بيوت هذا الحي تضاء بالكهرباء، بينما كانت بيوت المدينة وشوارعها وأزقتها تضاء بمصابيح النفط المتنوعة. لهذا قامت البلدية بوضع أعمدة حديدية في ساحات المدينة وأماكن تقاطع الطرق، علقت عليها مصابيح نفطية قوية ذات شنابر لإضاءتها، بينما أضاءت شوارع البلدة القديمة وأزقتها بمصابيح نفطية عادية علقتها على الجدران، وعينت البلدية شخصين يعملان على إضاءة المصابيح يومياً وصيانتها. لم يصل التيار الكهربائي إلى اللد، لرفض سكانها وبلديتها التعامل مع شركة الكهرباء (روتنبرغ) اليهودية. وقد طلبت البلدية من الحكومة

السماح لها بإنشاء محطة كهرباء محلية مستقلة، لكنها رفضت طلبات البلدية المتكررة بهذا الشأن.

ثالثاً: سوق اللد الأسبوعي(١٦)

اشتهرت اللد بهذا السوق الأسبوعي منذ مئات السنين، وكان يقام كل يوم اثنين من كل أسبوع، لكنه كان يبدأ يوم الأحد بعد الظهر، عندما يصل تجار الماشية، هم وقطعانهم بأنواعها المتعددة وبأعدادها الكبيرة جداً. كان يصل إلى السوق آلاف رؤوس الغنم والماعز ومئات رؤوس البقر وعشرات الجمال، فضلاً عن مئات الحمير والخيل والبغال من جميع أنحاء فلسطين، ومن الأردن ومن غيرهما من البلاد. ويصبح السوق في هذا اليوم للتجار وهم يبيعون ويشترون. وفي الواقع، كان يوم السوق هو يوم المدينة، إذ كانت التجارة، بكل أنواعها، تنشط بصورة كبيرة، فقد كان مئات القادمين من خارج المدينة يشترون جميع حاجاتهم من أسواقها، من: حبوب وأقمشة وبقالة وخضروات وفواكه. كانت الحوانيت تمتلىء بالمشترين. بالإضافة إلى سوق الماشية، كانت تقام أسواق أُخرى في ذلك اليوم منها: سوق الأقمشة والألبسة، الذي خُصص له مكان منظم؛ سوق الخضروات بالجملة وله مكان خاص، منظم ومسقوف.

كانت البلدية تستوفي رسوماً عن المبيعات التي تجري ضمن إطار السوق الأسبوعي، فضلاً عن جباية الضرائب من التجار عن أماكن البسط. لهذا كان دخل البلدية من السوق الأسبوعي جيداً جداً، الأمر الذي مكنها من تطوير خدماتها للسكان، وتعبيد شوارع المدينة، فضلاً عن مشاريع تطوير كثيرة إضافية لمصلحة المدينة. كان سوق الحيوانات الأسبوعي يُقام في أرض بيادر المدينة، ولم يكن منظماً كما يجب. لذلك اشترت البلدية أرضاً واسعة للسوق خاصة وأحاطتها بسور حجري، كما بنت داخلها مكاتب إدارة جباية الرسوم والضرائب والخدمات الضرورية الأُخرى. ثم قامت بتأجير السوق وتضمينه لتجار من المدينة لقاء مبالغ معينة تدفع سنوياً، على أن يتحملوا مصاريف خدمات السوق. يقع السوق في الجهة الشمالية من المدينة على طريق اللد ـ المطار، وكان، كما بيّنا، مصدر دخل كبير لصندوق البلدية.

بعد أن احتلت القوات الإسرائيلية المدينة، سنة ١٩٤٨، توقف السوق عن

---

(١٦) كان يسمى «سوق البرّين» إذ إن تجار المواشي كانوا يحضرون من مختلف أنحاء الشرق الأوسط وإفريقيا.

العمل بسبب إغلاق الحدود، وعدم وجود أعداد كافية من الماشية لتُباع وتُشترى. بعد عدة أعوام من الاحتلال عينت البلدية يوم الثلاثاء من كل أسبوع لإقامة سوق للملابس والأقمشة وجميع الأدوات المنزلية. أُقيم السوق في ساحة البلدية القديمة وعلى أرصفة الشوارع المحيطة بها.

رابعاً: المواصلات في اللد

كانت اللد، منذ مئات السنين، مدينة مواصلات مهمة جداً في فلسطين، بسبب موقعها في السهل الداخلي في وسط البلاد، الأمر الذي جعلها مدينة مركزية للمواصلات. وكان معظم الطرق الرئيسية بين شمال البلاد وجنوبها وبين غربها وشرقها يلتقي فيها، ولا زال وضعها وأهميتها في هذا المجال حتى يومنا هذا، فالمحطة الرئيسية للقطارات تقع فيها، ومنها تتفرع خطوط سكة الحديد، كما تمر فيها القطارات القادمة من يافا وتل أبيب إلى القدس وبالعكس، والقطارات القادمة من الشمال وقطارات حيفا ـ القدس، وهي تحمل الركاب والبضائع. كما توجد ورشة لصيانة القطارات والعربات في المحطة، فضلاً عن قسم هندسي لصيانة خطوط السكة. بالإضافة إلى محطة القطارات المهمة، هناك مطار اللد الدولي الوحيد في فلسطين الذي يقع شمالي المدينة، وفيه تهبط ومنه تقلع الطائرات إلى جميع أنحاء العالم. كما أن الطائرات المسافرة بين مختلف دول المنطقة تهبط فيه للتزود بالوقود ولأغراض الصيانة. أمّا الطرق البرية فتمر عبر المدينة، مثل الطريق الداخلي المار من شمال فلسطين إلى جنوبها حتى مصر. وتمر حالياً الطرق الرئيسية من تل أبيب ويافا والمنطقة الساحلية إلى القدس عبر اللد. وهناك عدة طرق من اللد إلى مدينة يافا وتل أبيب، ومنها إلى الرملة، ومنها إلى القرى شرقي المدينة، تصل حتى مدينة رام الله. هناك طريق أُخرى تمتد من اللد لتصل إلى مدن قلقيلية وطولكرم عبر رأس العين والطيرة والطيبة في المثلث. أنشأ بعض أثرياء اللد والرملة، في أوائل الثلاثينات، شركة باصات وفُتحت لها مكاتب في اللد والرملة ويافا. كانت حافلاتها تسير على خطوط: ١) اللد ـ الرملة؛ ٢) اللد ـ يافا عن طريق محطة اللد مارة بصرفند والسافرية وبيت دجن ويازور ثم يافا؛ ٣) اللد ـ رام الله عن طريق بن شيمن والحديثة وبيت نبالا، وفي القرى الجبلية الكثيرة وصولاً إلى رام الله. وحددت الشركة مواعيد السفر والأسعار بالنسبة إلى الباصات. كما كان في اللد عدد لا بأس به من سيارات النقل المتوسطة والثقيلة الأُخرى. وعند ابتداء الحرب

العالمية الثانية، زاد عدد سيارات النقل بصورة كبيرة، بسبب حاجة الجيش البريطاني الكبيرة إلى مثل هذه السيارات لنقل الإمدادات العسكرية، ومواد البناء ومواد تعبيد الشوارع.

قررت حكومة الانتداب البريطاني إنشاء أول مطار في فلسطين قرب اللد. وبدأ العمل فيه سنة ١٩٣٤. وكان في البداية مطاراً موقتاً صغيراً، أُعد لاستقبال الطائرات التي كانت تحمل المسافرين والسياح القادمين إلى فلسطين، لحضور افتتاح معرض الشرق. وفي سنة ١٩٣٥، تقرر توسيع المطار، وجعله مطاراً دولياً ثابتاً بسبب ازدياد حركة السفر بالطائرات ولنقل البضائع الخفيفة. انتهى العمل فيه سنة ١٩٣٧، وكان عند افتتاحه مطاراً دولياً جاهزاً لهبوط وإقلاع مختلف الطائرات ولصيانتها وتزويدها بالوقود، كما جُهّز بجميع التجهيزات الفنية اللازمة. فتحت شركات دولية متعددة للطيران فروعاً لها فيه، ومن هذه الشركات: شركة خطوط الطيران البريطانية BAOC؛ شركة ك.ل.م. K.L.M الهولندية؛ شركة لوط LOT البولندية؛ شركة أليطاليا الإيطالية، وشركة مصر للطيران وغيرها.

كان معظم هذه الطائرات إنكليزية وفرنسية، يسافر من هذين البلدين في طريقه إلى الهند ومستعمرات أُخرى في الشرق الأقصى، وبما أنها طائرات صغيرة، لم تتمكن من قطع مسافات طويلة من دون توقف. كان المطار يعمل، في البداية، في ساعات النهار فقط لعدم وجود أجهزة للطيران الليلي. وفي الأعوام الأخيرة من حكم الانتداب البريطاني، تطورت أجهزة استقبال الطائرات في المطار، وأصبح يعمل ليلاً نهاراً. وعند اندلاع الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩م، أصبح مطار اللد مطاراً عسكرياً لطائرات الحلفاء وبقي كذلك حتى انتهائها. أُقيم في المطار بناء كبير وجميل على شكل سفينة للإدارة، بُني فوقه برج للمراقبة. كذلك، أُقيمت مكاتب لشركات الطيران المتعددة، وقاعات واسعة للمسافرين، بالإضافة إلى فندق صغير لاستقبال السياح والمسافرين.

وبإقامة هذا المطار، أصبحت اللد مدينة المواصلات الأولى والأهم في فلسطين، ولا زالت حتى يومنا هذا.

خامساً: اللد وثورة ١٩٣٦ الكبرى

قبل انتهاء الحرب العالمية الأولى بنحو عام واحد، أي في سنة ١٩١٧، أعطت الحكومة البريطانية وعداً لليهود، على لسان وزير خارجيتها بلفور الشهير، بأن تمنحهم حق إقامة وطن قومي في فلسطين بعد انتهاء الحرب. إن ذلك

الوعد المشؤوم لم يكن له أساس شرعي أو قانوني أو خُلقي، إذ إن بريطانيا لم تكن تملك فلسطين حينئذ، كما أن فلسطين لم تكن تحت حكمها. إن من لا يملك ولا يحكم لا يجوز له أن يهب أو أن يمنح شيئاً لا يملكه إلى طرف آخر. ففلسطين ملك لشعبها العربي الفلسطيني، ولا يحق لأية قوة أو أي طرف أن يتصرف فيها غير شعبها. لكن الحق والشرع، في تلك الأيام، وفي كل الأوقات، شيء ينادي ويتمسك به الضعفاء المغلوبون على أمرهم. أمّا الأقوياء فلهم شرعهم وقانونهم. إذ إن القوة هي الحق وهي التي تشرع، وأن الضعفاء لا حق لهم ولا كيان، إذ كيف نفسر خطوة بريطانيا في منح فلسطين لأناس غرباء عنها وعن شعبها، على الرغم من أنها لا تملكها وليست بلادها. إنه منطق القوة الذي لا يعترف بمفاهيم الحق والشرعية. إن القوة في مفهومها هي الحق وهي الشرع والأخلاق. لذلك ثار الشعب الفلسطيني ضد بريطانيا وقوتها العسكرية دفاعاً عن حقه في بلده ولإخراج الدولة المستبدة وقوتها العسكرية من فلسطين، ولتأسيس دولة فلسطينية تعمل على تقدم ورفاهية شعبها. وتتالت الثورات، وأهمها ثورة سنة ١٩٣٦ التي استمرت نحو ثلاث سنوات.

في تموز/يوليو ١٩٢٢، قررت عصبة الأمم، التي تأسست بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وكانت خاضعة لتأثير الدول المنتصرة ولنفوذها وعلى رأسها بريطانيا وحلفاؤها، انتداب بريطانيا على فلسطين، وبموجبه تقوم بتأهيل سكان البلاد لإدارة بلادهم بأنفسهم من دون أن تستطلع رأي سكانها في ذلك. وبما أن لبريطانيا تأثيراً كبيراً في عصبة الأمم، فقد نصت المادة الثانية من شروط الانتداب على أن تُكلف الدولة المنتدبة وضع فلسطين في حالة سياسية واقتصادية وإدارية تسمح بإنشاء وطن قومي لليهود فيها. كما سمحت المادة الرابعة للحكومة المنتدبة بإنشاء وكالة يهودية تمثل جميع يهود العالم لإسداء النصح والمشورة للدولة المنتدبة. أمّا المادة السادسة فقد نصّت على أن على الحكومة المنتدبة أن تسهل هجرة اليهود إلى فلسطين، في ظل أوضاع ملائمة لتوطينهم فيها، مع ضمانها عدم تضرر حقوق الأقسام الأُخرى من السكان وأوضاعهم.(١٧)

---

(١٧) لاحظ عزيزي القارىء أن المادة لم تذكر عرب فلسطين، بل ذكرت الأقسام الأُخرى من السكان، إذ إن المقصود هو عدم الاعتراف بوجود شعب عربي في فلسطين، بل إن هناك سكاناً مقسمين إلى طوائف، مسلمين ودروز وغيرهم ثم مسيحيين، وهم بدورهم ينقسمون إلى عدة طوائف. لهذا ليس مصادفة أن حكومة إسرائيل تدعو عرب إسرائيل (بالأقليات) ولا تعتبرهم شعباً.

بعد أن فشلت المحاولات السلمية والثورات السابقة في إقناع حكومة الانتداب البريطاني بتغيير سياستها واحترام رأي الفلسطينيين في حقهم في بلادهم، في منع سيل الهجرة اليهودية المتدفقة على فلسطين؛ في إيقاف منح اليهود الأراضي الحكومية؛ في إيقاف استيلاء اليهود على الأراضي؛ عدم السماح لهم بإقامة مستعمرات في فلسطين؛ يئس الفلسطينيون وملّوا لجان التحقيق البريطانية الكثيرة، التي حضرت إلى البلاد بحجة التعرف والتحقيق في أسباب تذمر سكان البلاد وتفجّر الثورات (كأنهم لا يعرفون)، ولم تقم بعمل شيء لمصلحة الفلسطينيين. (كانت الحكومة البريطانية ترسل هذه اللجان بهدف امتصاص التذمر وكسب الوقت)، فالهجرة استمرت في التدفق، وإنشاء مستعمرات جديدة ظل قائماً. كانت النتيجة أن قامت الهيئة العربية العليا في فلسطين برئاسة الحاج أمين الحسيني، مفتي فلسطين ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى، بإعلان إضراب عام وشامل في جميع أنحاء فلسطين، شمل جميع قطاعات الشعب ومجالات العمل كافة. كما أوعزت الهيئة بتأليف لجان قومية في مختلف المدن والقرى الفلسطينية لتنظيم السكان، والبدء بعمليات مقاومة ضد السلطات البريطانية كي توقف هجرة يهود العالم إلى فلسطين وتوقف إقامة المستعمرات اليهودية على أرضها. بدأ الإضراب العام في أيار/مايو ١٩٣٦، واستمر ستة أشهر، وتوقف في تشرين الثاني/أكتوبر من السنة نفسها. كان إضراباً عاماً وشاملاً في جميع أجزاء فلسطين، إذ أقفل جميع الأسواق والحوانيت وتوقفت المواصلات العامة وامتنع العمال والموظفون من الذهاب إلى أعمالهم، كما توقف العمل في ميناء يافا، وهو الميناء الرئيسي في فلسطين. كما أعلنت الهيئة العربية العليا العصيان المدني وعدم دفع الضرائب أو التعامل مع سلطات حكومة الانتداب. و. . . بدأت الثورة، ثورة فلسطين الكبرى، واستمرت ثلاث سنوات من سنة ١٩٣٦ حتى سنة ١٩٣٩. حدثت مناوشات ومعارك كثيرة يومية في جميع أنحاء فلسطين، اشترك فيها القرويون إلى جانب إخوانهم سكان المدن، وحاربوا قوات الجيش البريطاني وقوات الشرطة البريطانية، وعمّت التظاهرات المدن الفلسطينية، وتحولت الثورة إلى حرب مقاومة علنية مسلحة، راح ضحيتها مئات الشهداء، وعدد كبير من الجرحى وعدد أكبر من المعتقلين، هذا عدا الأضرار الاقتصادية الجسيمة التي لحقت بعرب فلسطين. فالزراعة ضعفت والأعمال التجارية توقفت تقريباً، والأشغال تعطلت بوجه عام وزادت حالات الفقر بين السكان بازدياد البطالة.

أول عمل قام به الثوار اللديون كان الهجوم على خطوط سكة الحديد.

فقد وصلتهم معلومات عن نقل الأسلحة والعتاد الحربي في القطار القادم من ميناء يافا والمتوجه إلى معسكر الجيش الإنكليزي في صرفند، فقاموا بفك بعض القضبان، وعندما مرّ القطار عليها انقلب وتدهور مع ست عربات بين قرية السافرية واللد، الأمر الذي سبب خسائر فادحة. وجدير بالذكر أن قوات الجيش الإنكليزي كانت تستعمل القطارات كثيراً لنقل الجنود والعتاد الحربي في أثناء عملياتها الحربية ضد رجال الثورة.

بتاريخ ١٩٣٦/٧/٤، نزع الثوار بعض قضبان خط سكة حديد اللد ـ حيفا قرب جسر جنداس (الظاهر) فوق مجرى الوادي الكبير، الذي يقع شمالي المدينة. ثم وضعوا مواد متفجرة تحت القضبان. كمن الثوار في القرب من المكان بانتظار وصول القطار الذي كان محملاً بالجنود والعتاد الحربي، وعندما مرّ القطار على القضبان المفككة انفجرت الألغام وانقلب إلى قاع الوادي. أطلق الثوار النار من كمينهم على الجنود الإنكليز الذين كانوا داخل القطار الأمر الذي أدى إلى وقوع خسائر كبيرة بينهم، بالإضافة إلى الخسائر المادية الكبيرة التي لحقت بالقطار وبحمولته من الأسلحة والعتاد الحربي. تمت هذه العملية البطولية بقيادة الثائر اللدي المجاهد **حافظ صقر**. انتقم الجيش الإنكليزي من هذه العملية بتطويق اللد وبفرض منع التجول فيها، كما قام بعملية تفتيش بيوت المدينة بصورة وحشية، حطم خلالها أثاث البيوت واعتقل الرجال بعد أن أشبعهم ضرباً.

بعد فترة، وفي أثناء عملية أُخرى قام بها الثوار، قبض الجنود على الثائر البطل **حافظ صقر**، وهو جريح، وعندما رفض الإدلاء بمعلومات عن أسماء رفاقه الثوار وعن أماكن وجودهم، قتله الإنكليز انتقاماً، كما قاموا بهدم ثلاثة بيوت لثلاثة من رجال الثورة. كانت هذه البيوت أول بيوت تهدم في جميع أنحاء فلسطين، طبقاً لأنظمة الطوارىء التي سُنّت لمقاومة الثورة وإخمادها. كما أنشأت الحكومة البريطانية مبنى على شبه قلعة في مكان مرتفع في المدينة من جملة المباني التي أنشئت بتخطيط المهندس البريطاني تيغارت.

كانت اللد في مقدمة المدن الفلسطينية في البدء بالمقاومة العسكرية، إذ كان الثوار يهاجمون معسكرات الجيش ومراكز الشرطة ليلاً، وينصبون الكمائن ضد وسائل مواصلات الجيش والشرطة موقعين فيهما إصابات عدة.

أوقعت هذه العمليات مئات الإصابات من قتلى وجرحى بين أفراد الجيش والشرطة البريطانيين، لذلك أقام الجيش أبراج حماية عند الجسور التي تمر عليها القطارات وكذلك في الأماكن الخطرة. ولمّا تبيّن للسلطات العسكرية أن هذه

الأبراج (طوابي) لم تجدِ نفعاً، قامت بتسيير قاطرات صغيرة على خطوط سكة الحديد أمام القطارات، كي تفحص الخطوط قبل سير القطار عليها. وبعدها صارت تحمّل الثوار المعتقلين على تلك القاطرات ليراهم الثوار المجاهدون ويمتنعوا من وضع الألغام تحت الخطوط ومن إطلاق الرصاص عليها. وكثيراً ما كان الجيش البريطاني يفرض حصاراً ونظام منع التجول على المدينة. كما كان يخرج السكان من بيوتهم في ساعات الفجر ويضعهم في ساحة البيادر، حيث يمضون النهار بكامله جالسين على الأرض، تحت وهج الشمس المحرقة من دون ماء أو غذاء. وفي المساء يفرج عن الأهالي بعد اعتقال العشرات من الشباب. تكررت هذه العمليات عدة مرات، والجيش غير آبه للأطفال والمرضى والحوامل والمسنين. أمّا بيوت المدينة فكان السكان يتركونها مفتوحة، بحجة تفتيشها من قِبل أفراد الجيش، الذين قاموا بعمليات انتقامية مثل تحطيم الزجاج وإتلاف المواد الغذائية المخزونة في البيوت، حيث كنّا نجدها مكومة فوق بعضها وقد صُبّ النفط فوقها. وعندما كنّا، نحن الأولاد، نترك الساحة لإحضار الماء للأطفال والنساء، كانوا يقبضون علينا ويضربوننا ضرباً مبرحاً، لا لذنب سوى أننا أحضرنا الماء ليشربه الأطفال والحوامل والمرضى. ومع هذا، لم تتوقف عمليات المقاومة بل كانت تزيد وتشتد انتقاماً من أعمالهم الوحشية. بعدها فرضت سلطات الجيش عقوبات جماعية بموجب قوانين الطوارىء التي سنتها الحكومة، وأعلنت بموجبها حالة الطوارىء في البلاد. أجازت هذه القوانين: اعتقال المشبوهين وإبقاءهم معتقلين لمدة طويلة من دون محاكمة؛ في استطاعة الحاكم العسكري إصدار أحكام إدارية يسجن بموجبها أي شخص من غير الثوار المجاهدين، لمدة تصل إلى العام الواحد من دون قرار محكمة؛ هدم بيوت المشتركين بالثورة المسلحة. عندما اشتدت خطورة الأعمال الحربية، التي قام بها مناضلو اللد على الرغم من العقوبات الجماعية ضد الأهالي، أقدمت القوات البريطانية على احتلال مبنى مدرسة المعارف الحكومية، وطردت الطلاب والمعلمين منها وحولتها معسكراً لقوات الجيش. وبعد مدة، قامت بطرد رئيس وأعضاء المجلس البلدي وجميع موظفي البلدية وأسكنت في المبنى وحدات عسكرية إسكتلندية، أُحضرت من بريطانيا لتعزيز قوات الجيش المعسكر في مبنى المدرسة. أصبح نظام منع التجول في المدينة شيئاً عادياً، وكان يستمر عدة أيام متواصلة تقوم في أثنائها قوات الجيش بمداهمة البيوت بصورة وحشية بحجة التفتيش عن الأسلحة وعن رجال الثورة. وفي كل مرة، كانت تعتقل العشرات من شباب المدينة وتزجهم في معسكرات اعتقال أقيمت خصوصاً لهذا الغرض،

واكتظت بمئات المعتقلين. كان الأولاد يلاحقون أفراد الجيش في شوارع المدينة وأزقتها ويرمونهم بالحجارة، تماماً مثلما فعل الأولاد الفلسطينيون في الضفة والقطاع أيام الانتفاضة. وهكذا، أصبحت المدينة من دون مدارس والأولاد يملأون الشوارع والأزقة؛ من دون البلدية وخدماتها الصحية، فتراكمت الأوساخ في الشوارع، كأن الحياة توقفت؛ فلا أعمال، والأسواق مغلقة والرجال في الشوارع وعلى الأرصفة، يتناقشون ويتجادلون في أوضاعهم.

سادساً: أولاد الحجارة

كنا تسعة أطفال وأعمارنا تراوح بين ٩ أعوام و ١٢ عاماً، لم نرد أن نتقاعس ونشاهد ما يحدث لأهلنا وجيراننا من تعذيب، ومن إهانات وإذلال لآبائنا وإخوتنا الكبار على يد جنود الجيش البريطاني. وقررنا فيما بيننا أنه يجب أن نخيف ونضايق ونقاوم الجنود الذين حضروا إلى المدينة وأغلقوا مدرستنا الكبيرة وجعلوها مقرّاً لهم مانعين إيانا من التعليم. فنظمنا أنفسنا في ثلاث جماعات صغيرة، كل واحد يحمل نقافة أو ملطاش، كما كنا نسميه. نجمع الحجارة الصغيرة المستديرة ونتربص بالجنود في شوارع وأزقة البلدة القديمة ونرجمهم بحجارتنا بقوة من مكان إلى آخر. وكم من مرة كانوا يلاحقوننا في أزقة البلدة، إذ كانت حجارتنا تخيفهم وتؤلمهم، وكنا نفرح عندما تصيبهم حجارتنا وتخيفهم. بعدما اشتدت مقاومة الثوار لجنود الجيش أحضروا نجدة عسكرية أُخرى مكونة من جنود إسكتدلنديين وأسكنوهم دار البلدية التي تقع في جوار الحي الذي نسكنه، لذلك جعلنا هدفنا دار البلدية لإخافة الجنود المقيمين بها وإزعاجهم. كنا نرجمهم بالحجارة حتى في المساء من خلال نوافذ المبنى. وكنا نطير فرحاً عند سماع صراخهم، وأحياناً كانوا يطلقون الرصاص في الهواء لإخافتنا.

في أحد الأيام، وبينما كنا نرجمهم بالحجارة، إذ بنا نجد أنفسنا وقد طوقنا الجنود من ثلاث جهات وأمسكونا وضربونا ضرباً مبرحاً حتى فقدنا وعينا وأغمي علينا. كما نسمع في أثناء ضربنا صوت المختار الذي أجبروه على مرافقتهم وهو يصيح(١٨) راجياً متحنناً الضابط المسؤول أن يأمر جنوده الإسكتلنديين أن يكفوا عن ضربنا بهذه الصورة الوحشية. ولا أنسى كيف كان يصيح قائلاً: «حرام عليكم أن تضربوا أطفالاً بهذه الوحشية. أليس لكم دين، ألا

(١٨) كان المختار من عائلة الهنيدي من اللد.

تعرفون الله، كفاكم، حرام.» لكنهم استمروا في ضربنا حتى لم نعِ ما حدث لنا. وقد أخبرني والدي، رحمه الله، أنهم جمعوا آباءنا وضربوهم بالسياط وأهانوهم. عندها تدخل قائد الشرطة العربي الذي كان يرافقهم وصاح في وجه الجنود قائلاً: «كفاكم ظلماً وإذلالاً، إنكم تضربون أناساً محترمين، كفى.. كفى.» أمّا أنا فقد لازمت فراشي أكثر من أسبوعين من تأثير الضرب والخوف كما لازمتني الحمى أيضاً.

إنني لا أنسى ولن أنسى هذه الحادثة على الرغم من مرور ٥٠ عاماً عليها.

وهكذا يصح لنا أن نفتخر أننا نحن أطفال الحجارة الأوائل دفاعاً عن اللد وعن فلسطين.

بعد ستة أشهر من الإضراب الشامل، وبعد وعد بريطانيا بالمحافظة على حقوق السكان الفلسطينيين ومصالحهم في بلادهم، وبعد أن توجهت حكومات الدول العربية بنداء إلى الفلسطينيين بإنهاء الإضراب بغية إفساح المجال أمام لجنة بيل التي أرسلتها الحكومة البريطانية إلى فلسطين لتقصي الحقائق ولمعرفة أسباب تذمر الشعب العربي الفلسطيني وقيامه بثورته الكبرى، وافقت الهيئة العربية العليا على طلب حكومات الدول العربية وأعلنت إنهاء الإضراب. وبعد أن أنهت لجنة اللورد بيل أعمالها نشرت تقريرها الذي جاء فيه أن الاضطرابات اندلعت بسبب رغبة الفلسطينيين في الاستقلال وكراهيتهم إنشاء وطن قومي لليهود في بلادهم، وتوجسهم من هذا الأمر. وأوصت اللجنة بتقسيم فلسطين إلى دولتين: دولة عربية فلسطينية تدمج مع شرق الأردن؛ دولة يهودية مع الاحتفاظ ببعض الجيوب تخضع للدولة المنتدبة. بموجب هذه التوصية تستحوذ الدولة اليهودية على ٣٣٪ من البلاد في السهل الساحلي، من الحدود اللبنانية حتى جنوبي مدينة يافا، بالإضافة إلى مناطق الجليل الخصبة. كل هذا في وقت لم يكن في حيازة اليهود في فلسطين ما يتجاوز ٥,٦٪ من مجموع أراضيها.

لم تهدأ الثورة العربية الفلسطينية، إنما زادت حدتها واشترك اليهود إلى جانب الإنكليز في القضاء عليها، وذهب ضحيتها الكثيرون من كل الأطراف، الأمر الذي حدا الحكومة البريطانية على إرسال قوات عسكرية إلى فلسطين من الجزر البريطانية مباشرة مسلحين بأسلحة ثقيلة. وأعلنت الأحكام العسكرية في جميع أنحاء فلسطين، وعينت حكاماً عسكريين لمختلف مناطق البلاد، وذلك طبقاً لقانون الطوارىء الجديد الذي فرضته حكومة الانتداب.

في أواخر سنة ١٩٣٨، ظهرت خلافات في الرأي بين أعضاء الهيئة العربية

العليا، وانسحب بعض أعضائها، وبدأت فترة الاغتيالات السياسية بين مؤيدي المجلس الإسلامي الأعلى برئاسة الحاج أمين الحسيني، وكانوا يُعرفون بـ «المجلسيين» وبين المعارضة برئاسة عائلة النشاشيبي، وكانوا يعرفون بـ «المعارضين». أدى انقسام الثورة الفلسطينية إلى إضعافها، وتحوّل معظم جهودها عن الإنكليز واليهود، إلى حرب اغتيالات بين المجلسيين والمعارضين، الأمر الذي شجع ضعاف النفوس من الفلسطينيين على التعاون مع السلطات العسكرية الانتدابية. كما زود هؤلاء السلطات بمعلومات مهمة عن أماكن وجود الثوار، ومن هم وأين يخبئون أسلحتهم، كما اشترك بعضهم في عمليات الاغتيال، بحسب طلب السلطات العسكرية البريطانية. كان الشعب يدعوهم «الجواسيس»، وأصبحت الثورة حرباً بين عرب فلسطين أنفسهم. وهكذا، وبعد أن عجزت حكومة الانتداب والجيش البريطاني الجرار المزود بأسلحة ثقيلة وحديثة، وحلفاؤهم اليهود، عن إيقاف الثورة ودكها بالوسائل العسكرية والعمليات الانتقامية ضد المدنيين العزل، نجح العرب الفلسطينيون، بعد انقسامهم ومحاربة بعضهم بعضاً، في إطفاء شعلتها وإزهاق أرواح العشرات من الفلسطينيين العرب بأيادٍ عربية.

في إثر هذا الانقسام، واعتقال أو قتل معظم رجال الثورة في المدينة على أيدي القوات البريطانية، أخذ بعض الجماعات من سكان اللد زمام القيادة المحلية. ولم تكن تلك الجماعات في مستوى يؤهلها لقيادة الثورة، وبدأت اغتيال شخصيات بارزة وثرية من المدينة، بحجة موافقتها على التقسيم البريطاني لفلسطين، ولم يكن الادعاء صادقاً، بل اتُّخذ وسيلة للقيام بالاغتيالات المذكورة. من الأشخاص الذين تم اغتيالهم، **سعيد الهنيدي والحاج علي الكرزون**، اللذان اغتيلا في أثناء صلاتهما، الأول في الجامع الكبير، والثاني في جامع دَهْمَش. بعد ذلك اغتيل **عبد المعطي الهنيدي وسليم منير وعيسى الراهب** وغيرهم. كما نُهب وأحرق عدد من الحوانيت ومخازن المؤن التي تخص بعض المغتالين. في إثر ذلك قام عدد من رجال المدينة، منهم **محمد المصري ويوسف منير**، بمقابلة **حسن سلامة (أبو علي)**، وبلّغوه حالة الفوضى والخوف الشديدين بين سكان المدينة،[١٩] ليس فقط من جراء بطش القوات البريطانية، بل بسبب أعمال الاغتيال لعدد من وجهاء المدينة، نفذها من نصّبوا أنفسهم قادة الثورة، والذين لم يكونوا في مستوى يؤهلهم لقيادتها. أجاب حسن سلامة،

---

(١٩) من أقوال يوسف عيسى منير، وكان عضواً في الوفد الذي قابل القائد حسن سلامة.

وكان قائد الثورة في وسط فلسطين، أنه لا يعلم شيئاً عن تلك الاغتيالات ولا من قام بها، وأن قيادة الثورة، في المنطقة، لم تصدر أي أمر باغتيال أي شخص من سكان اللد، وأنه يستنكر تلك الاغتيالات ويندد بها، ويدين من قاموا بها، وستعمل قيادته كل ما وسعها لوقفها، والقبض على مرتكبيها ومحاكمتهم. ويقول **محمود أبو حمد** إن الشيخ **محمد العجل** هو الذي أصدر فتوى أجاز بموجبها قتل **سعيد الهنيدي والكرزون** في أثناء الصلاة، كما أصدر فتوى أجاز بها قتل **عبد المعطي الهنيدي**، وهو من سكان اللد، **وسليم يوسف منير** وهو من أثرياء المدينة، **وعيسى الراهب** وغيرهم.[(٢٠)]

ونظراً إلى استمرار الثورة والقتال بين الثوار العرب والجيش البريطاني، نشرت الحكومة البريطانية كتاباً سمته الكتاب الأبيض، سنة ١٩٣٩، أعلنت فيه: أنه بغض النظر عن اعتراض الفلسطينيين العرب وكذلك اعتراض الوكالة اليهودية في فلسطين، ستقوم الحكومة البريطانية، كونها الحكومة المنتدبة على فلسطين، بتنفيذ ما جاء فيه، وهو ما يلي:

١ ـ إن تعهد الحكومة البريطانية بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين قد تحقق.

٢ ـ إن استمرار الهجرة الجماعية اليهودية غير المحدودة إلى فلسطين، واستحواذ اليهود على أراضٍ فيها من دون قيد، يتناقضان مع التزام بريطانيا تجاه الفلسطينيين العرب سكان البلاد.

٣ ـ السماح بهجرة ٧٥,٠٠٠ ألف مهاجر يهودي آخر إلى فلسطين خلال ٥ سنوات، وبعدها تخضع الهجرة اليهودية للقبول العربي.

٤ ـ لا يسمح بنقل ملكية الأراضي إلاّ في مناطق معينة، مع تقييده وتحريمه في مناطق أخرى لحماية الفلسطينيين وعدم اقتلاعهم من أراضيهم.

٥ ـ إنشاء دولة فلسطينية مستقلة بعد مضي عشرة أعوام شرط توفر علاقات مواتية بين الفلسطينيين واليهود (من دون ذكر كلمة عرب).

كانت ردة فعل الكثيرين من العرب إيجابية تجاه بعض البنود في الكتاب الأبيض وتحفظوا من بعضها الآخر، أمّا اليهود فقد رفضوه رفضاً باتاً، واتهموا الحكومة البريطانية بمحاولة «استرضاء العرب» لحماية مصالحهم الاستراتيجية في المنطقة. كما أن الهيئة العربية العليا رفضت هذا الكتاب أيضاً.[(٢١)]

---

(٢٠) من أقوال محمود أبو حمد.

(٢١) واصف عبوشي، «فلسطين قبل الضياع»، ص ٢٦١.

ويُذكر أن ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ أفرزت بعض المواقف لبعضهم، نذكر منهم:

سابعاً: الشيخ محمد العجل

تعلم الشيخ محمد العجل، وهو من سكان مدينة اللد، الدين الإسلامي في مدارس فلسطين، ثم التحق بجامعة الأزهر في مصر لإكمال تعليمه، لكنه لم يستطع إنهاء دراسته بنجاح، ففصل من الأزهر ورجع إلى بلده اللد، وصار يعمل خطيباً واعظاً في جامع دهمش. في سنوات الثورة الفلسطينية الكبرى التي نشبت سنة ١٩٣٦، التحق الشيخ بالثوار، وعيّن نفسه مفتياً وقاضياً للثورة. وقد أفتى بقتل بعض وجهاء المدينة، كما أجاز للثوار، في ذلك الحين، نهب حوانيتهم وحرقها بعد تفريغها من محتوياتها، وله قول مشهور قاله لرجاله، عن الشخصيات التي اغتيلت: «خذوهم وغلّوهم وعلى الشارع اطرحوهم.» في أواخر سنة ١٩٣٨، اعتقلته القوات البريطانية وقدمته إلى المحاكمة وحكم عليه بالسجن المؤبد. وفي أوائل سنة ١٩٤٨، عندما قاربت حكومة الانتداب البريطاني على فلسطين على الرحيل، بحسب قرار الأمم المتحدة، أفرجت عن جميع المساجين، ومن ضمنهم الشيخ محمد العجل. كانت اللجنة القومية في المدينة قد ألفت قيادة عسكرية للدفاع عنها ضد القوات اليهودية، التي كانت تهدف إلى احتلالها، وعينت قائداً عسكرياً للمدينة، وإذ بالشيخ محمد العجل يدعي لنفسه هذا الحق. وعندما رفضت اللجنة القومية والقيادة العسكرية ادعاءه، جمع أقاربه وأصدقاءه من المسلحين، وأعلن عزمه احتلال القيادة هو ورجاله بالقوة، لطرد القائد العسكري ومساعديه مهما كلف الأمر. لم تجد نفعاً محاولات عدة شخصيات من المدينة، لإقناعه بخطورة أعماله، وأنها ستقضي على الوفاق بين أهل المدينة وتجعلهم يتقاتلون، الأمر الذي سيوقع ضحايا كثيرين بينهم، ويلهيهم عن تحقيق هدف جميع أهل المدينة وهو الدفاع عنها ومنع احتلالها. لكنه لم يقتنع. لذا جندت القيادة جميع أفراد قواتها ووزعتهم في أماكن متعددة بقصد إفشال مخططاته في احتلال القيادة لينصب نفسه قائداً للمدينة، ولتعم بعدها الفوضى في المدينة والاقتتال بين الأهالي. عندها فقط عدل الشيخ عن تنفيذ تهديداته وانطوى على نفسه، وتنفس جميع سكان المدينة الصعداء لانتهاء تلك الفتنة اللعينة.

ثامناً: القائد حسن سلامة

عينت الهيئة العربية العليا، التي ألفها الحاج أمين الحسيني مفتي الديار الفلسطينية ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى، قادة عسكريين لجميع مناطق فلسطين، كان أحدهم القائد حسن سلامة (أبو علي) الذي عُين قائداً عسكرياً للمنطقة الوسطى الغربية في فلسطين. وكانت هذه المنطقة واسعة ومهمة استراتيجياً. كانت اللد إحدى مدن هذه المنطقة. لذلك كانت المدينة تابعة لقيادة حسن سلامة، الذي حضر إلى المنطقة ترافقه قوة عسكرية مكوّنة من عدة عشرات من المقاتلين التابعين لجيش الجهاد المقدس. يقول عارف العارف في كتابه «نكبة فلسطين والفردوس المفقود»: «إن عدد المقاتلين الذين حضروا للدفاع عن هذا القطاع بلغ ٧٥ مقاتلاً. حضر حسن سلامة إلى قيادة المدينة العسكرية ليتباحث مع قادتها في شؤون مدينة اللد، وكي يتعرف عليهم وعلى الوضع العسكري فيها.»[٢٢] ومما هو جدير بالذكر أن علاقة القائد حسن سلامة بسكان اللد لم تكن حسنة منذ ثورة ١٩٣٦، بسبب عدم موافقته على بعض الأعمال التي قام بها الثوار ضد بعض وجهاء المدينة، من دون أن يتشاوروا معه في الأمر، إذ كانوا يعملون كأنهم مستقلون، حتى إنهم لم يعترفوا بقيادته لهذه المنطقة، وخصوصاً مدينة اللد. وكان لهذا تأثير كبير في علاقته بسكان اللد وقيادتها، وخصوصاً عندما لم يتمكن من تلبية مطالب قيادة المدينة بإعطائها كمية من السلاح والذخائر، ومنها عدد من مدافع الميدان الصغيرة لتركّب على المصفحات التي تم تصفيحها في ورش المدينة، وكانت في حاجة ماسة إليها لمقاتلة المصفحات اليهودية التي كانت تحمل مثل تلك المدافع، كما أن القوة التابعة له والتي تأتمر بأمره «لا تسمن ولا تغني عن جوع»، إذ ما نفع بضع عشرات من الجنود مسلحين بأسلحة خفيفة بمعظمها لحماية منطقة واسعة ومهمة جداً مثل منطقة اللد والرملة ويافا؟! لذلك انقطعت علاقته تقريباً بالمدينة، وخصوصاً بعد نجاح اليهود في نسف مقر قيادته في عمارة الملجأ، الذي يقع بين الرملة ومستعمرة بئير يعقوف، وهو ما أدى إلى فقدانه عدداً كبيراً من قواته بين قتيل وجريح. على كل حال، كانت الفوضى تعم قيادته، والخلافات تدب بين هذه القيادة وبين اللجنة العسكرية التي ألفتها الجامعة العربية لقيادة القتال في

---

(٢٢) عارف العارف، «النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود ١٩٤٧ ـ ١٩٥٢» (صيدا ـ بيروت: منشورات المكتبة العصرية)، ج ٣، ص ٦٠٢.

فلسطين بقيادة اللواء طه باشا الهاشمي، كما بين هذه اللجنة وقيادة الجهاد المقدس برئاسة المفتي الحاج أمين الحسيني. وعندنا مثال واضح قريب منا، وهو مدينة يافا، وكيف كانت الخلافات مستعرة ومستمرة بين قيادتها المحلية وبين قيادة حسن سلامة، وبينه وبين اللجنة العسكرية. وكم من مرة عينت ضباطاً وقادةً لمدينة يافا، وكم من مرة أقالتهم وعينت آخرين بدلاً منهم. لذلك كان لكل مدينة وقرية في هذه المنطقة، قيادة محلية مستقلة تعمل منفردة، ولم يكن هناك تنسيق إلا عند الحاجة القصوى، عندها يكون هذا التنسيق متأخراً وفائدته قليلة لا تذكر. لم يبادر الشيخ حسن سلامة إلى توحيد القيادات المحلية في كل من اللد ويافا والرملة وبقية قرى هذه المنطقة التي كانت جميعها تعمل منفردة عن بقية القيادات المحلية، حتى إنه لم يسعَ إلى تأليف هيئة مكونة من جميع تلك القيادات تقوم بعملية تنسيق فيما بينها في الأمور العسكرية، على الرغم من معرفة قيادة جيش الجهاد المقدس أن القوات اليهودية تعمل جميعها تحت قيادة عسكرية مدنية واحدة. كانت تلك الفوضى هي السبب الأهم في سقوط هذه المنطقة بأيدي القوات اليهودية وفي تشريد سكانها.

من هو المناضل حسن سلامة (أبو علي)؟

الشيخ حسن سلامة (أبو علي)، الذي عُين قائداً للمنطقة الوسطى الغربية في حرب ١٩٤٨، هو من مواليد قرية قولة في قضاء اللد، التي تبعد عدة كيلومترات عن رأس العين جنوباً.

اهتم بالقضايا الوطنية يوم أُعلن الإضراب في فلسطين سنة ١٩٣٦. وقد لمع نجمه في ثورة سنة ١٩٣٨ يوم نسف هو ورفيقه **محمد سمحان** قطار حيفا ـ اللد، على مقربة من قرية ويلهلما، وهي قرية ألمانية صغيرة تسمى اليوم عطاروت. انقلب القطار وجرح وقتل عدد كبير من الجنود البريطانيين الذين كانوا فيه. اقتفى الجند أثرهما فقتلوا رفيقه، أمّا هو فأصيب بجروح، لكنه تمكن من الفرار وغادر البلاد. نزل العراق والتحق بالجيش هناك، واشترك مع من اشترك من الفلسطينيين في الثورة التي قادها رشيد عالي الكيلاني ضد الإنكليز. ولما أخمد الإنكليز تلك الثورة، بمساعدة الجيش الأردني بقيادة غلوب باشا، توجه إلى إيران ومنها سافر إلى ألمانيا. وهناك تم تدريبه في شؤون القتال والألغام. عاد إلى فلسطين سنة ١٩٤٥، مع زميل له اسمه **ذو الكفل عبد اللطيف**، وثلاثة من الألمان في طائرة هبطت في غور أريحا، بقصد إشعال ثورة في فلسطين ضد اليهود وحماتهم الإنكليز. اكتشفت السلطات الإنكليزية أمرهم، وألقت القبض على ذو الكفل واثنين من مرافقيه الألمان،

وأمّا هو (أي حسن سلامة) والشخص الألماني الثالث فقد اختفيا في العباسية (قرية قرب اللد) حيناً، ثم فرّا إلى سورية. بقي الشيخ حسن سلامة هناك حتى صدور قرار التقسيم الذي أصدرته الأمم المتحدة في ١٩٤٧/١١/٢٩، فعهد إليه المفتي الحاج أمين الحسيني قيادة المناضلين في القطاع الغربي للمنطقة الوسطى. يمتد هذا القطاع من مدينة يافا على ساحل البحر حتى منطقة وادي الصرار، التي تقع على طريق يافا ـ القدس شرقاً. كان، رحمه الله، مخلصاً ومؤمناً بعدالة قضيته وبعروبة فلسطين، جريئاً مغامراً شجاعاً. وقد جرح ثلاث مرات، الأولى، عندما نسف القطار على خط حيفا ـ اللد سنة ١٩٣٨. وقد أطلق حينها شعر لحيته ليخفي نفسه عن أنظار السلطة، فلقبه الناس بـ «الشيخ»؛ أمّا الإصابة الثانية فكانت في ١٩٤٨/٤/٥؛ والثالثة والأخيرة، والتي قضى نحبه من جرائها، كانت في معركة تحرير رأس العين، والتي خاض غمارها بتاريخ ٣٠ ـ ١٩٤٨/٥/٣١، ونقل في إثرها إلى المستشفى الميداني في اللد. كانت إصابته خطرة جداً، إذ أصيب في رئتيه بعدد من شظايا قنبلة مورتر، أطلقها اليهود على سيارته قرب رأس العين. كما أُصيب معه عدد من مرافقيه المناضلين. استشهد حسن سلامة بعد نقله من مستشفى اللد إلى مستشفى البعثة المصرية بالرملة.

تاسعاً: اللد مركز قضاء

كانت مدينة اللد تابعة إدارياً لمدينة الرملة، التي كانت مركزاً لمنطقة واسعة تضم معظم قرى المنطقة الوسطى من فلسطين. كما كانت مقرّاً للقائمقام المسؤول إدارياً عن القضاء، وهو ممثل السلطة الأعلى والمسؤول عن جميع دوائر الحكومة الموجودة فيه، فضلاً عن البلديات والمجالس البلدية والمحلية في مختلف القرى الكبيرة. أمّا القرى الصغيرة فكان يديرها المختار، وهو حلقة الوصل بين دوائر الحكومة المتعددة في القضاء وبين سكان القرية. وعندما تطورت اللد واتسعت وزاد عدد سكانها، كما زاد عدد سكان القرى وحاجاتهم، بادرت الحكومة إلى إعلان مدينة اللد مركزاً للقضاء. وتم تعيين قائمقام مسؤول عن القضاء الجديد، الذي ضم جميع القرى الواقعة شمالي المدينة وشرقيها. اختيرت دار كبيرة ملائمة، يملكها خميس الأصبح لتكون دائرة قائمقام القضاء ودائرة المالية ودائرة التموين، ولا تزال تُستعمل هذه الدار لعدد من دوائر البلدية. كما أُنشىء باللد دائرة صحة ومركز لرعاية الأمومة والطفولة ودائرة بريد

ومركز للشرطة في عمارة (تيغارت)، بالإضافة إلى مكاتب دائرة سكة الحديد ودائرة الطيران المدني ودائرة الأرصاد الجوية ومكاتب شركات الطيران الدولية ودائرة الجمارك والمكوس وغيرها.

فيما يلي قائمة بأسماء قرى قضاء اللد الذي أنشىء في أوائل الأربعينات (١٩٤١ ـ ١٩٤٢)، وعدد سكانها يومئذٍ ومساحة أراضيها:

١ ـ **مجدل الصادق أو مجدل يابا**: كان عدد سكانها أكثر من ١٥٠٠ نسمة سنة ١٩٤٥. بلغت مساحة مسطحها نحو ٦٠ دونماً، أمّا مساحة أراضيها فكانت ٢٦,٦٣٢ دونماً، يملك اليهود منها ٥٩٦ دونماً. وتبعد نحو ١٧ كلم شمالي المدينة.

٢ ـ **قولة**: تقع شمالي شرقي اللد على بعد نحو ١٢ كلم منها. بلغ عدد سكانها أكثر من ١٠٠٠ نسمة سنة ١٩٤٥. كما بلغت مساحة أراضيها ٤٣٤٧ دونماً. إن قرية قولة هي بلدة المجاهد الفلسطيني الشهيد الشيخ حسن سلامة، رحمه الله.

٣ ـ **المزيرعة**: تقع شمالي شرقي اللد، وتبعد عنها نحو ١٠ كلم. بلغ عدد سكانها أكثر من ١١٠٠ نسمة سنة ١٩٤٥. أمّا مساحة أراضيها فكانت ١٠,٨٢٢ دونماً.

٤ ـ **قرية الطيرة (طيرة دندن)**: تقع شمالي اللد، وتبعد عنها نحو ٧ كلم. بلغ عدد سكانها نحو ١٣٠٠ نسمة سنة ١٩٤٥. كانت مساحة أراضيها ٦٩٥٦ دونماً.

٥ ـ **بيت نبالا**: تقع شمالي شرقي المدينة، وتبعد عنها نحو ٩ كلم. وهي قرية كبيرة بلغ عدد سكانها أكثر من ٢٣٠٠ نسمة سنة ١٩٤٥. أمّا مساحة أراضيها فكانت نحو ١٢ ألف دونم.

٦ ـ **الحديثة**: تقع شرقي المدينة وتبعد عنها نحو ٣ كلم. بلغ عدد سكانها نحو ٤٠٠ نسمة سنة ١٩٤٥.

٧ ـ **دانيال**: تقع جنوبي شرقي اللد، وتبعد عنها نحو ٤ كلم. بلغ عدد سكانها نحو ٧٥٠ نسمة سنة ١٩٤٥. كما بلغت مساحة أراضيها ٧١١٠ دونمات.

٨ ـ **دير أبو سلامة**: هي قرية صغيرة تقع شرقي المدينة وتبعد عنها نحو ٤ كلم. بلغ عدد سكانها نحو ٧٠ نسمة سنة ١٩٤٥.

٩ ـ **خربة الضهيرية**: تقع جنوبي شرقي المدينة. كان عدد سكانها نحو ١٠٠ نسمة سنة ١٩٤٥، وبلغت مساحة أراضيها ١٣٤١ دونماً.

١٠ ـ **جمزو**: تقع جنوبي شرقي المدينة وتبعد عنها نحو ٥ كلم. بلغ عدد سكانها نحو ١٥٠٠ نسمة سنة ١٩٤٥، وبلغت مساحة أراضيها ٩٦٨١ دونماً.

١١ ـ **بُدرُس**: تقع شرقي المدينة وتبعد عنها نحو ٧ كلم. كانت مساحة أراضيها ٧٩٣٥ دونماً، وقدر عدد سكانها بنحو ٥١٠ نسمة سنة ١٩٤٥. تعتبر اليوم من قضاء رام الله.

١٢ ـ **المِدْية**: تقع جنوبي شرقي المدينة وتبعد عنها نحو ٨ كلم. بلغ عدد سكانها سنة ١٩٤٥ نحو ٣٢٠ نسمة، وبلغت مساحة أراضيها ٧٠٢٠ دونماً. تعتبر اليوم من قضاء رام الله.

١٣ ـ **التّينة**: تقع شرقي المدينة وتبعد عنها نحو ١٠ كلم. مساحة أراضيها ٧٠٠٠ دونم. كان يسكنها نحو ٧٥٠ نسمة سنة ١٩٤٥.

١٤ ـ **دير قديس**: تقع شرقي المدينة وتبعد عنها نحو ١٢ كلم. بلغت مساحة أراضيها نحو ٨٣٢٤ دونماً. كان عدد سكانها ٤٠٠ نسمة سنة ١٩٤٥. تعتبر اليوم من أعمال رام الله.

١٥ ـ **نعلين**: تقع شرقي المدينة وتبعد عنها نحو ١٠ كلم. بلغت مساحة أراضيها ١٥,٨٧٥ دونماً، وكان عدد سكانها سنة ١٩٤٥ نحو ١٤٢٠ نسمة. تعتبر اليوم من قضاء رام الله.

١٦ ـ **رنتيس**: تقع شمالي شرقي اللد وتبعد عنها نحو ١٦ كلم. بلغت مساحة أراضيها ٣٠,٩٣٣ دونماً. قدر عدد سكانها سنة ١٩٤٥، نحو ١٢٨٠ نسمة. تتبع قضاء رام الله منذ سنة ١٩٤٨.

١٧ ـ **اللُّبَّن**: تقع شمالي شرقي اللد وتبعد عنها نحو ٢٠ كلم ويطلق عليها اسم اللبن الغربي تمييزاً لها من اللبن الشرقي في قضاء نابلس. في سنة ١٩٤٥، قُدّر عدد سكانها نحو ٢٤٠ نسمة. تتبع اليوم قضاء رام الله. كانت مساحة أراضيها ٩٨٥٤ دونماً.

١٨ ـ **شبتين**: تقع شرقي اللد وتبعد عنها نحو ١٢ كلم. بلغ عدد سكانها

نحو ١٥٠ نسمة سنة ١٩٤٥، وبلغت مساحة أراضيها ٤٤٢٣ دونماً. تعتبر اليوم من قضاء رام الله.

١٩ ـ **خربتا**: تقع جنوبي شرقي اللد وتبعد عنها نحو ١٦ كلم. بلغت مساحة أراضيها ٧١٢٠ دونماً. كان عدد سكانها ٦٥٠ نسمة سنة ١٩٤٥، وهي اليوم من قضاء رام الله.

٢٠ ـ **شُقبة**: تقع شرقي اللد وتبعد عنها نحو ١٥ كلم. قُدر عدد سكانها نحو ٨٤٠ نسمة سنة ١٩٤٥. بلغت مساحة أراضيها ١٥,٠١٣ دونماً، وهي اليوم من أعمال رام الله.

٢١ ـ **دير طريف**: تبعد نحو ١١ كلم إلى الشمال الشرقي من اللد. بلغت مساحة أراضيها ٨٧٥٦ دونماً، وعدد سكانها نحو ١٧٥٠ نسمة سنة ١٩٤٥.

لم يكن التعليم في عهد الانتداب البريطاني إلزامياً، على الرغم من كونه مجانياً في المدارس الحكومية التي لم تكن تتسع لجميع طلاب وطالبات المدينة. وكان في المدينة مدرستان حكوميتان:

١ ـ **مدرسة البنين**: بدأت هذه المدرسة عملها بعد احتلال القوات البريطانية المدينة وإنهاء الحكم العسكري وبداية الحكم المدني للانتداب البريطاني. وقد بدأت في بناية المدرسة الحكومية العثمانية القديمة (المكتب)، وكان عدد صفوفها أربعة، أي حتى الرابع الابتدائي. ثم أخذت تتقدم وتتسع في صفوفها وبرامجها حتى أصبحت مدرسة ابتدائية كاملة في العام الدراسي ١٩٣٢ ـ ١٩٣٣، وزاد عدد طلابها على ٣٠٠ طالب. أُضيفت لهذه المدرسة بناية ذات طبقتين فيها ثماني غرف تدريسية واسعة، فزاد عدد صفوفها وعدد طلابها الذين بلغوا سنة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٧ نحو ٦٠٠ طالب. كما أصبح فيها ١٢ معلماً عينتهم دائرة المعارف، ومعلمان اثنان على حساب لجنة المعارف البلدية. في سنة ١٩٣٢ ـ ١٩٣٣، أُلحق بالمدرسة منزل للطلاب المتفوقين من مدارس القرى المجاورة يتسع لسبعة وثلاثين طالباً، جُهز بالأسرّة وبمطبخ كبير مع قاعة للمطالعة. وفي إبان الحرب العالمية الثانية، أُضيفت للمدرسة بناية تتكون من ست غرف. نتيجة عدم وجود الأسمنت بسبب الحرب، بُنيت هذه البناية بحسب النموذج القديم ذي الأقواس (العقود). وفي سنة ١٩٤٦، أضيف للمدرسة صف ثانوي أول، وفي العام الدراسي التالي افتتح فيها صف ثانوي ثان. وبلغ عدد طلاب المدرسة نحو ٧٠٠ طالب في السنة الدراسية ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨، موزعين

على ١٩ صفاً يعلمهم ٢٤ معلماً، منهم اثنان على حساب لجنة المعارف البلدية. ضمت مكتبة المدرسة أكثر من ٨٠٠ كتاب في الموضوعات المتعددة. أمّا مساحة المدرسة فبلغت نحو ١٤ دونماً خُصص جزء منها للتعليم الزراعي.

٢ ـ **مدرسة البنات**: افتتحت هذه المدرسة في بداية الحكم المدني للانتداب البريطاني على فلسطين، وتقع شرقي مدرسة البنين في أرض بيادر المدينة. وفي سنة ١٩٤٠، أصبحت مدرسة ابتدائية كاملة. وفي أوائل سنة ١٩٤٨، بلغ عدد طالباتها ٤٠٠ طالبة تقريباً وعدد معلماتها ٩ معلمات. ضمت مكتبتها أكثر من ٧٥٠ كتاباً. كانت لجنة المعارف قررت إقامة بناء جديد لهذه المدرسة، لكن أُجّل ذلك بسبب الأوضاع التي تمر بها البلاد.

كذلك كان في المدينة عدد من المدارس الأهلية، منها:

١ ـ **المدرسة الصلاحية للبنين**: ضمت خمسة صفوف، وبلغ عدد طلابها نحو ٢٠٠ طالب علمهم ستة معلمين. أسس المدرسة **أحمد المصري والشيخ حسين حسونة**، ولم يكن التعليم فيها مجانياً.

٢ ـ **مدرسة السكة الغربية**: ضمت أربعة صفوف، وبلغ عدد طلابها ١٥٠ طالباً وعدد معلميها أربعة، ولم يكن التعليم فيها مجانياً.

٣ ـ **مدرسة المحطة**: كان فيها ثلاثة صفوف، وبلغ عدد طلابها نحو ١٠٠ طالب وعدد معلميها ثلاثة، ولم يكن التعليم فيها مجانياً.

٤ ـ **المدرسة البروتستانتية C.M.S.**: ضمت خمسة صفوف ابتدائية، وبلغ عدد طلابها نحو ١٨٠ طالباً وطالبة، وفيها ستة معلمين ومعلمات، كان يديرها المعلم جريس مسلم.

٥ ـ **المدرسة الأرثوذكسية**: ضمت أربعة صفوف، وبلغ عدد طلابها وطالباتها نحو ١٤٠ طالباً وطالبة وعدد معلميها أربعة. كانت هذه المدرسة تتبع جمعية القديس جاورجيوس الأرثوذكسية الخيرية باللد، كما تحملت دائرة معارف البطريركية الأرثوذكسية في القدس بعض نفقاتها. كان التعليم فيها مجانياً.

هذا بالإضافة إلى عدد من مدارس الكتّاب الصغيرة التي كانت تعلم القرآن الكريم واللغة العربية، على أيدي بعض المشايخ الذين كانوا يتقاضون أجوراً عينية، مثل المواد الغذائية. كما كان عدد من طلاب المدينة يتعلمون في المدارس الثانوية في يافا والرملة.

وهذا جدول بعدد طلاب وطالبات اللد في ١٩٤٦/١/١ :[٢٣]

	مدارس حكومية	مدارس أُخرى	المجموع
عدد الطلاب في المدينة	٧٣٤	٧١٣	١٤٤٧
عدد الطالبات في المدينة	٣٦٤	٢٣٨	٦٠٢
مجموع عدد الطلاب والطالبات	١٠٩٨	٩٥١	٢٠٤٩

عاشراً: الحياة العامة في اللد

كانت الحالة الاقتصادية مزدهرة ومتطورة، إذ اتسعت المدينة، وبني فيها مئات المنازل الجديدة، وعُبدت فيها عدة طرق رئيسية وفرعية، جُعل على جانبيها أرصفة لا بأس بها للمارة، غرست بالأشجار دائمة الخضرة. وبُني أيضاً عدد من الأسواق، وخصوصاً في الأحياء الجديدة البعيدة عن مركز المدينة. كما فُتحت عدة ورش للنجارة والحدادة وغيرهما بسبب اتساع حركة العمران. وبسبب اندلاع الحرب العالمية الثانية أقيمت معسكرات جديدة للجيش في بيت نبالا، وقرب مطار اللد وفي صرفند. وصارت هناك حاجة ماسة إلى أيد عاملة من جميع الكفاءات. وبما أن اللد قريبة من تلك المعسكرات، التحق عمالها وحرفيوها وموظفوها بالعمل في تلك المعسكرات في المجهود الحربي، وكانوا يتلقون أجوراً عالية نسبياً. فضلاً عن ذلك، قدم المدينة أناس كثيرون استقر معظمهم بها، إذ وجدوا فيها وحولها أعمالاً لهم. لذلك انتعشت الحياة الاقتصادية وعمّ الرخاء وكثرت حركة البناء وانعدمت البطالة تماماً. وقد اتسعت نشاطات البلدية وزاد عدد مكاتبها وموظفيها، كما نشطت حركة النقل والمواصلات العامة والخاصة فزاد عدد السيارات كثيراً، على تنوعها، وخصوصاً سيارات الشحن الثقيلة، التي اشترى الكثيرون من السكان عدداً كبيراً منها للعمل في خدمة الجيش البريطاني. كان بعض هذه السيارات يعمل ليلاً نهاراً في نقل مواد البناء لمعسكرات الجيش التي كانت تتوسع شيئاً فشيئاً. زادت حركة القطارات كثيراً، فتم مدّ عدة خطوط للقطارات إلى معسكرات الجيش المتعددة، الأمر الذي تطلب أعداداً كبيرة من العمال الفنيين وسائقي القطارات ومساعديهم. ثم فتحت ورشة كبيرة في محطة القطارات المركزية في اللد لصيانة القطارات

(٢٣) بحسب إحصاء دائرة المعارف الحكومية في فلسطين.

وعرباتها، ولصيانة خطوط سكة الحديد. لهذا استوطن المدينة عدد كبير من الفنيين وسائقي القطارات وخصوصاً من شمال البلاد. كما توسع مطار اللد الدولي وزادت حركة الطائرات فيه، وخصوصاً الطائرات العسكرية. اضطرت كل هذه العوامل المجلس إلى الموافقة على إدخال التيار الكهربائي المدينة، وذلك بعد رفضه، سنوات طويلة، التعامل مع شركة روتنبرغ اليهودية. لذا، تعاقدت البلدية مع شركة الكهرباء على مد شبكة كهرباء كافية لسد حاجات المدينة. ودفعت البلدية مبلغاً كبيراً من المال لبدء العمل، فحضر مهندسو الشركة ووضعوا مخططاً لإدخال الكهرباء، كما وضعوا علامات خاصة لمواقع أعمدة الشبكة، وكان ذلك في أوائل سنة ١٩٤٧، لكن العمل لم يتم بسبب اضطراب الحالة الأمنية وتعكّر الجو بين عرب فلسطين واليهود فتوقف العمل كلياً في المشروع.

أمّا الحياة الاجتماعية في اللد فتمثلت في العلاقة الجيدة بين جميع السكان من دون استثناء، وخصوصاً بين المسيحيين والمسلمين. اتسمت العلاقة بالصداقة والتعاون وحسن الجوار، ولم يكن هناك أحياء خاصة للطوائف الدينية المختلفة. ثم بعد انتهاء الثورة نشأت في المدينة عدة أندية ثقافية ورياضية منها: **النادي الرياضي الثقافي الإسلامي، والنادي الأرثوذكسي والنادي الإسلامي، ونادي المسيحيين العرب** وغيرها. كان لتلك الأندية تأثير ملحوظ في الحياة الاجتماعية والثقافية والرياضية في المدينة. كما كان هناك عدة سرايا كشفية ضمت المئات من الشبيبة وفرقاً موسيقية جيدة، أصبحت مفخرة المدينة. تكونت عدة فرق رياضية لكرة القدم، مثلت اللد في مختلف المباريات القطرية في فلسطين، وشجعها السكان وافتخروا بها. أمّا الألعاب الرياضية الأخرى التي مارسها شباب اللد في الأندية فهي: الركض؛ القفز العالي؛ القفز العريض وغيرها. ونظراً إلى النشاط العمالي الكبير وكثرة العمال وأماكن العمل، فقد تأسست **جمعية العمال العرب في اللد** التي اهتمت بتنظيم العمال في نقابات مهنية للمحافظة على مصلحتهم فيما يتعلق بشروط العمل والأجور وللمحافظة على حقوقهم الأُخرى ومساعدتهم في إيجاد أعمال منتظمة. اهتمت الجمعيات الخيرية بمساعدة الفقراء والمحتاجين واليتامى، بالإضافة إلى دائرة الشؤون الاجتماعية البلدية، ودائرة الشؤون الاجتماعية الحكومية.

كانت الحياة الصحية في المدينة حسنة نسبياً، إذ كان في المدينة في أواسط الأربعينات، أربعة أطباء منهم ثلاثة مقيمين بها. أمّا المستوصف الحكومي في مدينة الرملة، وهي قريبة من اللد، فكان يعالج المرضى من فقراء الناس مجاناً، وتعطى لهم الأدوية مجاناً. يجب ألاّ ننسى العيادة الطبية للإرسالية

المسيحية الإنكليزية، التي كانت تفتح أبوابها يومياً لمعالجة المصابين بالجروح ورمد العيون، ويحضر طبيب من المستشفى الإنكليزي التابع للإرسالية مرتين أسبوعياً لمعالجة المرضى من المدينة ومن القرى المحيطة بها. كان في المدينة صيدليتان تعملان يومياً حتى ساعات المساء: الأولى، صيدلية **قريش**؛ والثانية يملكها **عازر كته**، وهو من سكان مدينة الرملة.

أمّا في مجال الطب الوقائي، فقد كانت دائرة الصحة الحكومية تقوم بتطعيم السكان، وخصوصاً الأطفال، ضد الأمراض المعدية الكثيرة. وعند الحاجة كانت تهتم بتطعيم جميع السكان عند ظهور الأوبئة منعاً من انتشارها. ومن أعمالها أيضاً تطهير المستنقعات من الجراثيم وتجفيفها؛ التفتيش عن الأماكن التي تتوالد فيها الحشرات ورشها بمواد بترولية وغيرها. كان في المدينة أيضاً مركز صحي لرعاية الأمومة والطفولة. لذلك خفت حدة الأمراض وانخفضت نسبة الوفيات وخصوصاً بين الأطفال، كما ارتفعت نسبة الزيادة الطبيعية بين السكان. أمّا بالنسبة إلى مياه الشفة فكانت تضخ من بئرين تملكهما البلدية ـ الأول في الجهة الشرقية من المدينة؛ والثاني في الجهة الغربية منها ـ إلى خزانين كبيرين عاليين. لذلك كانت مياه الشفة تصل إلى جميع منازل المدينة حتى العالية منها. وتقوم السلطات الحكومية والبلدية بفحص المياه من وقت لآخر للتثبت من صلاحيتها.

حادي عشر: زيارة الأمير عبد الله بن الحسين للمدينة(٢٤)

بعد الاتفاق الذي تم بين الحكومة البريطانية، الدولة المنتدبة على فلسطين وشرق الأردن، وبين الأمير عبد الله بن الحسين، أمير شرق الأردن، بشأن حصول الأردن على استقلاله وإقامة المملكة الأردنية الهاشمية، توجه الأمير عبد الله إلى لندن، العاصمة البريطانية، لتوقيع هذا الاتفاق رسمياً، وترتيب العلاقات بين الطرفين. وفي طريقه إلى مطار اللد للسفر منه إلى إنكلترا، قام سموه بزيارة المدينة بناء على دعوة من بلديتها. وقد استعدت بلدية المدينة، لاستقباله استقبالاً رسمياً حافلاً، فجندت جميع الفرق الكشفية التي بلغ عدد أفرادها نحو ٥٠٠ كشاف، وطلبت من السكان الحضور إلى ساحة البلدية في

(٢٤) كان ذلك في صيف سنة ١٩٤٦.

الموعد المقرر للزيارة، كما دعت جميع أعضاء المجلس البلدي، ومعهم جميع وجهاء المدينة إلى استقبال الضيف الكبير، واصطفت الفرق الكشفية بطبولها وموسيقاها على جانبي شارع الملك فيصل بن الحسين حتى مبنى البلدية.

وفي الساعة المقررة، وصل ركب الضيف الكبير ومعه حاشيته ومرافقوه، تحرسهم ثُلَّة من الجيش الأردني بقيادة غلوب باشا ـ وهو جنرال في الجيش البريطاني، عينه سمو الأمير عبد الله قائداً عاماً للجيش الأردني ـ وبمساعدة عدد من الضباط البريطانيين. عند وصول ركب سمو الأمير أول شارع الملك فيصل بن الحسين، عزفت موسيقى الفرق الكشفية، وقرعت الطبول احتفاء بالضيف الكبير، وكان سموه يحيّي آلاف المرحبين به من سكان المدينة ومن قضائها وهو داخل سيارته. عند وصول الموكب إلى مبنى المجلس البلدي ترجَّل سموه وحيّا مستقبليه، ثم صعد وحاشيته وضباطه إلى قاعة المجلس البلدي، فرحب بسموه رئيس البلدية وأعضاؤها وبعض وجهائها، وكان عدد من الجنود الأردنيين وضباطهم يحيطون بمبنى البلدية لحراسة سمو الأمير.

وفي أثناء تقديم القهوة للضيف الكبير وحاشيته، إذ بأحد سكان المدينة من عائلة الحسيني، يصيح قائلاً: «ثلاث مرحات للحاج أمين الحسيني، مفتي فلسطين الأكبر وحاكمها الأوحد، مرحى، مرحى، مرحى»، وردّ عليه آلاف الأشخاص قائلين: «مرحى، مرحى، مرحى»، وكان صوتهم يسمع كالهدير. ولما سمع سمو الأمير هدير الجمهور محيياً الحاج أمين الحسيني بدلاً منه، قام وترك فنجان القهوة ونزل هو ومرافقوه إلى سياراتهم، وبدت على وجهه أمارات الغضب. وقد غادر الأمير ومرافقوه المدينة بسرعة. ويقول البعض إن سمو الأمير عبد الله كان يحلم عند رجوعه ملكاً من لندن، أن يضم القسم العربي من فلسطين إلى مملكته. ولهذا كان يعتبر أن المفتي الحاج أمين الحسيني منافس له ويقف حجر عثرة في وجه طموحاته.

ويعزو بعض سكان المدينة عدم إرسال قوات أردنية نظامية كافية لحماية المدينة سنة ١٩٤٨ إلى هذا السبب.

الفَصْل الثّالِث
اللّدّ بَعْد قرار التقسيم

جنّدت بريطانيا، في أثناء الحرب العالمية الثانية، جنوداً من جميع مستعمراتها وجميع من يرغب في التطوع ضمن قواتها في حربها ضد قوات المحور، المتمثلة بألمانيا وإيطاليا واليابان. من ضمن هؤلاء المتطوعين تشكلت فرقة يهودية بحتة من مختلف أقطار العالم. اشترط اليهود أن يُسمح لهم بالهجرة إلى فلسطين بعد انتهاء الحرب، وقد وافقت الحكومة البريطانية على ذلك. بلغ عدد أفراد هذه الفرقة عدة آلاف من الضباط والجنود المدربين والمسلحين جيداً.

عندما زحف الجيش الألماني، بقيادة الجنرال رومل الشهير، من مدينة طبرق الليبية، التي تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط، متجهاً إلى الحدود المصرية بقصد احتلالها، قامت الحكومة البريطانية بتجنيد عدة آلاف من سكان فلسطين، أكثريتهم الساحقة من اليهود، بحجة مقاومة الجيش الألماني الذي اقتحم الحدود المصرية ووصل موقع العلمين. انضم الجنود والضباط اليهود الذين بلغ عددهم ١٤٠٠ ضابط وجندي، إلى قوة حراس المستعمرات، ما عدا قوات الهاغاناه ورجال المنظمات اليهودية الأخرى مثل المنظمة العسكرية[١] القومية ومنظمة محاربي[٢] إسرائيل. بلغ مجموع عدد القوات اليهودية المختلفة في أواخر حكم الانتداب البريطاني في فلسطين نحو ٥٠ ألف ضابط وجندي. وقد أصبح هذا الجيش هو الجيش الإسرائيلي عند قيام دولة إسرائيل. كان جيشاً متكاملاً له ضباطه وقيادته، مسلحاً بأسلحة جيدة من ضمنها أسلحة ثقيلة كالمدرعات والمدفعية والقوة البحرية والقوة الجوية. كان في حيازته مخازن أسلحة ضخمة مليئة بآلاف الأطنان من الأسلحة والذخائر، فضلاً عن وجود صناعة عسكرية تمد الجيش بالمدرعات وبمختلف أنواع الأسلحة والذخائر وقطع الغيار. عند بدء المعارك، بعد إعلان قيام دولة إسرائيل، بلغ عدد أفراد

---

(١) الاسم المختصر إيتسل } وهما منظمتان متطرفتان جداً.
(٢) الاسم المختصر ليحي }

هذا الجيش نحو ٦٢ ألفاً،[٣] منظمين في فرق مشاة ومدرعات ومدفعية وقوات جوية وقوات بحرية، منهم ضباط وجنود تطوعوا من دول أوروبا وأميركا وكانوا مدربين جيداً، لأنهم اشتركوا في الحرب العالمية الثانية.

أمّا الوضع في الجانب العربي الفلسطيني، فكان فوضى تامة. فالمدن والقرى الساحلية في مركز البلاد، التي كانت تقع في أهم وأخطر منطقة لم تكن منظمة تنظيماً جيداً. كانت مدينة يافا الملاصقة لتل أبيب تنظم نفسها، وفيها حامية محلية مسلحة بأسلحة خفيفة، ولم يكن هناك قيادة عسكرية مدربة. وعملت هذه الحامية كفرقة مطافىء، تقوم بالدفاع عن المدينة عندما تهاجمها قوات الهاغاناه التي كانت تحتفظ دائماً بزمام المبادرة وتقرر أين ومتى تهاجم، وكانت تعمل كجيش نظامي كثير العدد والعدة، له قيادة عسكرية قطرية مدربة تدريباً جيداً. ولم يكن هناك أي تنسيق يُذكر بين حامية يافا وقيادة المنطقة الوسطى بقيادة حسن سلامة، ولا بينه وبين قيادة اللجنة العسكرية التي ألفتها الجامعة العربية للدفاع عن فلسطين، ولا بين قوات اللد والرملة المسلحة. ومع هذا أرسلت قيادة اللد وحدة مسلحة[٤] لمساعدة يافا تمركزت في سكنة أبو كبير، وبقيت هناك تدافع وترد هجمات اليهود إلى أن قررت الهاغاناه القيام بهجوم عام وشامل وبأعداد كبيرة جداً على مدينة يافا واحتلتها. عندها انسحبت هذه الحامية ورجعت إلى اللد فهي لم تكن كثيرة العدد ولا العدة، ولا يمكنها التصدي لقوات الهاغاناه التي كانت تفوقها في ذلك كثيراً.

كانت الهيئة العربية العليا، برئاسة الحاج أمين الحسيني، مفتي فلسطين، والتي نصبت نفسها حكومة لفلسطين العربية، شبه مشلولة تحيط بها الفوضى من كل جانب؛ فلا قيادة عسكرية تعمل داخل البلاد، ولا قادة عسكريين أكفاء على مستوى المسؤولية. لم تقم بتجنيد الشبان العرب في البلاد وتدريبهم وتنظيمهم ليعملوا كجيش منتظم. لذلك كانت قوات كل مدينة وقرية تعمل منفردة من دون تنسيق فيما بينها، وتدافع عن مدينتها وقريتها عندما تُهاجم، كما لم يكن لها قادة عسكريون مدربون. رحلت الهيئة العربية العليا وجعلت مقرها في دمشق، العاصمة السورية، بعيداً عن مجرى الأحداث والمعارك التي كانت دائرة في البلد. عينت الهيئة العربية العليا القائد الثائر حسن سلامة، قائداً للمنطقة الوسطى

---

(٣) بني موريس، «ولادة مشكلة اللاجئين الفلسطينيين»، ص ٤٣٤ ـ ٤٤٨.

(٤) يقول عارف العارف، في «نكبة فلسطين والفردوس المفقود»، «إن عدد المقاتلين الذين حضروا مع حسن سلامة إلى هذه المنطقة بلغ ٧٥ مقاتلاً»، ج ٣، ص ٦٠٢.

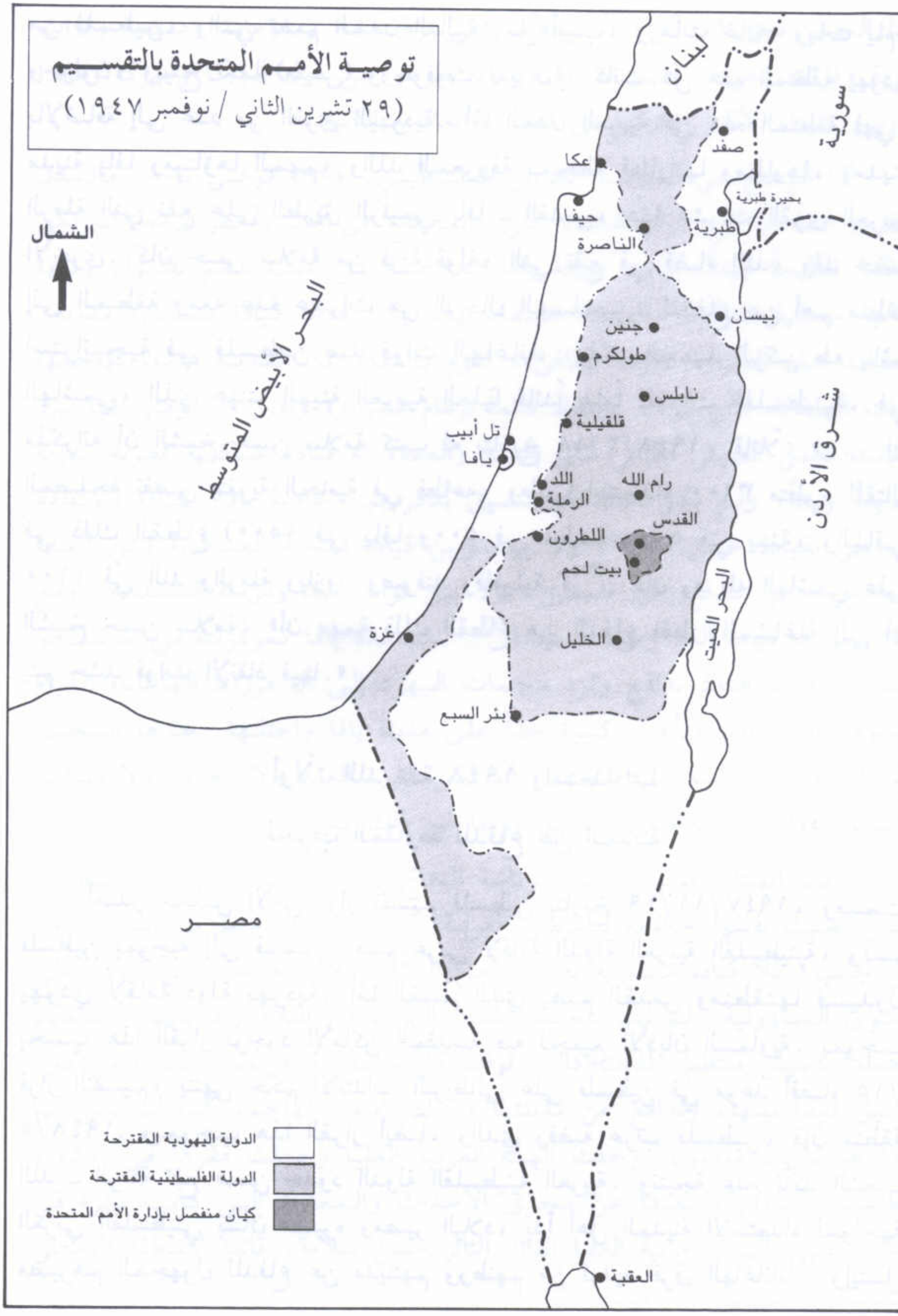
من فلسطين، والتي تضم المدن التالية: تل أبيب، ورمات غان، وبات يام، وحولون، وبيتح تكفا (ملبس) ورحوفوت (ديران). كانت كل هذه المنطقة يهودية بالإضافة إلى عدد من القرى اليهودية. أمّا المدن العربية في هذه المنطقة فهي: مدينة يافا وميناؤها المهم، واللد المعروفة بمحطة قطاراتها ومطارها، ومدينة الرملة التي تقع على الطريق الرئيسي يافا ـ القدس، عدا عشرات القرى العربية الأخرى. كان حسن سلامة من قرية قولة، التي تقع في قضاء اللد، وقد حضر إلى المنطقة ومعه عدة عشرات من الرجال المسلحين، للدفاع عن أهم منطقة استراتيجية في فلسطين ضد قوات الهاغاناه. يذكر العميد الركن طه باشا الهاشمي، الذي عينته الهيئة العربية العليا قائداً عاماً للقوات الفلسطينية، في مذكراته أن الشيخ حسن سلامة كتب له بتاريخ ١٨/٢/١٩٤٨، قائلاً: «... إن المصلحة تقضي بتقوية الحامية في قطاعه، وطلب استخدام ٣٦٠٠ متطوع للقتال في ذلك القطاع (١٥٠٠ في يافا و٥٠٠ في سلمة و٥٠٠ في يبنة، والباقي ١١٠٠ في اللد والرملة ويازور وصرفند وقلقيلية.»(٥) كان رد طه الهاشمي على الشيخ حسن سلامة: «أن مهمة ذلك القطاع هي الدفاع فقط والمشاغلة إلى أن يتم حشد قوات الإنقاذ فيها.»

أولاً: اللد سنة ١٩٤٨ واستعداداتها لحرب المقاومة للدفاع عن المدينة

أصدر مجلس الأمن قرار تقسيم فلسطين بتاريخ ٢٩/١١/١٩٤٧، وقسمت فلسطين بموجبه إلى قسمين: قسم عربي لإقامة الدولة العربية الفلسطينية، وقسم يهودي لإقامة دولة يهودية. أمّا القسم الذي يضم القدس ومنطقتها فسيدول بحسب هذا القرار لوجود الأماكن المقدسة فيه لجميع الأديان السماوية. بموجب قرار التقسيم، ينتهي حكم الانتداب البريطاني على فلسطين في موعد أقصاه ١٥/٥/١٩٤٨. وبموجب هذا القرار أيضاً، والذي رفضه عرب فلسطين، فإن منطقة اللد ـ الرملة تقع ضمن حدود الدولة الفلسطينية العربية. ونتيجة عدم تأكد الشعب العربي الفلسطيني بشأن مصيره ومصير البلاد، بدأ أهل المدينة الاستعداد لمواجهة مصيرهم المجهول للدفاع عن مدينتهم ووطنهم من تهديد فرق الهاغاناه(٦) وإيتسل

(٥) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٤٠.

(٦) أصبحت الهاغاناه الجيش الإسرائيلي.



المصدر: Walid Khalidi (ed.), *All That Remains: The Palestinian Villages Occupied and Depopulated by Israel in 1948* (Washington, D. C.: Institute for Palestine Studies, 1992).

وغيرهما من المنظمات العسكرية اليهودية. لذلك اختار الأهالي لجنة قومية[٧] تتكون من عدد من وجهاء المدينة المعروفين بوطنيتهم وعروبتهم، كي تنظم وتشرف على الاستعدادات للدفاع عن بلدهم وأرضهم ووطنهم بالتعاون مع بلدية المدينة. كما تم تأليف عدة لجان أخرى، أولها اللجنة العسكرية التي كانت مهمتها إقامة قيادة عسكرية محلية تأخذ على عاتقها مهمة تجنيد شباب المدينة للخدمة العسكرية، وتدريبهم على استعمال السلاح على اختلاف أنواعه.[٨] والثانية، كانت لجنة حفظ الأمن الداخلي، التي عينت بدورها عدة لجان فرعية للأحياء، تقوم بحفظ الأمن الداخلي في أحياء المدينة المختلفة. اللجنة الثالثة هي اللجنة الصحية والإسعاف،[٩] التي أخذت على عاتقها إقامة عيادات طبية وتدريب بعض الفتيات والشبان على أعمال التمريض وإسعاف المصابين. أمّا اللجنة الرابعة، والتي تألفت من تجار المدينة، فأوكل إليها مهمة استيراد المواد الغذائية وغيرها، وتخزينها في المدينة لحالات الطوارىء. وكانت اللجنة القومية تعمل مع مجلس البلدية جنباً إلى جنب بمشاركة وتنسيق تامّيْن في جميع الحالات.

تم تأليف تلك اللجان المهمة، والتي كانت تعتبر كأنها حكومة محلية للمدينة من دون خلافات أو جدال بين أهل المدينة، بسبب الشعور العام بخطورة الأوضاع والأحداث التي أخذت تسير بسرعة؛ ووجوب القيام بالاستعدادات اللازمة لتمكين الأهالي من مجابهة المستقبل الغامض، بعد أن يتم انسحاب حكومة الانتداب البريطاني وجيشها من البلاد، من دون أن تقوم بأي عمل لتأمين حياة السكان ومصيرهم، تاركة البلاد في فوضى رهيبة.

ينطبق هذا الأمر على سكان البلاد العرب، إذ كانت حكومة الانتداب مطمئنة على السكان اليهود بعد أن أعدوا أجهزتهم العسكرية والمدنية والإدارية، وبعد أن سلحتهم تسليحاً جيداً ودربتهم ونظمتهم بصورة ممتازة.

اختارت اللجنة العسكرية قيادة عسكرية، وعينت حمزة صبح قائداً، وهو من سكان المدينة، ويعمل جاويشاً في الجيش الأردني. وكان حمزة صبح ذا خبرة عسكرية أكثر من غيره. تطوع مئات من شبان المدينة للخدمة العسكرية

---

(٧) كان منها شحادة حسونة (سكرتيراً)، وشمس الدين العلمي والياس الحلتة وشاكر المهتدي ومحمد علي دهمش والحاج إبراهيم حمزة وأبو كويك.

(٨) عُيِّن حمزة صبح قائداً لقوات المدينة للدفاع عنها.

(٩) برئاسة الحاج إبراهيم حمزة وعُيِّن يوسف عيسى منير سكرتيراً لها.

وبدأوا تدريبهم العسكري ليكونوا على استعداد لمجابهة قوات الشر المعادية دفاعاً عن الأهل والأرض والوطن. اختارت القيادة العسكرية مدرسة البنين الحكومية مقراً لها، فهي واسعة جداً، وكثيرة الغرف، وتلائم حاجات القيادة من مكاتب وأمكنة لمبيت أفرادها. كما أن ساحاتها الواسعة تصلح مواقف لسيارات القيادة العسكرية. لم تكن المنطقة الموجودة فيها المدرسة منطقة مكتظة بالسكان. قامت القيادة بتنظيم الإدارة العسكرية ووحداتها العسكرية المتعددة، بالإضافة إلى تنظيم إدارة مدنية مسؤولة عن الشؤون الإدارية، ومتصلة اتصالاً وثيقاً باللجنة القومية وبالمجلس البلدي للمدينة. أمّا لجنة الإسعاف التي كانت برئاسة الحاج **إبراهيم حمزة** وسكرتارية **يوسف عيسى منير**، فبدأت استعداداتها، فاستأجرت بيتاً جعلته عيادة صحية وجهزته بما يلزم من الأجهزة الطبية كالأدوية والأسرة وغيرهما. كما تطوع عدد من فتيان وشباب أعضاء أندية المدينة الكثيرة، للقيام بمهمة التمريض، وتدربوا في دورات تعليمية بإدارة الدكتور **مصطفى الزحلان** والدكتور **نجيب أبو جودة**. كما بادرت اللجنة إلى جمع التبرعات من سكان المدينة لشراء التجهيزات الطبية اللازمة للعيادة وتم تخزين كمية كبيرة من الأدوية ولوازم الإسعافات الأولية، لاستعمالها في حالات الحصار والطوارىء. وتم أيضاً شراء سيارة إسعاف لنقل الجرحى والمرضى من ساحات المعارك التي كانت متوقعة عند بدء انسحاب قوات الجيش البريطاني وحكومة فلسطين الانتدابية، بحسب قرار الأمم المتحدة، الأمر الذي بدأ قبل الموعد المقرر، بنحو ثلاثة أشهر.

في أثناء معارك الدفاع عن المدينة، ولكثرة الإصابات بين السكان، لم تتسع العيادة الطبية لاستقبالهم، فأخذت لجنة الإسعاف بناية أكبر، كانت تُستعمل منزلاً لطلاب قرى المنطقة الذين أتوا إلى المدينة للالتحاق بمدارسها. كانت البناية مجهزة بأكثر من ثلاثين سريراً، وفيها مطبخ كبير يحتوي الأدوات اللازمة. حُولّت البناية إلى مستشفى موقت، كما تم شراء سيارة إسعاف ثانية، وبعدها بوقت قصير اشتروا سيارة إسعاف ثالثة. جُهّز المستشفى بغرفة عمليات بسيطة لإجراء العمليات الجراحية الخفيفة والمتوسطة. أمّا العمليات الخطرة فكانت تُجرى في مستشفيات نابلس ورام الله، إذ كان المصابون بإصابات خطرة يُنقلون بسيارات الإسعاف إلى هاتين المدينتين في أثناء الليل.

أمّا لجنة الأمن الداخلي التي أُوكل إليها مسؤولية الأمن داخل المدينة لحمايتها من اللصوص والمجرمين، وخوفاً من دخول جواسيس أو متسللين يهود، فقد قامت بتأليف لجان أحياء، والتي بدورها ألّفت وحدات حراسة تجوب

الأحياء وخصوصاً في ساعات الليل، كما كانت تعمل بالتناوب في أحياء وأسواق المدينة. حمل المتطوعون في الوحدات أسلحة خفيفة، ووضعوا الحواجز على الطرق المؤدية إلى المدينة في ساعات الليل، وقاموا بتفتيش السيارات القادمة إليها ليلاً.

أمّا لجنة تجار المدينة، التي أُوكل إليها استيراد المواد الغذائية بكميات كبيرة، وحفظها في المخازن لحالات الحصار أو انقطاع المواصلات، فبدأت استيراد كميات كبيرة من مختلف المواد الغذائية، وخصوصاً الطحين والسكر والزيوت وغيرها. بحسب تقديرات هذه اللجنة، كانت المواد التي اشترتها من المدن الداخلية، أي نابلس ورام الله وجنين وطولكرم، تكفي لسد حاجات السكان مدة ستة أشهر على الأقل. بالإضافة إلى ذلك، قامت قوات المدينة ـ بعد أن وصلتها معلومات عن وصول قطار إلى محطة اللد، محمل بالمواد الغذائية، تعود لقوات الهاغاناه، المتجهة شمالاً ـ بنصب كمين شمالي غربي المدينة لهذا القطار حيث كان مقرراً أن يمر. وعند مروره في هذه المنطقة، وكان لا يزال قريباً من المحطة ويسير ببطء، قام أفراد من هذه القوات بفصل عدة عربات، تحمل المؤن، عن القطار. ثم أطلقوا الرصاص على بقية عرباته فزاد في سرعته وولى هارباً. بعدها قامت القوات المسلحة للمدينة بكسر أقفال العربات التي انفصلت عن القطار، وحمّلوا المواد الغذائية على عدة سيارات نقل كبيرة نقلتها إلى مخازن خاصة داخل المدينة، وتركوا المكان بسرعة. تمّت هذه العملية بسرعة فائقة، حتى إن القوات البريطانية التي حضرت بعد مدة وجيزة بقصد المحافظة على العربات ومحتوياتها لم تجد شيئاً، لا مواد غذائية ولا عربات، إذ دحرجها المقاتلون إلى مكان بعيد شمالي المدينة. وهكذا زادت المواد الغذائية المذكورة عن المخطط لحالات الطوارىء في المدينة.

أمّا لجنة مشتريات الأسلحة فقد أوفدت الوفود إلى دول المنطقة ونجحت في شراء كميات كبيرة من مختلف أنواع الأسلحة مع ذخائرها، وقد حُفظت الذخائر في ملاجىء خاصة تحت الأرض في أماكن مختلفة، كما وُضعت عليها حراسة كافية.

استمرت عملية التنظيم في مختلف مجالات الحياة، وأصبح جميع الرجال يعرف مركزه في عملية الدفاع عن المدينة. كان السكان مستعدين للتضحية وبحماسة، كل بحسب إمكاناته. نشطت تجارة الأسلحة، إذ شعر الناس بخطورة الوضع، وتهافتوا على شرائها، حتى الذين لم يُطلب منهم حمل السلاح، باعوا ما تمتلكه نساؤهم من قطع الزينة الذهبية واشتروا بثمنها بنادق ورشاشات خفيفة.

كما أقامت القيادة العسكرية التحصينات داخل المدينة وخارجها، وحفرت الخنادق حول المدينة استعداداً لمعركة المصير المرتقبة.

ثانياً: بدء المعارك الحربية

دفاعاً عن المدينة

حاصرت القوات العسكرية للمدينة مستعمرة بن شيمن، التي تبعد نحو ثلاثة كلم إلى الشرق من اللد، وهي قرية زراعية يهودية، فيها مدرسة زراعية للطلاب اليهود. كان هدف الحصار منع وصول النجدات العسكرية اليهودية إليها لحماية ظهر المدينة، إذ كانت جبهة القتال الرئيسية المتوقعة في غربي المدينة عند قريتي صرفند والسافرية[١٠] القريبتين من تل أبيب، المعقل الرئيسي للقوات اليهودية وقيادتها. كانت تصل إلى مستعمرة بن شيمن قافلة يهودية مرتين كل أسبوع بحراسة مصفحات الشرطة البريطانية، وهي تحمل المواد الغذائية والإمدادات العسكرية من تل أبيب، الأمر الذي دفع قوات المدينة إلى نصب كمين على طريق القافلة، ووضع لغم كبير على حافة الطريق. وعندما مرت القافلة المكونة من سيارتي شحن مملوءتين بالمؤن والعتاد، ترافقها سيارتان ومصفحتان تابعتان لقوات الشرطة البريطانية، انفجر اللغم وأصاب القافلة فتوقفت. عندها بادر رجال الكمين إلى إطلاق وابل من النيران، وأوقعوا عدداً من القتلى والجرحى، منهم عدد من رجال الشرطة الذين كانوا يحرسون القافلة. كانت هذه أول عملية عسكرية تقوم بها قوات المدينة. وفي إثرها حضر مختار مستعمرة بن شيمن،[١١] وهو يهودي معروف من سكان المدينة، واجتمع مع رئيس البلدية ورئيس وأعضاء اللجنة القومية، وطلب منهم إعطاء الأمان لمستعمرته، واعداً أنه لن يسمح لأي كان من سكان المستعمرة، أو أية جهة أُخرى، القيام بأي عمل معاد للمدينة من مستعمرته أو من طريقها إلى اللد، وقال: «إننا أناس مسالمون لا نضمر العداء لسكان المدينة، ونحن جيران نعرف بعضنا بعضاً ونريد أن نعيش بسلام، وأن الطريق بين اللد والقرى الجبلية، التي تمر من بن شيمن ستبقى آمنة ومفتوحة من دون أدنى مضايقة.» وافق رئيس البلدية ورئيس وأعضاء اللجنة القومية على طلبه، وبقيت الطريق إلى بن شيمن مفتوحة وآمنة لسيارات المدينة

(١٠) تقع السافرية غربي اللد وتبعد عنها نحو ٩ كلم.

(١١) اسمه الدكتور «ليهمن».

والسكان الذين يمرون هناك. كان لهذه الطريق أهمية كبيرة، كونها الطريق الأقصر والأسهل لنقل البضائع من المدينة وإليها من داخل البلاد، إلى أن قامت قوات الهاغاناه بإغلاقها في أواسط حزيران/يونيو ١٩٤٨. ومن الجدير بالذكر أنه بعد أن توقفت القوافل التي كانت تنقل المؤن والعتاد بالسيارات إلى بن شيمن، عبّدت قوات الهاغاناه مهبطاً صغيراً للطائرات شمالي شرقي المستعمرة اليهودية، وهو ما مكّن طائراتها من الهبوط والإقلاع مرة واحدة كل يوم، وهي محملة بالمؤن والنجدات العسكرية الصغيرة من منطقة تل أبيب. وقد تمكن مقاتلو المدينة من إسقاط إحداها بواسطة مدفع مضاد للطائرات على بعد نحو كيلومتر واحد شرقي المدينة، وذلك في أواخر حزيران/يونيو. ولا يزال حطام هذه الطائرة موجوداً حيث سقطت.

في النصف الثاني من أيار/مايو ١٩٤٨ وبعده، أصبحت بن شيمن قلعة حصينة محاطة بالأسلاك الشائكة ومزروعة بالألغام، وأمّا الطريق المتوجه من المدينة إلى المناطق والقرى الجبلية فقد قامت قوات الهاغاناه بإغلاقه. سألتُ أحد مسني بن شيمن، وهو يهودي اسمه هارون: «لماذا نقضتم الاتفاق الذي تم بين مختاركم وبين رؤساء المدينة الذي بموجبه بقيتم في المستعمرة ومُنحتم الأمان؟» فأجابني: «أن المختار عارض قوات الهاغاناه بشدة لنقضها عهده مع أهل المدينة، لكنه لم ينجح في إقناعها بعدم تحويل المستعمرة إلى قلعة حصينة وإغلاق الطريق، ولهذا استقال احتجاجاً وغادر المستعمرة.»

كان لعائلة حزبون من يافا بيارة برتقال، وفيها بيت كبير يقع على الشارع الرئيسي يافا ـ الرملة ـ اللد، بالقرب من قرية بيت دجن.[١٢] احتلته قوات الهاغاناه اليهودية، وحولته إلى معتقل عسكري، واستُعمل بعد تحصينه في مضايقة المواصلات العربية من يافا وإليها. كانت القوات تتعرض للسيارات العربية بإطلاق الرصاص في أثناء مرورها في الشارع الرئيسي، وتوقع فيها إصابات كثيرة لمنعها من فك الحصار الذي ضُرب حول مدينة يافا. لذا قررت قيادة قوات اللد تدمير الموقع لرفع الخطر عن المسافرين بالسيارات، وإبقاء طريق يافا ـ الرملة ـ اللد مفتوحاً أمام وسائل السفر العربية. وبعد أن أعدّت خطة عسكرية لتدمير موقع حزبون أرسلت وحدة عسكرية لمهاجمة الموقع من الخلف، كما أرسلت في الوقت نفسه وحدة أُخرى صغيرة، تتألف من أربعة من

---

(١٢) يشرف على تقاطع أربعة طرق.

المتطوعين الألمان[13] كانوا من ضمن المدافعين عن المدينة (وقد أُصيب أربعتهم بجروح بالغة، فتم نقلهم إلى مستشفيات نابلس في ساعات المساء). وكنّا نعمل جاهدين قبل نقلهم وفي أثنائه على وقف النزيف الدموي، فقد كنت أحد الممرضين الذين تولوا العناية بهم في أثناء نقلهم على سيارة تحمل برميلاً مليئاً بالمواد المتفجرة. فبعد أن هاجمت الوحدة الأولى الموقع من الخلف واشتدت المعركة بينها وبين قوات الهاغاناه الموجودة داخل المبنى، مرّت السيارة المحملة بالمتفجرات على الطريق الرئيسي أمام الموقع، وقامت بدحرجة برميل المتفجرات في اتجاهه وتركت المكان بسرعة، وبعد ثوان قليلة انفجر البرميل[14] مُحدثاً دوياً هائلاً، فتهدم المبنى على من فيه موقعاً خسائر جسيمة في قوات الهاغاناه. وقد أقام الجيش الإسرائيلي نصباً تذكارياً لقتلاه في هذه المعركة. أمّا خسائر قوات اللد المهاجمة فكانت ستة جرحى. بعد ذلك أصبحت حركة المواصلات بين يافا ـ الرملة ـ اللد آمنة، ولم تتعرض للاعتداء إلى أن احتلت القوات الإسرائيلية مدينة يافا.

ثالثاً: علي بك ومترجمه في اللد

في النصف الأخير من آذار/مارس ١٩٤٨، حضر إلى المدينة شخص لا يعرف اللغة العربية، وأحضر معه مترجماً خاصاً به، يحمل رسالة قال إنها من الحاج أمين الحسيني، مفتي فلسطين، وقيادته العسكرية، وأنهم عينوا علي بك قائداً عسكرياً للمدينة. تطلب الرسالة من جميع المسؤولين في اللد، وخصوصاً العسكريين، التعاون معه واطلاعه على جميع الأمور المتعلقة بالدفاع عن المدينة. سرّ أهل المدينة لحضوره، وخصوصاً عندما عرّف عن نفسه لزعمائها أنه ضابط عسكري تركي ذو رتبة عالية، وأن المفتي أوكل إليه قيادة قوات المدينة المسلحة لتدريبها وتنظيمها من أجل الدفاع عنها. أعطاه السكان بناية في مركز المدينة كانت مقراً لجمعية العمال، فجعلها منزله الخاص مع مترجمه ومقراً لقيادته. كما أعطته القيادة سيارة خاصة به، فأخذ يجوب المدينة للاطلاع عليها،

---

(١٣) تطوعوا لمساعدة قوات المدينة في الدفاع عنها.

(١٤) بحسب وصف أحد المقاتلين الذين اشتركوا في هذه العملية، وقد أُصيب بجروح بالغة ونقل مع غيره إلى مستشفى الاتحاد في نابلس.

وزار مبنى القيادة العسكرية لقوات المدينة، وكان يرافقه مترجمه الخاص دائماً. بعدها قام بتفقد خطوط القتال في جميع الجبهات. وبعدما أمضى في المدينة ما يزيد على الشهر، مستفسراً من قيادة المدينة العسكرية، عن نوعية الأسلحة التي بحيازتها وكميتها، وعن جبهات القتال، وعن عدد المسلحين وجميع الأسرار العسكرية فيها، إذ به يختفي فجأة، هو ومترجمه، من دون أن يخبر أحداً عن رغبته في ترك المدينة وأسباب ذلك. انتشرت إشاعات في المدينة أن علي بك ومترجمه لم يكونا إلاّ جاسوسين للقوات اليهودية، جاءا إلى المدينة ليعرفا حجم استعدادها العسكري وعدد المقاتلين ونوع الأسلحة. وقد خاف سكان المدينة من هذا الأمر، الأمر الذي اضطر قيادة اللد المسلحة إلى تغيير خطوطها في مختلف الجبهات، وبعض التنظيمات العسكرية الأُخرى. هذا ولم يُعرف حتى الآن حقيقة وشخصية هذا الرجل ومترجمه. وفي أوائل نيسان/أبريل، وصلت إلى المدينة قوة من المتطوعين من بدو الأردن وعددهم نحو ٤٠ مقاتلاً يحملون بنادق غير رشاشة، وذلك لمساعدة أهل المدينة في الدفاع عنها. اشتركت هذه القوة في بعض المعارك وفي تعزيز قوة المدينة الموجودة في مطار اللد للحفاظ عليه. وقد أبدى أفرادها الشجاعة والحماسة، وخصوصاً في معركة احتلال كيبوتس غيزر الذي يقع شرقي الرملة، على طريق القدس التي قاموا بقطعها. وخلال شهر نيسان/أبريل مرت بالمدينة قوة صغيرة من الهجّانة الأردنية تركب الجمال، لرفع معنوية السكان. خرجنا لمشاهدتهم ولا أنسى ما كانوا ينشدون: «لما نعلّي عالبرق[١٥] ما ندري شو صار في المكتوب.»

رابعاً: عملية نسف

مبنى قيادة حسن سلامة

بعد أن تم تعيين **حسن سلامة** قائداً للمنطقة الوسطى في فلسطين من قِبل الهيئة العربية العليا برئاسة الحاج أمين الحسيني، مفتي فلسطين، حضر **أبو علي**، إلى المنطقة لمزاولة عمله، وكان معه عدة عشرات من المسلحين يحمل معظمهم أسلحة خفيفة، في ثلاث شاحنات متوسطة بالإضافة إلى سيارته الخاصة.[١٦] بدأ التفتيش عن مكان واسع وملائم ليكون مقراً لقيادته وقواته.

(١٥) البرق: الجمل.

(١٦) هي السيارة التي أصيب فيها في أثناء معركة رأس العين.

وفي أواخر آذار/مارس ١٩٤٨، اختار مبنى كبيراً يعرف بملجأ الحاج أمين، كان يُستعمل ملجأ ومدرسة للأيتام، أقامه المجلس الإسلامي الأعلى. يقع هذا الملجأ غربي مدينة الرملة، بينها وبين معسكر صرفند التابع للجيش البريطاني أيام الانتداب. ويتكون من بناء كبير ذي ثلاث طبقات وعدد من الأبنية الصغيرة الملحقة به تحيط بها بيارة برتقال واسعة أوقفت عليه، ويبعد هذا المكان نحو ٢ كلم عن مستعمرة بير يعقوف جنوباً. وقد جعله **حسن سلامة** مقراً لقيادته ولقواته، والظاهر أنه لم يحسب لقربه من مستعمرة بير يعقوف أي حساب.

كان يبيت في الملجأ نحو ٨٠ مقاتلاً من مقاتلي القائد حسن سلامة. لم تكن الحراسة على المبنى كافية، إذا أخذنا في الاعتبار أنه مقر قيادة المنطقة الوسطى، وأنه قريب من مستعمرة بير يعقوف اليهودية. خُصص أربعة مقاتلين للحراسة حول القيادة وثلاثة مقاتلين فوق سطحه. وعندما علمت قيادة الهاغاناه أن هذا المبنى استُخدم مقراً لقيادة **حسن سلامة**، قررت نسفه، فأرسلت بعض جواسيسها لمعرفة عدد حراسه وأماكن وجودهم، وقامت بإعداد خطة عسكرية لنسفه، وقررت القيام بهذه العملية في ليلة ٤ ـ ١٩٤٨/٤/٥. وفي الموعد المحدد قامت إحدى وحدات الهاغاناه بتطويق المقر وأطلقت النار على الحراس، وفي أثناء تبادل النار، قامت وحدة أُخرى بالتسلل إلى الطبقة الأرضية للمبنى ووضعت بداخله كميات كبيرة من المتفجرات حول الأعمدة حملها ٢٠ جندياً منهم، ثم أشعلوا فتيلها وانسحبوا بسرعة فائقة. انفجرت الألغام فهُدم جزء من المبنى. كان الانفجار كبيراً جداً، سُمع في اللد بصورة قوية وفي جميع أنحاء المنطقة، فهرعت قوات المدينة وقوات مدينة الرملة إلى المكان لاستجلاء الخبر، وتبعهما الكثيرون من أبناء المدينتين، وبدأوا فوراً عمليات الإنقاذ، إذ إن قوات الهاغاناه انسحبت بعد الانفجار مباشرة. وقُدر عدد القتلى في ذلك الحادث بنحو ٣٠ قتيلاً، وكان عدد الجرحى كبيراً جداً أيضاً. شاهدنا قطعاً من أجسام القتلى معلقة وملتصقة بالأشجار، وكان المنظر رهيباً تقشعر له الأبدان. حضرت سيارات الإسعاف العربية من اللد والرملة، وبدأت إسعاف الجرحى ونقلهم إلى المستشفيات، وتبين أن القائد **حسن سلامة** لم يكن في ذلك الوقت في القيادة. وعندما وصله خبر الحادث حضر وأمر بنقل القيادة والقوات فوراً من المكان. وبعد عدة أيام قامت قوات الهاغاناه باحتلال المبنى وبساتين البرتقال المحيطة به، الأمر الذي جعل خطوطهم العسكرية قريبة من سكنة فانوس، غربي مدينة الرملة، ورصاصهم يصيب جُدُر منازل هذا الحي.

اجتمعت القوات المسلحة من اللد والرملة، وقررت القيام بهجوم معاكس

لإبعاد القوات الإسرائيلية عن المدينة. وفي الموعد المُتفق عليه، وفي ساعات الصباح الأولى بدأ الهجوم، وكان ذا ذراعين: الذراع الأول هاجم من الجهة الجنوبية الشرقية، والذراع الثاني من الجهة الجنوبية الغربية. كان الهجوم موجهاً ضد مستعمرة بير يعقوف نفسها، وبعد عدة ساعات من القتال الشديد، الذي استُعملت فيه الأسلحة الخفيفة والمتوسطة مع راجمات القنابل الثقيلة، انسحبت قوات الهاغاناه إلى الغرب، ومنها إلى مستعمرة بير يعقوف لتدافع عنها ضد الذراع الجنوبي الغربي الذي وصل إلى أبواب المستعمرة. وقد تكبدت قوات العدو خسائر كبيرة في الأرواح بين قتيل وجريح، تاركة وراءها أسلحة كثيرة. كما وقع بعض القتلى والجرحى بين مقاتلي اللد والرملة، وامتلأ مستشفى المدينة الصغير، وأصبحت هناك حاجة ماسة إلى إيجاد مكان آخر.

في المقابل، اشتدت المعارك في مدينة يافا في الأحياء الملاصقة لمدينة تل أبيب، وكانت تلك معارك يومية، واتصلت اللجنة القومية في يافا باللجنة القومية في اللد تطلب مساعدتها. وبعد التشاور مع قيادة المدينة تقرر إرسال وحدة من مقاتلي اللد يومياً إلى يافا، حيث كُلفوا حماية حي أبو كبير فيها، وذلك ابتداء من منتصف شهر نيسان/أبريل ١٩٤٨. أمّا قرية سلمة التي تقع شرقي مدينة يافا وجنوبي شرقي مدينة تل أبيب، فقد كانت في حرب دائمة وتتعرض لهجوم قوات الهاغاناه وغيرها من المنظمات العسكرية اليهودية. وكم من مرة أُرسلت نجدات عسكرية من اللد حيث كانت تتعرض للهجوم. كما قامت وحدة الاتصالات في القوات المسلحة اللدية بتزويدها بشبكة هواتف عسكرية لمختلف جبهات المقاومة بينها وبين مدينة تل أبيب.(١٧) ورد في كتاب «النكبة»(١٨) ذكرٌ لبعض هذه المعارك: «وتمكن عدد من مناضلي اللد والعباسية على وهج النيران المتأججة من الوصول إلى مستعمرة هاتيكفا. فراحوا يؤازرون إخوانهم مناضلي سلمة»، في ١٩٤٨/١/٢٨.

---

(١٧) لقد كنتُ المسؤول عن تلك الوحدة، بحكم عملي سابقاً في قسم الهندسة في دائرة البريد.
(١٨) العارف، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٢٧٧.

خامساً: ورود آلاف اللاجئين إلى المدينة

نتيجة المعارك الدائرة على حدود يافا والقرى الواقعة شرقي المدينة، جاء إلى اللد الآلاف من سكان المدينة وقراها. اكتظت بهم المدينة حتى إنه لم يبق أي بيت أو أية غرفة صالحة للسكن، إلاّ وامتلأت باللاجئين البؤساء، تاركين بيوتهم بأثاثها وحوانيتهم ببضائعها، لينجوا بأنفسهم من الهلاك. وفي أواخر نيسان/أبريل ١٩٤٨، احتلت قوات الهاغاناه القرى الواقعة شرقي يافا، بينها وبين اللد والرملة، مثل: يازور وبيت دجن والسّافِريّة وكفر عانا وصرفند العمار وصرفند الخراب وساقية، وطردت سكانها، الذين لجأوا إلى اللد، حيث لم يعد في الإمكان استيعابهم، الأمر الذي اضطر بعضهم إلى النوم تحت الأشجار. كذلك أقيم في الجهة الغربية من المدينة مخيم كبير للاجئين من قرى صرفند العمار وصرفند الخراب والسافرية. وبما أن اللجنة القومية والقيادة العسكرية في اللد قررتا عدم السماح لأي شخص من سكان المدينة بمغادرتها، فقد وضعتا حواجز[(١٩)] على الطرق المؤدية إليها ومنها، حيث كانتا توقفان السيارات الخارجة من المدينة كي يتم تفتيشها للتأكد من عدم وجود أي شخص في داخلها أو عائلة تنوي الخروج منها خوفاً من المعارك المتواصلة على حدودها. تم هذا الإجراء نتيجة إيمان اللجنة بأن خروج العائلات، وخصوصاً النساء والأطفال، يضعف من رغبة المقاتلين في الصمود وفي الاستبسال في القتال. لذلك أصبحت المدينة في وضع لا يطاق؛ الشوارع والأرصفة مكتظة جداً بالناس ومليئة بالنفايات، لأن عمال النظافة لم يتمكنوا من القيام بعملهم كما يجب، بسبب كثرة الزحام في الشوارع والأرصفة وفي الأزقة، على الرغم من أن البلدية زادت عددهم. كما شحّت المواد الغذائية الأساسية في الحوانيت. وبلغ عدد السكان الموجودين فيها نحو ٥٠ ألفاً، مع العلم أن عدد سكانها بلغ سنة ١٩٤٨ نحو ٢٢ ألف نسمة فقط. لهذا قامت اللجنة بإرسال وفود تجارية إلى مناطق متعددة في البلاد والتي لم تستولِ قوات الهاغاناه عليها، لشراء المواد الغذائية والأدوية لسد حاجات السكان، وعدم إشعارهم بنقصها. مع كل ذلك، حافظ سكان المدينة على معنوياتهم العالية وثقتهم بقواتهم المسلحة، مصممين

---

(١٩) عينت بلدية اللد جميل هيرون الذي كان يعمل في البلدية، مسؤولاً عن عملية وضع الحواجز ومنع مغادرة العائلات إلى خارج المدينة. (المؤلف)

على مقاومة العدوان الذي يهدد كيانهم ووجودهم ومستقبلهم. أمّا مدينة يافا فقد استسلمت بعد أيام متواصلة من القتال، وذلك في ١٤/٥/١٩٤٨. ورحل قسم من سكانها، عن طريق البحر، إلى مدينة غزة في الجنوب، ورحل قسم آخر إلى اللد ومنها إلى مدينتي رام الله والبيرة.

أتاح استسلام مدينة يافا، للقوات اليهودية توجيه القوة الكبيرة التي كانت تحارب في يافا إلى منطقة اللد، الأمر الذي جعل خطوط الجبهة قريبة نسبياً من المدينة. وأصبحت خطوط الجبهة الغربية عند قريتي صرفند العمار وصرفند الخراب ومعسكر الجيش البريطاني في صرفند. زاد قلق السكان على مصيرهم ومصير مدينتهم، وشعروا بخطورة الوضع، الأمر الذي دفعهم إلى زيادة استعداداتهم العسكرية وزيادة عدد المقاتلين فيها لرد العدوان، وحماية أولادهم ونسائهم وبلدهم. وكان مقاتلو المدينة يذهبون إلى ساحات المعارك بحماسة شديدة على الرغم من الإصابات الكثيرة.

في أواخر نيسان/ أبريل ١٩٤٨، وصلت معلومات تفيد بأن قطاراً محملاً بأسلحة متنوعة تابعة للجيش البريطاني، الذي كان في أوج استعدادته للانسحاب والرحيل عن فلسطين، سيمر بمحطة القطارات في اللد في طريقه إلى حيفا، حيث سيتم نقل تلك الأسلحة بالسفن إلى بريطانيا، فنصبت قوات المدينة كميناً للقطار في أحد بساتين البرتقال، شمالي غربي المدينة، ترافقها وحدة هندسية مع معداتها بقصد فتح عربات القطار بالأوكسجين. وعند وصول القطار قرب مكان الكمين، وكان يسير ببطء عند خروجه من المحطة، تسلق أفراد الوحدة الهندسية بعض عربات القطار الأخيرة وفصلوها عن بقية العربات، بينما استمر هو في السير من دون أن ينتبه حراسه إلى عملية فصل العربات. قص أفراد الوحدة الهندسية واجهات العربات مستخدمين الأوكسجين وأفرغوا محتوياتها وحمّلوها على شاحنات كبيرة كانت تقف في الجوار، وغادرت المكان بحمولتها بسرعة. حضرت عناصر من القوات البريطانية بعد أن علمت بعملية فصل العربات عن القطار، ولم تجد شيئاً سوى العربات المفتوحة والخالية من محتوياتها، فأُحضرت قاطرة وتم سحب العربات إلى المحطة لفتح الطريق أمام القطارات الأُخرى. عندما فحص المقاتلون الأسلحة التي تم الاستيلاء عليها وجدوا بينها مدفعي ميدان كبيرين مع كمية لا بأس بها من القنابل للمدفعين، بالإضافة إلى كميات كبيرة من الأسلحة المتوسطة والخفيفة مع ذخائرها، وقد سرّت القيادة من هذه العملية وشعر الأهالي بالفخر والاعتزاز بنجاحها.

سادساً: نجاح الهاغاناه في احتلال بلدة العباسية

استيلاء قوات المدينة على

مستعمرة غيزر وفتح طريق الرملة ـ القدس

في ٤ أيار/مايو، نجحت قوات الهاغاناه في احتلال بلدة العباسية (اليهودية) التي تقع شمالي مطار اللد، وتبعد عنه نحو ٣ كلم، الأمر الذي شكل خطراً كبيراً على مطار اللد الذي أصبح بمرمى راجمات القنابل (المورتر). تبين من عملية احتلال العباسية، أن هدف قوات الهاغاناه كان حصار المدينة وتضييق الخناق عليها وعلى الرملة. وفي التاريخ نفسه، خرجت قوة أُخرى من كيبوتس غيزر، الذي يبعد نحو ٢ كلم شرقي الرملة، واستولت على قرية أبو شوشة العربية التي تقع بينها وبين الطريق الرئيسي يافا ـ القدس، وهو الطريق الوحيد الذي يربط مدينة الرملة بمنطقة اللطرون ومنها شرقاً إلى مدينتي رام الله والبيرة وغيرهما. وبعد استيلائها على قرية أبو شوشة، والتي كانت شبه خالية من السكان بعد أن هجروها خوفاً من اليهود، توجهت شمالاً إلى الطريق الرئيسي يافا ـ القدس واحتلت جزءاً منه، وبذلك تمَّ لها تطويق الرملة من الجنوب والغرب والشرق، ولم يبق أمامها سوى طريق الرملة ـ اللد الذي يبعد عنها نحو ٤ كلم شمالاً. في إثر ذلك طلبت قيادة الرملة مساعدة قيادة اللد لوضع خطة عسكرية مشتركة لدحر القوات اليهودية عن الطريق المذكور إلى كيبوتس غيزر، وفتح الطريق أمام وسائل المواصلات العربية. وكانت وحدة من الجيش الأردني قد وصلت لتوّها إلى المنطقة، قوامها نحو ١٢٠ جندياً مع عدد من المدرعات ومدفعي ميدان صغيرين، فطلبت قيادة الرملة من قيادة الوحدة الأردنية الاشتراك مع قوات اللد والرملة في تحرير الطريق وفتحه من جديد. وافقت الوحدة الأردنية على ذلك، وفي الموعد المحدد للهجوم الذي تقرر له أن يبدأ يوم ١٩٤٨/٥/٥ ظهراً، توجهت قوة قوامها نحو ٢٠٠ مقاتل مع ثلاث مدرعات من اللد إلى المعركة من الجهة الشمالية؛ بينما توجهت قوة قوامها نحو ١٠٠ مقاتل من الرملة، ومعهم نحو ١٠ جنود أردنيين والمدفعين الصغيرين. وفي الوقت المحدد بدأت المدفعية[٢٠] إطلاق قنابلها على قوات الهاغاناه التي تمركزت في كيبوتس غيزر. وفي هذه الأثناء تقدمت القوات

---

(٢٠) طلبت مني قيادة المدينة مرافقة قواتها مع سيارة الإسعاف وسائقها للمساعدة في إسعاف الجرحى.

اللداوية والرملاوية تحت مظلة المدفعية الأردنية، وفتحت نيرانها على القوات الإسرائيلية الموجودة في قرية أبو شوشة، بينما كانت قوات الرملة تحمي ظهرها. دارت معركة عنيفة، ومن مسافة قصيرة، فانسحبت قوات الهاغاناه تحمل قتلاها وجرحاها إلى داخل كيبوتس غيزر، فتبعتها قوات اللد وفي مقدمها مدرعاتها الثلاث بمدافعها الرشاشة تمطرها ناراً حامية، بينما استمرت المدافع الأردنية في قصف مواقع العدو داخل كيبوتس غيزر.(٢١) وبعد نحو ست ساعات من القتال الشديد، تمكنت القوات اللداوية والقوات الرملاوية من الاستيلاء على الكيبوتس، مكبدتين قوات الهاغاناه خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات. كما أسرتا ٢٦ جندياً وجندية من الإسرائيليين، تسلمتهم الوحدة الأردنية. كانت خسائر القوات العربية ١١ قتيلاً(٢٢) و١٧ جريحاً. لقد كان الأهالي يشعرون بخطورة الوضع وبضرورة التضحية من أجل البقاء وعدم ترك منازلهم ومدينتهم التي أحبوها كثيراً، إذ إنهم شعروا بأن هذه الحرب سوف تقرر مصيرهم وكيانهم في بلدهم. لذلك عندما كانوا يدفنون شهداءهم يخيم الصمت على المشاركين في الجنازات ووجوههم واجمة، حتى إنهم كانوا يطلبون من النساء أن يكففن عن البكاء والعويل، كأنهم كانوا يستريحون للصمت والوجوم. ومع هذا عندما كانت القيادة تطلب بواسطة مكبرات الصوت من جميع الشبان التوجه إلى القيادة حاملين أسلحتهم كي يرسلوا إلى جبهات القتال، والاشتراك في معارك الشرف والبطولة والمصير، كنت تراهم ملبّين النداء متوجهين إلى القيادة وأسلحتهم معهم والحماسة بادية على وجوههم، ومستعدين للتضحية وتأدية الواجب المقدس للحفاظ على البلد وعلى النساء والأطفال وعلى الدار والكيان. لم يقبلوا أن يهجروا بلدهم كي ينجوا بحياتهم وحياة عائلاتهم. هذا على الرغم من سماعهم ما حدث في قرية دير ياسين، وكيف أن القوات الإسرائيلية قامت بقتل كل من بقي في بيته صغيراً كان أو كبيراً، امرأة أو مسناً. نعم سمعوا ما جرى بدير ياسين وغيرها ولم يخافوا. أرادوا الحياة الحرة الكريمة، ورفضوا أن يعيشوا بمهانة ومذلة، لاجئين وعالة على غيرهم، مؤمنين بحقهم في بلدهم، مؤمنين بالنصر على أعدائهم. وفي هذه الأثناء وصلت إلى المدينة قوة متطوعين من بادية الأردن يبلغ عددها نحو أربعين شخصاً مسلحين

(٢١) لقد حضرت هذه المعركة شخصياً إذ كنت أعمل ممرضاً على إسعاف المصابين.

(٢٢) كان أحدهم المرحوم زكريا الشلة الذي قتله أحد المتطوعين من بدو الأردن خطأ إذ حسبه يهودياً لأنه كان أشقر اللون. (المؤلف)

بالبنادق، حضروا للمشاركة في الدفاع عن المدينة ضد المعتدين، وقد استقبلهم الأهالي بحماسة مهللين ومكبرين وشاكرين.

أصبحت المعارك على حدود المدينة يومية، وصوت القذائف والعيارات النارية لا ينقطع، وخصوصاً على الجبهة الغربية بالقرب من صرفند والسافرية. كما زاد عدد جرحى المعارك وفاق كل التوقعات، وأصبح مستشفى المدينة الذي أقامته لجنة الإسعاف لا يتسع إلاّ لعدد محدود من الأسرّة خصصت للحالات الخطرة، وأمّا الجرحى الأقل خطورة فكانوا يُرسلون إلى بيوتهم حيث كان الأطباء والممرضون يعالجونهم هناك. ومع هذا أصبحت هناك حاجة ماسة إلى إيجاد مكان أوسع من المكان الحالي. وقع الاختيار على بيت الإرسالية الإنكليزية (C.M.S.)[٢٣] في اللد كونه بيتاً كبيراً وله حدائق وساحات واسعة. كان يشرف على المستشفى طبيبان محليان يساعدهما أكثر من ثلاثين شابة وشاباً تلقوا تدريبهم على أيدي الطبيبين المذكورين، وهما: الدكتور **نجيب أبو جودة** والدكتور **مصطفى الزحلان**.[٢٤] عمل الطبيبان ليل نهار على معالجة الجرحى. كما كان مستشفى البعثة المصرية الذي أسسه أطباء وممرضون مصريون، لمساعدة سكان الرملة واللد، يعمل ليل نهار أيضاً. اشترت لجنة الإسعاف سيارة إسعاف ثالثة لنقل الجرحى من جبهات القتال المتعددة. كما وصل الطبيبان الدكتور **سامي بشارة**، الجراح الشهير، والدكتور **جورج حبش**، وكانا يعملان في المستشفى الحكومي بيافا وانضما إلى زملائهم في اللد للقيام بواجبهما في مستشفى المدينة الصغير.

سابعاً: معركة اللطرون

بعد إعلان قيام دولة إسرائيل بتاريخ ١٥/٥/١٩٤٨، قامت قوات إسرائيلية كبيرة جداً تساندها قوة متطوعين أميركيين وغيرهم، بقيادة الجنرال ماركوس الأميركي، بهجوم كبير وواسع على قرية اللطرون الواقعة على طريق يافا ـ القدس، والتي يتفرع منها طريق إلى مدينة رام الله وطريق آخر إلى جنوب البلاد. لهذه المنطقة أهمية استراتيجية كبيرة جداً، إذ من دون السيطرة عليها لا يمكن للقوات الإسرائيلية المرور من منطقة الساحل إلى القدس. وفي

---

(٢٣) وافقت الإرسالية على تسليم المبنى من دون تردد.

(٢٤) إن الطبيبين مصطفى الزحلان وجورج حبش هما من أبناء البلد.

اللطرون بناية شرطة من نوع أبنية الشرطة في البلاد (تيغارت)، كان فيها وحدة عسكرية أردنية. شن الجيش الإسرائيلي هجوماً كبيراً على اللطرون لهدفين: الهدف الأول كان تطويق منطقة اللد ـ الرملة وقطع الطريق أمام الإمدادات من مؤن ومن أدوية من منطقة رام الله والبيرة، بعد فشله في المرة السابقة عندما قطع الطريق قرب كيبوتس غيزر بين الرملة واللطرون؛ أمّا الهدف الثاني فكان فتح الطريق من تل أبيب إلى القدس لإيصال الإمدادات العسكرية وغيرها إلى القوات المحاصرة في القدس الغربية. دارت معارك عنيفة بين الجيش الإسرائيلي المهاجم، الذي يتفوق عدداً وعدة وبين القوة الأردنية المدافعة عن الموقع، انسحب في أثنائها جزء من القوة الأردنية بسبب محاولة اليهود تطويقها. أمّا بقية هذه القوة فلم تتمكن من الانسحاب، وبقيت تقاوم وتدافع ببسالة، وأرسلت إلى القائد **حسن سلامة** تطلب نجدته، وكان في ذلك الوقت في منطقة قريتي دير محيسن وبيت محسير اللتين تقعان على بعد بضعة كيلومترات جنوبي اللطرون. قام **حسن سلامة** على الفور بتجهيز قوة من قرى المنطقة، هاجمت الجيش الإسرائيلي المهاجم من الجنوب. استمرت المعركة عدة ساعات لم يستطع الجيش الإسرائيلي المهاجم من الوصول إلى هدفه، لكنه كاد ينجح. أرسل القائد **حسن سلامة** رسولاً إلى قيادة اللد يطلب منها إرسال قوة قوية لتساعده في منع سيطرة الإسرائيليين على هذه المنطقة المهمة، وفي منع تصفية القوات العربية المشتركة في المعركة. فاستجابت لطلبه، وأرسلت قوة كبيرة ترافقها ثلاث سيارات مصفحة وبعض المدافع الصغيرة وهاجمت القوات الإسرائيلية من الشمال الغربي من منطقة قرية عنابة. فوجئت القوات الإسرائيلية التي كانت قاب قوسين من تحقيق هدفها، وأصبح جزء من قواتها شبه مطوق. اشتد القتال الذي استعملت فيه مختلف الأسلحة وخصوصاً مدافع المورتر الإسرائيلية. وقد استبسل الجنود الأردنيون القلائل ولم يتركوا مواقعهم. استمرت المعركة حتى ساعات الغروب، عندها رجحت كفة القوات العربية المشتركة ونجحت في دحر الجيش الإسرائيلي الذي انسحب متكبداً خسائر فادحة في الأرواح، إذ قتل عدد كبير من جنوده، وعلى رأسهم الجنرال الأميركي ماركوس. غنمت قوات اللد سيارتين مصفحتين وكمية كبيرة من الأسلحة والعتاد الحربي من الجيش الإسرائيلي. وهكذا، بقيت اللطرون عربية صامدة تسد الطريق أمام المواصلات الإسرائيلية. ورجعت قوات المدينة بغنائمها مهللة ومكبرة لانتصاراتها في هذه المعركة، على الرغم من أنها فقدت عدداً من القتلى والجرحى.

زادت قائمة شهداء المدينة الأبطال، كما زاد كثيراً عدد الجرحى واكتظ

المستشفى بالجرحى ومعظمهم جروحهم خطرة. وبما أن مستشفى البعثة المصرية في الرملة انتقل إلى رام الله بسبب خطورة الوضع والخوف من دخول الإسرائيليين، قررت لجنة الإسعاف والمسؤولون في المدينة إرسال الجرحى ذوي الإصابات الخطرة إلى مستشفيات نابلس عند الحاجة، وأوفدوا أحد المسؤولين في اللد ليطلب من إدارة مستشفيات نابلس قبول بعض الجرحى شارحاً لهم حقيقة الوضع الصحي في المدينة. وافق مديرو المستشفيات على طلبه، وأبدوا استعدادهم، مشكورين، لاستقبال جرحى اللد في مستشفياتهم. وبما أن قوات المدينة تخوض معارك يومية في مختلف الجبهات، ولا يمكنها الاستغناء عن سيارات الإسعاف، تقرر أن يكون نقل الجرحى إلى مستشفيات نابلس في ساعات الليل الأخيرة. وكما ذكر سابقاً، كان هناك ثلاث سيارات إسعاف فقط، وكنّا ننقل بين ٨ إلى ١٠ جرحى إلى نابلس ليلاً، ثلاث مرات في الأسبوع.

زادت القوات الإسرائيلية في هجماتها على الجبهة الغربية من منطقة وادي الخيار، الواقعة بين اللد غرباً والسافرية، حيث كانت تحاول التسلل من خلال خطوط الجبهة بوحدات صغيرة متعددة في عدة أماكن، وفي وقت واحد، تحت ستار من قذائف المورتر تطلق على مواقع القوات المدافعة، وعلى أطراف المدينة. كانت قوات المدينة تردها على أعقابها في كل مرة، لأنها كانت دائماً في حالة استعداد قصوى، حتى إن أفرادها كانوا يتناولون طعامهم في مواقعهم، وفي جانب مصفحاتهم. أغارت الطائرات الإسرائيلية على وسط المدينة عدة مرات موقعة الإصابات بين سكانها، بين قتلى وجرحى بقصد خلق البلبلة والخوف بين السكان. والظاهر أن هدف تلك الهجمات البرية والغارات الجوية على المدينة كان إشغال قوات المدينة وعدم تمكينها من القيام بهجمات خارج المدينة، وإضعاف معنوية السكان وبث الذعر بينهم، انتقاماً للانتصارات التي أحرزتها قوات المدينة في معاركها المتعددة خارجها.

ومن الجدير بالذكر أن القيادة أقامت وحدة صغيرة للدفاع الجوي ضد الطائرات الإسرائيلية زُودت بمدفعين صغيرين لإسقاط الطائرات، نصب أحدهما فوق برج مطار اللد، ونُصب الثاني قرب مبنى قيادة المدينة. نجح جنود المدفع الأول في إسقاط طائرة إسرائيلية فوق المطار، كما نجح جنود المدفع الثاني في إسقاط طائرة أُخرى فوق حرج بن شيمن شرقي المدينة، ولا يزال حطامها معروضاً في أطراف الحرج حتى الآن.

ثامناً: معركة رأس العين
واستشهاد القائد حسن سلامة

رأس العين قرية صغيرة، تقع على بعد نحو ٢٠ كلم شمالي اللد على منبع نهر العوجا (اليركون)، أو نهر جريشة، كما يسميه سكان هذه المنطقة نسبة إلى مطاحن القمح التي تعمل بقوة مياهه، ولهذا دُعيت القرية رأس العين. توجد في جوارها قلعة رومانية قديمة هي قلعة أنتيباترس، جدد بناءها السلطان صلاح الدين ثم العثمانيون. إن موقع رأس العين استراتيجي ومهم، إذ يمر فيها الطريق البري الذي يقطع البلاد من الداخل من الحدود المصرية حتى شماليها ومنها إلى سورية، كما يمر برأس العين خط سكة الحديد القادم من القنطرة في مصر ماراً بالعريش وغزة واللد ورأس العين إلى حيفا حتى بيروت.

بتاريخ ١٩٤٨/٥/٢٨، هاجمتها القوات الإسرائيلية بقصد احتلالها، فتصدت لها قوات **حسن سلامة** ودارت بينهما معركة طويلة وحامية، استمرت حتى صباح اليوم التالي ٥/٢٩، حيث أصيب فيها القائد حسن سلامة إصابات خطرة نقل في إثرها إلى مستشفى اللد. وكانت إصابته بظهره نتيجة عدة شظايا قنبلة مورتر أطلقت على سيارته، وهو بداخلها. قام الأطباء بفحصه وتبيّن لهم أن شظايا القنبلة اخترقت ظهره واستقرت داخل رئتيه، وقالوا إن لا أمل بشفائه. وفي التاسعة صباح ١٩٤٨/٥/٢٩، تمكن الإسرائيليون من احتلال رأس العين. وكانت هذه العملية حلقة أُخرى من حلقات قُصد منها عزل منطقة اللد ـ الرملة عن المثلث الفلسطيني،[٢٥] وإغلاق الطريق أمام الإمدادات الغذائية وغيرها من تلك المنطقة، والتي كانت تستوردها مدينة اللد لآلاف اللاجئين الذين طردوا من قراهم واستقروا بها.

أمّا القائد **حسن سلامة**، على الرغم من الألم الشديد الذي انتابه من جراء الإصابة، فلم يفقد وعيه، وطلب حضور قائد قوات المدينة **حمزة صبح** ليحادثه في أمر سقوط رأس العين. حضر **حمزة** إلى المستشفى وقابل **حسن سلامة** الذي كان يتلوّى من الألم[٢٦] وقال: «يا حمزة، إن رأس العين قد سقطت بأيدي القوات اليهودية، وسقوطها خلق وضعاً جديداً خطراً جداً، إذ إن رأس العين واقعة على مفترق الطرق من الجنوب والساحل إلى مدن المثلث، كما أن خط سكة الحديد

---

(٢٥) المثلث الفلسطيني هو المنطقة التي تقع بين مدن نابلس وجنين وطولكرم.
(٢٦) لقد حضرت هذه المقابلة شخصياً بصفتي ممرضه الخاص.

المتوجه إلى شمال البلاد يمر فيها أيضاً، ومن السهل الآن على قوات الهاغاناه التقدم منها إلى المثلث واحتلاله. وزيادة على ذلك فقد قطعوا عليكم طريق إمداداتكم من المثلث وشمال البلاد. لهذا أطلب منك أن تتفهم خطورة الوضع على مدينتكم أيضاً، إذ إن استيلاء اليهود على رأس العين هو حلقة أُخرى من عمليات تطويق المدينة، لذلك أطلب منك أن تجهز حملة قوية من قوات المدينة، والقيام بهجوم مضاد لاسترجاع رأس العين قبل أن يستقر اليهود بها ويحصنوها. إنني أعرف مدى قوة اللد وشجاعة محاربيها، وهم مجهزون بأسلحة أوتوماتيكية حديثة، وأنا متأكد من نجاح هذا الهجوم المضاد وتحرير رأس العين من أيدي اليهود.» كان يتكلم ببطء وهو يلهث ويتلوى من شدة الألم، وكان يتوقف عن الكلام بعد كل جملة ليلتقط أنفاسه، وكان عدد من الأطباء ومن الممرضين يقفون حول سريره بالإضافة إلى قائد اللد ومساعديه. وعده قائد اللد **حمزة صبح** بتجهيز حملة قوية جداً لتقوم بهذه العملية فور إكمال تحضيرها، وقال له: «اطمئن يا **أبو علي**، سنقوم بالهجوم في هذا اليوم قبل حلول الظلام.» نظر إليه **حسن سلامة** وقال: «يا **حمزة** لا تعدني بالعمل الفوري، إن كنت لا تنوي ذلك، معتقداً أن **حسن سلامة** سيفارق الحياة بعد مدة قصيرة، ولا حرج إن طمأنته قبل استشهاده.» هنا أقسم له **حمزة** أنه صادق في وعده، وأنه ذاهب فوراً لتحضير القوات المطلوبة وسيبدأ الهجوم في هذا اليوم. رجع **حمزة** إلى مقر قيادته وبدأ تجهيز قوة كبيرة من المشاة، بالإضافة إلى عدة مدرّعات تحمل مدافع ميدان صغيرة ومدافع رشاشة ثقيلة. ثم توجهت هذه القوة بقيادته إلى موقع جنوبي رأس العين، وهناك نظّم قواته لشن هجوم على شكل كماشة، من الشرق ومن الغرب والقوة الرئيسية في الجنوب. وبدأ هجوم قوي، سريع وكاسح، استعملت فيه المدفعية الخفيفة وراجمات المورتر، وكان عدد الجنود المشتركين في هذه العملية يزيد على ثلاثمئة مقاتل. استمرت هذه المعركة نحو ثلاث ساعات وكانت حامية جداً. تقدم المقاتلون اللدادوة فيها باستمرار وعناد، على الرغم من كثرة المصابين الذين كانوا ينقلون أولاً بأول من ساحة المعركة إلى اللد، بواسطة ثلاث سيارات إسعاف تابعة لقيادة المدينة. انسحب الجيش الإسرائيلي بعدها حاملاً قتلاه وجرحاه تاركاً وراءه الكثير من أسلحته وتجهيزاته العسكرية، ومنها جهاز اتصال لاسلكي عسكري.[٢٧] والظاهر أن الجيش الإسرائيلي فوجىء بهذا الهجوم، بقوة أسلحته

---

(٢٧) تقرير القائد حمزة صبح إلى القائد حسن سلامة قبل وفاته، وقال له إنه تم الاستيلاء على ١٣٤ قطعة سلاح من اليهود مع جهاز لاسلكي كبير.

وسرعته، وتم استرجاع رأس العين في اليوم نفسه. رجع قائد قوات المدينة **حمزة صبح** إلى اللد نحو الرابعة بعد الظهر، وجاء إلى المستشفى مبشراً **حسن سلامة** بالانتصار الكبير باسترجاع رأس العين. كان القائد **حسن سلامة** لا يزال واعياً يتلوى من الألم منتظراً أخبار المعركة. بشّره قائد المدينة بنجاح الهجوم واسترجاع رأس العين، وأن جزءاً من القوة (نحو ٨٠ مقاتلاً معهم ثلاث مدرعات) بقي هناك للمحافظة على الموقع. ووصف له كيف هرب أفراد الجيش الإسرائيلي أمام أبطالنا، وغنمت قواتنا أسلحة كثيرة وعدة صناديق من الذخائر. هنا سأله **حسن سلامة**: «أحقاً انتصرتم واسترجعتم رأس العين؟»[٢٨] فأقسم له **حمزة** بذلك. عندها مد القائد **حسن سلامة** يده تحت وسادته وأخرج مسدسه الخاص وأعطاه إلى حمزة قائلاً: «خذ هذا المسدس هدية لك ولأفراد القوة التي حققت النصر.» وأضاف: «إن هذا المسدس عزيز جداً عليّ، فهو هدية من **سماحة المفتي الحاج أمين الحسيني**. أنتم تستحقونه وجديرون به، خذه يا **حمزة** هدية تقديرية من **حسن سلامة** الذي سيفارق الحياة قريباً.»

في اليوم التالي نقل القائد حسن سلامة بحالة نزاع إلى مستشفى البعثة المصرية بالرملة حيث فارق الحياة شهيداً مناضلاً في سبيل أمّته وبلاده، رحمه الله. وقبل نقله بنحو ساعة أغارت الطائرات الإسرائيلية على المستشفى وأسقطت قنابلها على بيت مجاور للمستشفى لعائلة من اللاجئين قتل من جرائها شابان أخوان من تلك العائلة وأصيب أخ ثالث ووالدتهم بجروح بالغة وتهدم بيتهم. كما اقتُلعت شبابيك المستشفى من مكانها وتحطم زجاجها وأصيب عدد من النزلاء بجروح طفيفة. الظاهر أن الجيش الإسرائيلي علم بوجود القائد **حسن سلامة** في المستشفى، فأرسل طائراته المغيرة على أمل أن يصاب ويقتل. بقيت قوات المدينة محتفظة برأس العين ومنطقتها إلى أن جاءت قوة كبيرة من الجيش العراقي وتسلمت رأس العين والمنطقة المحيطة بها وعسكرت فيها بصورة دائمة. طلبت قيادة هذه القوة من قيادة المدينة مد خط هاتفي مع جهاز هاتف عسكري خاص، كما طلب بعدها إدريس بك، قائد الوحدة الأردنية الموجودة في مبنى للشرطة يقع بين اللد والرملة، مد الخط المذكور لضرورة الاتصال الهاتفي المباشر بينه وبين قائد القوة العسكرية العراقية في رأس العين. وافقت قيادة المدينة على ذلك، وأمرت وحدة الاتصالات العسكرية التابعة لها بالقيام بهذا

---

(٢٨) من تقرير قائد المدينة حمزة صبح إلى القائد حسن سلامة قبل نقله من المستشفى الميداني في المدينة إلى مستشفى البعثة المصرية في الرملة حيث أسلم الروح، رحمه الله.

المشروع، وبسرعة قامت الوحدة بمد خط هاتفي بلغ طوله نحو ٢٣ كلم. وبانتهاء العمل فيه تمّ الاتصال بين الوحدة الأردنية والقوات العسكرية العراقية في رأس العين.

من الجدير بالذكر، أن أهالي المدينة استقبلوا قواتهم المنتصرة العائدة من رأس العين بالهتاف والأهازيج وزغاريد النساء على الرغم من معرفتهم أن قواتهم فقدت عدداً من أفرادها الشجعان، ذهبوا شهداء في ساحة الشرف والكرامة، ليحموا عائلاتهم من القتل والتشريد على أيدي القوات الإسرائيلية.

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن قائد المدينة اتصل بقيادة الوحدة العراقية التي كانت معسكرة بالقرب من قرية كفر قاسم، شمالي شرقي رأس العين، وطلب منه أن يقوم بهجوم على رأس العين من الشمال، بينما تهاجم قوات المدينة الموقع من الجنوب، كي يخفف ضغط الجيش الإسرائيلي على قوات المدينة عندما تهاجم خطوط العدو من الجنوب. كان رد القائد العراقي: «ماكو أوامر»، أي ليست لديّ أوامر بالقتال حينها. رجاه قائد المدينة قائلاً: «إذا لم يكن في الإمكان شنّ هجوم، أرجو أن تساعدنا في قصف مواقع الجيش الإسرائيلي بالمدفعية التي تحت إمرتك.» فرفض هذا الطلب أيضاً قائلاً: «ماكو أوامر». وقد أصبحت هذه الجملة نكتة تداولها سكان المدينة كثيراً، لكن كما ذكرت سابقاً، نجحت قوات المدينة في مفاجأة الإسرائيليين وطردتهم من رأس العين.

بعد عدة أيام من استيلاء قوات اللد على هذا الموقع المهم جداً، وكانت قد بقيت فيه حامية لداوية قوامها نحو ٨٠ مقاتلاً للدفاع عنه، وصلت إلى الموقع سيارة عسكرية عراقية من نوع «كومندكار» فيها عشرة جنود عراقيين وأخبروا أفراد الحامية أنهم سيقومون بحراسة الموقع والدفاع عنه، وطلبوا منهم الرجوع إلى مدينتهم. رفض أفراد الحامية هذا الطلب قائلين: «إن قواتنا فقدت شهداء في سبيل استرجاع الموقع أكثر من عددكم هذا، ما عدا عشرات الجرحى، فلا يعقل أن نترك الموقع لكم وأنتم عشرة جنود فقط لا غير.» احتدّ الجدل بين الطرفين وكاد يؤدي إلى قتال بينهما. بعدها تم اتصال بين قائد المدينة وقائد الوحدة العسكرية العراقية،[٢٩] واتفقا على أن يحضر الجيش العراقي حامية قوية تكفي لصد الهجمات الإسرائيلية، وبعدها تنسحب حامية المدينة من الموقع. وهذا ما حدث بعد أيام قلائل.

---

(٢٩) بحسب وصف أحد رجال الحامية.

تاسعاً: صد الهجمات اليهودية على الرملة

في ليلة ٢١ ـ ١٩٤٨/٥/٢٢، قامت قوات من منظمة إيتسل، المنظمة العسكرية القومية، بشن هجوم على مدينة الرملة من الجهة الغربية،[٣٠] فتصدت لها قوات المدينة، التي طلبت من قيادة قوات اللد إرسال قوة كافية لمساعدتها في صد هذا الهجوم. خرجت قوة لداوية إلى مكان المعركة لمساعدة قوات الرملة ونجحا في رد القوات الإسرائيلية على أعقابها، بعد أن كبداها خسائر فادحة في الأرواح بين قتيل وجريح. وفي ليلة ٢٤ ـ ١٩٤٨/٥/٢٥، عاودت المنظمة المذكورة هجومها على الرملة بقوات وأعتدة أكثر مما كان في الهجوم السابق،[٣١] وتصدت لها قوات الرملة، ولكنها لم تتمكن من إيقاف تقدمها، إذ كانت تفوق قوات الرملة عدداً وعدة. ووصلت القوات الإسرائيلية إلى مقبرة النبي صالح غربي الرملة. وفي هذه المرة أيضاً، استنجدت قوات الرملة بقوات اللد لمساعدتها في صد الهجوم الإسرائيلي الجديد، فأرسلت قيادة اللد قوة مدرعة كبيرة قامت بهجوم معاكس قوي مع قوات الرملة، ونجحا في رد المعتدين موقعين بهم إصابات كبيرة في الأرواح.[٣٢]

عاشراً: هجوم قوات المدينة الكبير
ليلة الهدنة

أصبحت الحياة في المدينة لا تطاق من كثرة عدد اللاجئين الذي لجأوا إليها من يافا، والعباسية، والسافرية، وبيت دجن، وكفرعانا، وصرفند العمار، وصرفند الخراب، وعنّابة، وجمزو، ودانْيال. وبلغ عدد سكان المدينة نحو ٥٠ ألفاً، أي نحو ضعفي عدد سكانها قبل بدء المعارك. ازدحمت الشوارع والأزقة بالناس وحشر اللاجئون في المنازل الصالحة وغير الصالحة للسكن، كما زرعت حقول الزيتون المحيطة بالمدينة بالخيام، وتدنت حالة النظافة في المدينة، وشحّت المواد الغذائية، حتى المياه أصبحت غير كافية لحاجات الناس. كما بلغ

---

(٣٠) بني موريس، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٤.

(٣١) المصدر نفسه.

(٣٢) أخبرني مئير بعيل، الذي كان ضابطاً كبيراً، عندما تقابلنا في بيتي في أثناء حديث لي مع التلفزة الإسرائيلية، أنه علم من ملفات الجيش أن عدد قتلى منظمة الإيتسل في هذه المعركة بلغ ٥١ قتيلاً.

عدد جرحى المعارك المئات، بالإضافة إلى عدد الشهداء الكبير والذي كان يزداد يومياً. تحير المسؤولون في المدينة ماذا يعملون لحل هذه المشكلات، وجميعها معقدة؛ وأصبحت غارات الطائرات الإسرائيلية توقع إصابات كثيرة بسبب اكتظاظ الناس، فماذا يفعلون؟ هنا أعلنت هيئة الأمم المتحدة هدنة مدتها شهر واحد يتوقف خلالها القتال بين الأطراف المتحاربة في فلسطين، تبدأ في ١٠/٦/ ١٩٤٨. قبل بها الإسرائيليون وكذلك جيوش الدول العربية والمحاربون العرب. رأى قادة المدينة ورؤساؤها أن هذه الهدنة تُعطيهم فرصة لتنظيم أنفسهم، ولإيجاد حلول لبعض المشكلات التي يعانونها. وتداولوا فيما بينهم في وسائل تخفيف الزحام في المدينة، وقرروا أن تشن قوات المدينة هجوماً كبيراً ذا ذراعين. يسترجع الذراع الأول بلدة العباسية وقريتي كفرعانا والخيرية، في حين يسترجع الذراع الثاني قرى المنطقة الغربية وهي: السافرية وصرفند العمار وصرفند الخراب، ليلتقي الذراعان في قرية بيت دجن، شرط أن يبدأ الهجوم الكبير ليلة إعلان الهدنة. بعد نجاح الهجوم، وفي خلال الهدنة يتم إرجاع سكان هذه القرى إلى قراهم بعد تسليحهم وتدريب شبابهم على استعمال السلاح، ليقاوموا قوات الجيش الإسرائيلي، وعدم تمكينها من الاستيلاء على قراهم من جديد، وستقوم قوات المدينة بمساعدتهم في ذلك بجميع إمكاناتها. من جهة ثانية، تُرسل الوفود إلى خارج فلسطين لشراء الأسلحة وكميات كبيرة من الذخائر المتنوعة، والتي قاربت على النفاذ، كما يطلب من تجار المدينة شراء المواد الغذائية بكميات كبيرة وتخزينها لاستعمالها في حالة نجاح الجيش الإسرائيلي في تطويق المدينة، لا سمح الله.

بدأت قيادة المدينة استعداداتها للقيام بالهجوم الكبير ووضعت الخطط العسكرية لتنفيذه، وقامت بتجنيد جميع أفراد قوات المدينة الاحتياطيين، وأمرتهم بفحص أسلحتهم، وأن يكونوا على أتم الاستعداد للقتال في الموعد الذي تحدده. كما طلبت من لجنة الإسعاف الاستعداد لاستقبال المصابين، والاهتمام بإيجاد الأدوية اللازمة وتجنيد جميع الممرضات والممرضين لهذه المهمة، وفحص وتجهيز سيارات الإسعاف وتحضيرها، والبحث في إمكان نقل أكبر عدد ممكن من نزلاء المستشفى إلى مستشفيات نابلس ورام الله، من أجل إيجاد أمكنة لاستقبال جرحى المعارك المرتقبة. بعد أن تمت الاستعدادات تقرر أن يقوم الذراع الأول بالهجوم لاستعادة بلدة العباسية وقريتي كفر عانا والخيرية، على أن يلتقي الذراع الثاني في قرية بيت دجن. قبل بدء الهدنة بيومين قام عدد من الطائرات الإسرائيلية بالإغارة على مخيم للاجئين، من قريتي صرفند العمار

والخراب، يقع غربي المدينة في حقول الزيتون، قُتل من جراء الغارة ١٧ شخصاً وجُرح الكثيرون. قُمنا بجمع أشلاء الجثث وحملناها في سيارات الإسعاف، وكان المنظر يُزعزع الأبدان. أمّا الجرحى فنقلوا إلى المستشفى للمعالجة. لقد كان لهذه الغارة تأثيرٌ سيّىء في السكان.

وفي الموعد المحدد لبدء الهجوم الكبير ليلة ٩ ـ ١٠ حزيران/ يونيو ١٩٤٨، وفي الثانية عشرة عند منتصف الليل، توجهت قوات المدينة التي تم إعدادها، إلى جبهات القتال في الأماكن التي حددتها القيادة، بينما بقي جزء منها كقوة احتياطية في مقر القيادة. في الواحدة بعد منتصف الليل، بدأت مدفعية المدينة الثقيلة، والتي تكونت من مدفعي ميدان من عيار ٢٥ رطلاً،(٣٣) قصف مواقع القوات الإسرائيلية في بلدة العباسية وقرية كفر عانا، كما أمطر عدد من راجمات المورتر مواقع القوات الإسرائيلية الأمامية. قامت بهذا القصف قوات الذراع الأول.

تحت ستار قصف المدفعية، تقدمت قوات الذراعين نحو خطوط القوات الإسرائيلية، وأجبرتها على الانسحاب من بلدة العباسية(٣٤) وقرية كفر عانا ثم قرية الخيرية. استمرت هذه المعارك حتى الثامنة صباح ٦/١٠، وهو الموعد الذي حُدّد لاستعادة بلدة العباسية بأكملها، وكذلك قرية كفر عانا. أمّا قريتا الخيرية وبيت دجن فلم يتم استرجاعهما بحسب ما كان مقرراً بسبب شراسة القتال وضيق الوقت. مع ذلك، فقد أُبعدت القوات الإسرائيلية عن أماكنها التي كانت قريبة من منطقة مطار اللد الدولي. وطبعاً، أبعدت هذه القوات عن المدينة، وقد سُرّ الأهالي من هذا النجاح، كما سُرّ رجال حامية المطار كثيراً،

---

(٣٣) كانت قواتنا قد استولت عليهما من أحد قطارات الجيش البريطاني، في أثناء نقلهما من معسكر صرفند إلى ميناء حيفا، ولم يكن للمدفعين أجهزة توجيه أو أجهزة إطلاق، إذ كانت على ما يظهر في عربة أُخرى من عربات القطار المذكور، لذلك كانا يوجهان بالعين المجردة، وتُطلق القنابل بواسطة قضيب كالمسمار يضرب بواسطة يد وطورية. وعندما نفذت الذخيرة التي لم تكن كبيرة، أُرسل وفدان على جناح السرعة، إلى كل من مصر والأردن علهما يزودانهما بكمية قنابل كافية، ولما لم ينجحا في الحصول على القنابل أُقيم في المدينة مصنع لصنع تلك القنابل، وكان يعمل فيه صناع مهرة من المدينة، منهم حدادون وسكابون خبراء بهذا المجال. وقد نجحوا في صنع كمية كبيرة من القنابل، تم تخزينها في ملاجىء قوية من الأسمنت المسلح تحت الأرض. كان للمدفعين فضل كبير في الانتصارات التي حققتها قوات المدينة.

(٣٤) لقد اشتركت شخصياً في هذه المعركة ضمن رجال الإسعاف مع سيارتي إسعاف، لنقل المصابين إلى المستشفى وإسعافهم.

إذ كانت خطوط القوات الإسرائيلية الأمامية قريبة منهم. بلغت خسارة قوات المدينة ١١ شهيداً فضلاً عن عشرات الجرحى في هذه المعركة.

وقد تكبد الجيش الإسرائيلي عدداً كبيراً من الإصابات بين قتيل وجريح، كما تم أسر عدد من جنودهم في بلدة العباسية،(٣٥) وعدد من مصفحاتهم.(٣٦)

كان ذلك ما حدث لقوات الذراع الأول. أمّا الذراع الثاني فقد دحرت قواته القوات الإسرائيلية عن مواقعها السابقة، والتي كانت قريبة نسبياً من قرية السافرية لا بل دخلتها، ودارت بينهما معركة حامية داخل القرية. حاربت قوات المدينة فيها من بيت إلى بيت، لكنها لم تتمكن من استعادة القرية. كذلك، لم يكن حظها في قرية صرفند بأحسن من حظها في قرية السافرية، إذ تحصنت القوات الإسرائيلية في بعض بيوت القريتين، ومع هذا تمكنت من إبعاد خطوط القوات الإسرائيلية بعض الكيلومترات عن مواقعها السابقة التي كانت في منطقة «وادي الخيار».

أمّا أهالي المدينة فلم يغمض لهم جفن، إذ كانوا قلقين جداً على مصير أبنائهم، وهم يسمعون دوي المدافع وقنابل المورتر في أثناء المعارك من دون انقطاع. وأمضوا الوقت في الصلاة طالبين من المولى، عز وجلّ، أن يحمي أبناءهم وينصرهم على أعدائهم، وأن يرجعهم سالمين منتصرين. كان الأهالي خارج بيوتهم يتلقطون الأخبار، ويتراكضون عند سماعهم أجراس سيارات الإسعاف، وهي تنقل المصابين إلى مستشفى المدينة، مستفسرين عن مصير أبنائهم وعن سير المعركة. في الثامنة صباح ١٩٤٨/٦/١٠، توقفت قوات المدينة عن القتال، بحسب قرار هيئة الأمم المتحدة، الذي حدد الثامنة صباحاً لوقف القتال وبدء الهدنة. تقول قيادة المدينة إنه على الرغم من عدد الإصابات الكثيرة التي تكبدتها قواتنا، فلم نتوقف عن التقدم، إذ أجهضنا هجوماً معاكساً قامت به القوات الإسرائيلية على بلدة العباسية المحررة، وكانت يد قواتنا هي العليا في المعركة، وتمسك بزمام المبادرة على الرغم من النجدات الكبيرة التي انضمت إلى قوات العدو. كما كانت معنويات مقاتلي المدينة عالية. وتساءل سكان المدينة قائلين: لو كانت القوات الإسرائيلية هي التي تتقدم، وزمام المبادرة في يدها، فهل كانت ستتوقف عن القتال قبل تحقيق أهدافها؟ كانت

---

(٣٥) تمت مبادلتهم ببعض أسرى المدينة في القرب من قرية فجة في منتصف الطريق بين اللد وبيتح تكفا في أثناء الهدنة.

(٣٦) بحسب وصف ضباط المدينة لسير المعارك.

قوات المدينة بحاجة إلى ساعتين إضافيتين لتحقق هدفها بحسب قول قيادتها، لكنها توقفت عن القتال تقيداً بقرار الهدنة.

حادي عشر: قوة من الجيش الأردني تعسكر في الرملة واللد

قبل بدء تنفيذ الهدنة الأولى بيوم واحد، أي في ١٩٤٨/٦/٨، حضرت إلى المدينة قوة أردنية صغيرة قوامها نحو خمسين ضابطاً وجندياً، وعسكرت في عمارة مركز الشرطة السابق. كانت بناية قوية، من نوع أبنية الشرطة في شتى البلاد، تُدعى بناية تيغارت، على اسم المهندس البريطاني الذي خطط وأشرف على بنائها. وعلمنا أن قوة أردنية أُخرى عسكرت في مدينة الرملة، وعددها ٧٥ ضابطاً وجندياً، أي أن مجموع الجنود الأردنيين الذين وصلوا إلى مدينتي اللد والرملة لا يزيد على سرية واحدة قوامها ١٢٥ رجلاً فقط، على الرغم من أن هذه المنطقة هي من أهم المناطق في البلاد من الناحية الاستراتيجية.[٣٧] تفسيراً لهذا الوضع، يقول غلوب باشا، رئيس أركان الجيش الأردني، في جوابه إلى السيد عارف العارف: «ولما لم تكن لدينا قوات احتياطية خلف الكتائب المتقدم ذكرها، ولم يكن بإمكاننا أن نستغني عن أي جزء من الجنود المرابطين في اللطرون فقد اجتمعنا بالحكومة واتفقنا على أنه ليس بالإمكان إرسال قوات إلى لد والرملة.» واستطرد قائلاً: «عندما تأكدنا في إتمام عقد الهدنة الأُولى فكرنا أن الحرب ستنتهي عند هذا الحد لذلك وقبل ابتداء الهدنة بأربع وعشرين ساعة أرسلنا سرية إلى لد والرملة. وكنّا نهدف من وراء ذلك إلى غايتين: أولاهما أن نثبت حقنا في تلك المنطقة العربية، لئلا يدّعي اليهود أنها منطقة محايدة، ذلك لأن كلتا الحكومتين لم تكن قد وضعت يديها. والثانية أن نحفظ الأمن الداخلي فيها. إذ لم يكن هناك حكومة تسيطر على الأمن... ولمّا بحثنا مع الحكومة تعيين حكام عسكريين لبعض المناطق، لم يجد توفيق باشا أبو الهدى من الحكمة تعيين حاكم عسكري لمنطقة اللد والرملة. لأنه قدر عدم إمكان الدفاع عن تلك المنطقة. فلو هوجمت وسقطت وكان فيها حاكم عسكري أردني، لاعتبر ذلك انكساراً للحكومة الأردنية.» فمن

---

(٣٧) العارف، مصدر سبق ذكره، ج ٣، ص ٦١٦ ـ ٦١٧، رسالة من غلوب باشا نفسه إلى عارف العارف، والمؤرخة في ١٩٥٥/٢/١٥، رقم ق ٦١٠/١/٤٠.

هذا يتضح جلياً أن الجنود الأردنيين لم يأتوا للدفاع عن اللد والرملة قط، إنما كي يحفظ الأردن حقه في هذه المنطقة. ولم يهمه مصير الناس، فقواته جاءت لتدافع عن هذه المنطقة، باعتبارها منطقة أردنية، عند تقسيم البلاد بين الجيوش العربية.

ثاني عشر: إعلان الهدنة
١٩٤٨/٦/١٠ ـ ١٩٤٨/٧/٩

دخلت الهدنة في فلسطين حيّز التنفيذ في الثامنة من صباح ١٩٤٨/٦/١٠ واستمرت شهراً كاملاً. رجع معظم قوات المدينة من الجبهات. الجبهة الشمالية الغربية: بلدة العباسية وقرية كفر عانا؛ الجبهة الغربية: قرى السافرية وصرفند العمار وصرفند الخراب. وضعت قوات المدينة حاميات في المواقع الجديدة التي استرجعتها من العدو في كل من العباسية وكفر عانا والسافرية، وعلى خطوط الجبهة شرقي قرية صرفند. أمّا الجبهة الشمالية، فهي رأس العين وقريتا رنتية وويلهلما الألمانية، فقد وُضعت فيها حامية قوية قوامها ٨٠ مقاتلاً في رأس العين و٣٠ مقاتلاً في كل من قرى فجة ورنتية وويلهلما، كانوا يتغيرون كل ثلاثة أيام، وكانت تُرسل لهم الإمدادات الغذائية وغيرها يومياً. معنى هذا أن نحو ٢٨٠ مقاتلاً من قوات المدينة كانوا موجودين دائماً في مواقعهم خارج المدينة، ونحو ٣٠٠ مقاتل موجودين دائماً، ليلاً نهاراً، في مقر القيادة وساحاتها، الأمر الذي تطلب استنفار عدد كبير من سكان المدينة لتحضير الأكل والشراب ونقله إلى المواقع المتعددة، كما إلى مخازن المتفجرات التي كانت موجودة في عدة أماكن حُفرت تحت الأرض وبُنيت من الأسمنت المسلح ووُضعت عليها حراسة دائمة. كل ذلك تطلب مجهوداً تنظيمياً كبيراً من القيادة العسكرية للمدينة التي لم تتعود مثل هذه الأمور العسكرية ولم تعرفها سابقاً. لكن الحالة الخطرة التي كانت تهدد السكان في كيانهم ومصائرهم وبقائهم أحراراً في بلدهم، أجبرتهم على القيام بأعمال جبارة في المجال العسكري والمدني والتنظيمي، وصدق المثل القائل «الحاجة أم الاختراع». كان الجميع يعمل، كلّ في اختصاصه بجد ونشاط من دون أن يتقاضى أجراً عن عمله. هذا على الرغم من توقف الأعمال والمصالح، ولا أحد يسأل عن عمل أو يطلب أجراً عن أي عمل كُلف به. كان الجميع يشعر بخطورة الوضع ويقدم التضحيات عن رضى من دون حساب. المهم أن نبقى

في بلدنا مع أهلنا سالمين، ونقاوم الإسرائيليين وندافع عن بلدنا ونمنعهم من دخول مدينتنا كي لا نُقتل ولا يُشرّد أهلنا. إن الأمر الذي أثار سخط السكان واستهجانهم هو عدم حضور مسلحين من أي مكان في فلسطين لمساندة أهل المدينة، وهم الذين يتحملون عبئاً كبيراً في الدفاع عن أهم منطقة في البلاد. كانوا يتساءلون: أين قيادة المنطقة الوسطى؟ أين الهيئة العربية العليا وقيادتها؟ ماذا فعل سكان المدن والقرى الداخلية في فلسطين؟ انتظرنا وصول الجيوش العربية لمساندتنا. لم تصل إلينا سوى وحدة أردنية صغيرة لم تشترك مع قوات المدينة سوى في معركة احتلال كيبوتس غيزر، كما ذكرنا سابقاً. مع هذا لم ييأس السكان ولم يتقاعسوا أو يستسلموا، بل خاضوا معارك الدفاع عن المدينة وعن منطقتها، على الرغم من التضحيات الكثيرة التي قدموها؛ عشرات القتلى ومئات الجرحى على الرغم من الصعوبات الجمّة التي واجهوها.

كنّا نأمل بأن يستغل زعماء البلاد هذه الفرصة الثمينة لاستخلاص العبر مما حدث وتصحيح الأخطاء، وبأن يقوموا بتنظيم عرب فلسطين ويجندوهم كي يشتركوا جميعاً في القتال والدفاع عن بلدهم وعن شعبهم وعن وجودهم في بلدهم. كنّا نأمل، ونحن نقاتل في هذه المنطقة الخطرة، بأن يحضر متطوعون للوقوف معنا ومساندتنا في معاركنا التي يتوقف عليها مصير فلسطين بأجمعها. لكن الظاهر أن فلسطين قد تجزأت، ولا رابط يربط بين أجزائها، فنابلس ورام الله، أريحا وجنين وجميع المدن والقرى الداخلية كانت في عالم آخر، وما يجري في اللد والرملة لا يعني هؤلاء الزعماء. كما أن سكان هذه المنطقة ومصيرهم لا يعنيهم، ولا حتى مصير فلسطين بأكملها، ما دامت قوات الجيش الإسرائيلي لم تدق أبوابهم، وهم سالمون حالياً. أمّا في دولة إسرائيل التي أُعلنت إقامتها في ١٥/٥/١٩٤٨، فكان الحال مختلفاً تماماً عما هو عليه عند عرب فلسطين والدول العربية. استغلت إسرائيل كل ساعة من شهر الهدنة الأولى لزيادة قواتها وتنظيم جيشها ولشراء الأسلحة الحديثة. طوال أيام الهدنة، كانت الطائرات التشيكوسلوفاكية تنقل الأسلحة والذخائر يومياً للجيش الإسرائيلي. وكانت تلك الطائرات تهبط في مطار عاقر قرب مدينة رحوفوت اليهودية، أي ديران العربية (جنوبي غربي مدينة الرملة). تدفق المهاجرون اليهود على سواحل البلاد وتم تجنيدهم عند وصولهم، فقد كانوا مدربين عسكرياً، وحاربوا في الحرب العالمية الثانية. كما وصل عدة آلاف من المتطوعين اليهود من مختلف أنحاء العالم، في شهر الهدنة، لينضموا إلى الجيش الإسرائيلي في حربه ضد القوات العربية. هذا بالإضافة إلى النشاط

الدبلوماسي المتواصل الذي كانت تقوم به وزارة الخارجية الإسرائيلية وسفراؤها وموظفوها في عواصم العالم، ليحصلوا على المساعدات المالية والسياسية من مختلف دول العالم، وخصوصاً من الدول الغربية التي كانت تمد إسرائيل بالمساعدات العسكرية والمواد الغذائية التي كانت في أمسّ الحاجة إليها. بلغ عدد عناصر الجيش عند تأسيس الدولة ٦٢ ألف ضابط وجندي منظمين في فرق: مشاة؛ مدرعات؛ مدفعية؛ سلاح جوي؛ سلاح بحرية.[٣٨] بينما لم تكن تحسد دول الجامعة العربية، السبع، على حال جيوشها. استنتج رؤساء أركان قوات الدول العربية، بعد تقديرهم لقوة الهاغاناه بدقة، أن الحد الأدنى من القوة العسكرية المطلوبة للتغلب على هذه القوات الصهيونية هو ست فرق عسكرية[٣٩] وستة أسراب جويّة. وعندما حان وقت التدخل لم يجهز للقتال سوى قوة عسكرية تقل عن نصف الحد الأدنى الذي قدره القادة العسكريون أصلاً، فضلاً عن أن هذه القوة الهزيلة لم تكن مستعدة للقتال،[٤٠] وجاء قرار إرسالها إلى فلسطين متأخراً جداً. كما اتخذت الحكومة المصرية قراراً بإرسال قوات مصرية للدفاع عن عرب فلسطين في ١٢/ ٥/ ١٩٤٨، على أن تدخل القوات فلسطين في ١٥/ ٥/ ١٩٤٨، أي بعد يومين فقط من اتخاذ القرار، الأمر الذي لم يُتح للجيش المصري الوقت الكافي للاستعداد، بينما كان جيش الهاغاناه مستعداً جاهزاً، يقوم باحتلال المدن والقرى العربية الفلسطينية الواحدة تلو الأُخرى، وذلك قبل ١٥/ ٥/ ١٩٤٨.[٤١] ومن الجدير بالذكر، أن الجامعة العربية عينت الملك عبد الله، ملك المملكة الأردنية، قائداً عاماً للجيوش العربية المحاربة في فلسطين، وكان القائد العام للجيش الأردني حينها الجنرال البريطاني غلوب باشا، كما كان معظم القادة الكبار لهذا الجيش ضباطاً بريطانيين أيضاً، بموجب شروط المعاهدة البريطانية ـ الأردنية المعقودة بينهما. وكما نعلم فبريطانيا هي الدولة التي وعدت اليهود بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين، على أن تضع البلاد في أوضاع سياسية واقتصادية واجتماعية وإدارية تُساعد على إنشاء وطن قومي لليهود فيها. كما أن المندوب السامي البريطاني الأول السير هربرت صموئيل كان يهودياً يعمل على تحقيق إقامة الوطن القومي

---

(٣٨) موريس، مصدر سبق ذكره.

(٣٩) وليد الخالدي، «ما قبل الشتات»، ص ٣١٣.

(٤٠) المصدر نفسه.

(٤١) المصدر نفسه.

بصورة عملية وجدية. بالإضافة إلى ذلك، لم تكن الدول العربية متفقة في إطار الجامعة العربية على الهدف الذي ستحارب جيوشها لتحقيقه في فلسطين، وجاء قرار إرسال تلك الجيوش متأخراً جداً، ولم يُعطها إلاّ بضعة أيام للاستعداد العسكري لدخول فلسطين لمحاربة قوات الهاغاناه.(٤٢)

آمن عرب فلسطين بأن جيوش دول الجامعة العربية السبع ستحارب عنهم، وتنقذهم مما هم فيه من الفوضى والتقاعس عن القتال نتيجة عدم وجود حكومة أو هيئة تقوم بتنظيمهم وتجنيدهم للقتال والمحافظة على بلادهم. كما اعتقدوا أن الجيوش العربية ستقضي على الجيش الإسرائيلي سريعاً، وستنقذ فلسطين من شر هذا البلاء، وكفى الله المؤمنين شر القتال. و... كان ما كان. رأى عرب فلسطين أن الجيوش العربية لم تكن منظمة ولا مسلحة كما يجب، وأن عددها غير كاف لتحقيق أهدافهم، كما أنها لم تكن متفقة فيما بينها على ما يجب تحقيقه، وكيف. كان حكامها مختلفين، كل واحد منهم يسعى لتحقيق هدفه هو، ويعمل على ما يوافق مصلحة بلده فقط. كانت كل دولة تخاف من الأُخرى، وقد أوصلتهم خلافاتهم وتضارب مصالحهم إلى محاربة بعضهم بعضاً، في بعض المواقع.

أمّا سكان اللد فلم يناموا أو يتقاعسوا، ولم يعتقدوا أن الجيوش العربية ستحارب عنهم وتكفيهم شر القتال، فالقوات الإسرائيلية غير بعيدة عن المدينة، وتقوم بمهاجمتها كل يوم. كما أن القوة الأردنية المؤلفة من ١٢٥ عنصراً،(٤٣) التي أرسلت إلى منطقة اللد والرملة ـ وهي أهم منطقة في مركز البلاد، ومدينة تل أبيب القلب النابض لإسرائيل مع ما يحيط بها من مدن وقرى يهودية لا تبعد عن المدينة سوى ١٧ كلم، وقواتها على الجبهة الغربية للمدينة تقف مستعدة على بعد لا يزيد على ٥ ـ ٦ كلم عن مركز المدينة ـ لا يمكنها حتى الدفاع عن نفسها، إذ إن الجيش الإسرائيلي في هذه المنطقة لا يقل عدده عن ١٠ آلاف ضابط وجندي. لذلك فإن اللجنة القومية وأعضاء المجلس البلدي في المدينة والقيادة العسكرية لم تؤمن بأن الجيوش العربية ستحارب عنها، فواصلت استعداداتها العسكرية وزيادة عدد أفرادها وتسليحهم وتنظيمهم، حتى أصبح معظم رجال المدينة إمّا جنوداً وضباطاً في قوات المدينة وإمّا مساهمين

---

(٤٢) موريس، مصدر سبق ذكره.

(٤٣) يقول موريس: «إن عدد الجنود الأردنيين الذين أرسلوا إلى الرملة واللد يراوح بين ١٢٠ ـ ١٥٠ جندياً.» المصدر نفسه، ص ٢٧٣.

في المجهود الحربي. كانوا يعملون بحماسة وبلا هوادة، شاعرين بثقل وعظم المسؤولية التي فُرضت عليهم، فلم يسمحوا لأحد من السكان بمغادرة المدينة، رجلاً كان أو امرأة أو طفلاً، كي يستبسلوا في الدفاع عنها وعن سلامة عائلاتهم، والبقاء في بيوتهم وبلدهم. أمّا قيادة المدينة وضباطها فقد عملا ليلاً نهاراً في شهر الهدنة في تقوية جبهات القتال وإقامة التحصينات على الحدود وحفر الخنادق الدفاعية، وأرسلا وفوداً إضافية إلى الدول العربية وغيرها لشراء الأسلحة والذخائر. وكان ذلك قبل حلول الهدنة بثلاثة أسابيع لأن الذخيرة على مختلف أنواعها شحّت من كثرة المعارك، وخصوصاً قنابل مدافع الميدان الكبيرة التي لم يبق منها سوى عدد قليل جداً.

عندما رجعت الوفود، ومعها سيارات محملة بالذخيرة، لم يكن بينها قنابل لمدافع الميدان، إذ لم يجدوا منها شيئاً. وبما أنه كان هناك حاجة ماسة إليها، فقد جمعت القيادة جميع الحدادين والسكابين في المدينة، وبلغتهم أن القيادة في حاجة إلى تلك القنابل، وإلاّ فإن المدافع التي كان لها فضل كبير في كسب عدد من المعارك الكبيرة والانتصار فيها لن تجد نفعاً. وطلبت من هؤلاء المهنيين والفنيين عمل المستحيل لإيجاد البديل في أقرب فرصة. تداول المهنيون فيما بينهم واختاروا عدداً من الحدادين والسكابين المهرة أُوكل إليهم أمر صنع القنابل. وجهزوا مبنى واسعاً بالماكينات والمساكب المطلوبة وبدأوا العمل بعد أسبوعين من تكليفهم بهذه المهمة الخطرة. كان عليهم تجهيز عدد كاف من القنابل خلال أسبوع، وأن يستمروا في العمل خلال الهدنة لصنع عدد كبير منها. نجح المهنيون في مهمتهم وصنعوا عدداً كبيراً من القنابل بعد تجربة بعضها بنجاح. لم يكن هذا المصنع الحربي الوحيد في المدينة، فقد تم، قبل شهرين من تأسيسه، تأسيس مصنع لصنع سيارات مصفحة طلبتها القيادة، وأتم المصنع تجهيز ١٢ سيارة مصفحة تصفيحاً جيداً، فاقت بجودتها المصفحات الإسرائيلية التي كانت تستعمل حينذاك، ورُكبت عليها مدافع الميدان الصغيرة ومدافع رشاشة ثقيلة، فغدت قوات المدينة قوية ومنظمة ومسلحة تسليحاً حديثاً. أطلق سكان فلسطين وأهل المنطقة على اللد اسم «الدولة الثامنة»، إذ كان عدد الدول العربية آنذاك سبع دول، واللد هي الثامنة.

أمّا مستشفى المدينة الصغير الذي أسسته لجنة الإسعاف، وكان فيه ٣٠ سريراً، فلم يعد في إمكانه استقبال العدد الكبير من الجرحى ذوي الإصابات الخطرة التي تستوجب بقاءهم في المستشفى. توجهت لجنة الإسعاف إلى المسؤول عن بيت الإرسالية المسيحية في اللد، وهو بيت كبير يضم عشر غرف

واسعة، وطلبت منه السماح لها باستعمال المبنى كمستشفى. إذ إن مستشفى البعثة المصرية في الرملة، نُقل إلى مدينة رام الله بعيداً عن المعارك والغارات الجوية، والذي كنّا نرسل بعض الجرحى إليه عندما كان قريباً منا. وافق المسؤول عن المبنى، بعد أن اتصل برئاسته، تسليمه إلى لجنة الإسعاف بما فيه من أثاث. وتم نقل المستشفى إليه، وهو يتسع إلى نحو ٦٠ سريراً. فُتحت فيه غرفة عمليات كان يديرها الدكتور **سامي بشارة**، الجرّاح الرئيسي في المستشفى الحكومي في يافا، الذي نزح إلى اللد، يساعده الدكتور **جورج حبش**، ابن المدينة، وكان قد تخرج حديثاً من الجامعة الأميركية في بيروت. أصبح في الإمكان إجراء عمليات جراحية لم يكن إجراؤها ممكناً من قبل. أرسلت لجنة الإسعاف وفداً لشراء الأدوية المطلوبة من المدن الفلسطينية الأُخرى. إذ أصبحت الصيدليتان الموجودتان في المدينة شبه خاليتين من الأدوية، وكان لا بدّ من إحضار أدوية ملائمة وبكميات كبيرة. ذهب الوفد إلى مدن رام الله ونابلس وطولكرم وقلقيلية والقدس، وأحضر كميات كبيرة من الأدوية كان بعضها تبرعاً من عدد من الصيدليات في تلك المدن، كما تم شراء بعض الأدوية بسعر التكلفة. وللجميع شكر أهل المدينة العميق. كما فرضت لجنة الإسعاف على تجار المدينة، ومن له عمل يتقاضى أجراً عنه، مبلغاً معيناً من المال، تبرعاً لشراء الأدوية والأجهزة الطبية اللازمة، وكانوا يدفعون بسخاء.

المدينة ما زالت مكتظة بالسكان، على الرغم من إعادة لاجئي العباسية إلى بلدتهم بعد استعادتها من الجيش الإسرائيلي، كما أن بعض اللاجئين غادر المدينة خلال شهر الهدنة.

قبل يوم من انتهاء شهر الهدنة، دعت القيادة جميع المسلحين إلى الحضور إلى القيادة وأعلنت حالة الطوارىء على خطوط الجبهة. انتاب معظم السكان قلق وبدا الوجوم على وجوههم، وأخذ الجميع في الحديث عن تجدد المعارك وعما يُخبىء لهم الغد من مآسي وتضحيات وشهداء، وخصوصاً من الغارات الجوية، التي ذاقت المدينة طعمها مرات كثيرة، ووقعت من جرائها إصابات كثيرة بين السكان المدنيين، كما تهدم بعض بيوت المدينة أو أُصيب بأضرار، بالإضافة إلى تكسر زجاج نوافذ مئات المنازل نتيجة الانفجارات.

عملت قيادة المدينة العسكرية على تنظيم الجبهات حول المدينة وعلى تحصينها، كما قامت بزيادة قواتها المسلحة، ودعت جميع القادرين على حمل السلاح، والذين يملكونه إلى تلبية النداء فوراً عند طلب القيادة ذلك. ويقول **محمد رجب حسونة**: «طلبت عائلة حسونة، وهي كثيرة العدد، أن تتولى قيادة

الجبهة الشرقية للمدينة[٤٤] في مقابل مستعمرة بن شيمن اليهودية.» وافقت القيادة العسكرية، بعد مشاورات أجرتها مع اللجنة القومية، على الطلب، وقامت بتعيين حسن حسونة قائداً للجبهة الشرقية كما ألحقت عدداً آخر من المقاتلين بقواته.

ثالث عشر: معارك تطويق المنطقة

وضعت القوات الإسرائيلية، التي زاد عددها عما كان قبل ابتداء الهدنة، نتيجة ازدياد الهجرة ووصول عدد كبير من المتطوعين المدربين الذين خاضوا غمار الحرب العالمية الثانية، خططاً عسكرية واستعدت لتنفيذها عند انتهاء موعد الهدنة التي لم تستمر سوى شهر واحد (٦/١٠ ـ ٧/٩)، ولم تسفر عن أي حل أو اتفاق، كما أن وساطة الأمم المتحدة فشلت أيضاً. دُعيت الخطة الإسرائيلية بـ (عملية داني)، وتقرر أن يبدأ الجيش الإسرائيلي تنفيذها في الساعات الأولى من صباح ١٩٤٨/٧/١٠، واشتركت في هذه العملية قوات من سلاح المدرعات وسلاح المشاة وسلاح المدفعية والسلاح الجوي. تعتبر عملية داني من أكبر العمليات العسكرية[٤٥] التي قام بها الجيش الإسرائيلي في حرب ١٩٤٨، والتي سموها «حرب التحرير».

رابع عشر: خطة داني ـ تطويق مدينتي اللد والرملة

تألفت قوات هذه العملية من عدة فرق إسرائيلية كانت على النحو التالي:

١ ـ الفرقة الثامنة المدرعة بقيادة يتسحاق ساديه (الشيخ) وتضم: الطابور المدرع الثاني؛ الطابور ـ ٨٩ من قوات «الكوماندو» تنقله المجنزرات؛ الطابور ٣٣ من المشاة من فرقة ألكسندروني؛ طابور المشاة ٤٤ من فرقة كرياتي بالإضافة إلى سرية من الخدمات البرية ووحدة هندسة برية.[٤٦]

٢ ـ فرقة يفتاح بقيادة مولا كوهين، وتضم: طابورين من المشاة ومساعدة سرية خدمات برية.

٣ ـ فرقة كرياتي بقيادة ميخائيل بن ـ غال وتضم: طابور المشاة ٤٢؛ وحدات من المدرعات أوكل إليها تقوية الخطوط؛ سريّة راجمات قنابل ثقيلة

---

(٤٤) من أقوال محمد رجب حسونة، وهو من مواليد اللد وأحد أبناء العائلة المذكورة.

(٤٥) أورا فيكرت، «اللود»، ص ١٢٦.

(٤٦) أ. أورن، «عملية داني: الطريق إلى المدينة»، ص ١٢٦.

وسريّة هندسة برية.

٤ ـ فرقة ألكسندروني بقيادة دان إبشتاين. أُوكل إلى جنود هذه الفرقة المحافظة على منطقة رأس العين، لم يقرر لهم الاشتراك الفعلي في المعارك بعملية داني لكن أحد طوابيرها، الطابور ٣٣ أُلحق بالفرقة الثامنة.

٥ ـ فرقة هارئيل، وتمركز جنودها في ممر القدس تساعدها سريتان: سرية خدمات برية وسريّة هندسة برية.

٦ ـ السلاح الجوي الذي أُوكل إليه قصف مدينتي الرملة واللد من الجو.[٤٧]

أهداف خطة داني[٤٨]

كانت أهداف الخطة:

أ) إزالة التهديد عن منطقة تل أبيب من جانب قوات الفيلق المعسكرة في الرملة ـ اللد ـ اليهودية وذلك بإبادة العدو في هذا القطاع.

ب) توسيع الممر إلى القدس الذي نشأ بفضل طريق «بورما»، وبفضل احتلال قرى العدو في كل القطاع الواقع شرقي اللطرون.

ج) إيقاف الضغط على القدس عن طريق إشغال الفيلق في كل القطاع الممتد من الرملة إلى القدس.

وبصورة عامة، أخذ زمام المبادرة من يد العدو في هذا القطاع وإلحاق الضرر به وإلغاء تفوقه الطوبوغرافي.

وكانت القوات التي حشدت لتنفيذ هذه المهمة هي التالية: لواءا بلماح ـ لواء «هارئيل» ولواء «يفتاح»؛ اللواء المدرع ٨ ـ ومن ضمنه كتيبة الدبابات ٢ وكتيبة الكوماندو ٩ المحمولة على سيارات جيب ونصف مجنزرات؛ كتيبتا مشاة ـ الكتيبة ٢ من لواء «كرياتي» والكتيبة ٣ من لواء «ألكسندروني»؛ وحدات أُخرى تابعة للواء «كرياتي»، من ضمنها وحدات قوة الحراسة، التي كانت مهمتها الدفاع عن الخط؛ قوات جوية ومدفعية وهندسة وضعت في تصرف قائد العملية.

وقسمت منطقة العملية إلى قطاعين: في القطاع الشرقي ـ الممتد على الجزء من الممر الواقع شرقي باب الواد (شاعر هغاي) ـ عمل لواء واحد فقط،

---

(٤٧) فيكرت، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٦.

(٤٨) «حرب فلسطين، ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨»، ص ٥٨٤ ـ ٥٨٥.

هو لواء «هارئيل»؛ وفي القطاع الغربي عملت القوات الأُخرى.

في القسم الأول من العملية في القطاع الغربي خطط لاحتلال اللد والرملة، على مرحلتين: أ) تطويق اللد والرملة؛ ب) احتلال اللد وإخضاع الرملة والقضاء على العدو.

ومن أجل تنفيذ المرحلة الأولى ـ تطويق اللد والرملة ـ انقسمت القوة كلها إلى قوتين: القوة الشمالية، واشتملت على اللواء المدرع وكتيبتي المشاة ٢/ كرياتي و ٣/ ألكسندروني اللتين وضعتا في تصرفها؛ والقوة الجنوبية، واشتملت على لواء «يفتاح».

وتقرر أن تنطلق القوة الشمالية من منطقة بيتح تكفا وتنقسم إلى عدة قوات فرعية: قوة فرعية ـ الجنوبية ـ تهاجم مطار اللد. وقوة فرعية ثانية ـ الوسطى ـ تهاجم ويلهلما. وقوة فرعية ثالثة ـ الشمالية ـ تهاجم قولة. وبعد ذلك تهاجم دير طريف ومعسكر بيت نبالا، ومن هناك تواصل التقدم حتى تصل إلى مستعمرة بن شيمن المعزولة. كما تقرر أن تنطلق القوة الثانية ـ القوة الجنوبية ـ من البرية (قرية عربية قرب غيزر كانت بيدنا)، فتقطع طريق الرملة ـ القباب ـ اللطرون وتتحرك في اتجاه عنابة، ومن هناك إلى جمزو ودانيال حتى بن شيمن، أي: تطويق الرملة واللد من جهة الجنوب الشرقي، وبذلك تعزل هاتين المدينتين عن مؤخرتهما العربية.

وتقرر أن تكون بن شيمن مكان التقاء القوتين. وبذلك تنتهي المرحلة أ.

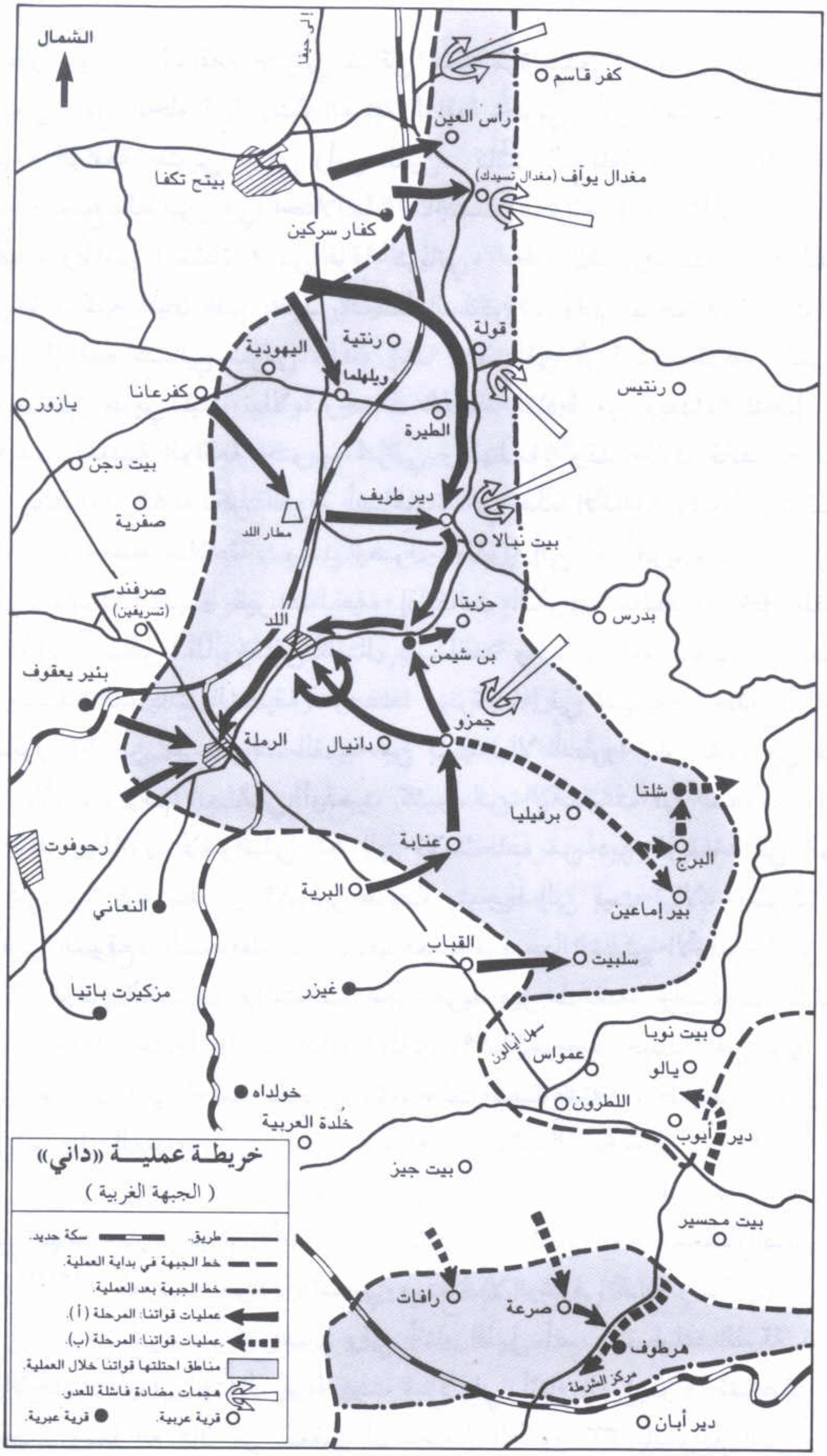
أما المرحلة ب، فيتم تنفيذها باندفاع القوتين معاً من بن شيمن إلى اللد، والاستيلاء عليها. وبعد ذلك تهاجمان الرملة من الناحية غير المتوقعة ـ ناحية اللد ـ وتستوليان أيضاً عليها.

وعين قائد البلماح قائداً للعملية، وعينت قرية يازور مقراً لقيادة عملية «داني». وفي ليل ٩ ـ ١٠/٧ بدأ التنفيذ.

تنفيذ خطة داني[٤٩]

بحسب ما كان مقرراً في الخطة، انقسمت القوات الضخمة التي اشتركت فيها إلى قسمين أو ذراعين. بالنسبة إلى الذراع الشمالي، تحرك الطابور ٣٣ من

(٤٩) فيكرت، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٩.



المصدر: أحمد خليفة (مترجم)، «حرب فلسطين، ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨: الرواية الإسرائيلية الرسمية» (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الثانية ـ ١٩٨٦).

بلدة كفار سيركين الواقعة جنوبي شرقي مستعمرة بيتح تكفا أو جنوبي غربي رأس العين، في اتجاه قرية رنتية العربية الواقعة جنوبي رأس العين وقرية ويلهلما الألمانية، الواقعة جنوبي غربي رأس العين. كانت المنطقة تحت سيطرة قوات المدينة ونجح الطابور في احتلالها. هاجمت قوة أُخرى، مؤلفة من طابور المدرعات وطابور المشاة ٢ من فرقة كرياتي، مطار اللد واحتلته. أمّا الطابور ٨٩ بقيادة موشيه دايان فلم يتقيد بالخطة المذكورة، ولم يهاجم قرية بيت نبالا العربية، الواقعة شمالي شرقي اللد، إنما انتظر في قرية دير طريف العربية، الواقعة شمالي غربي بيت نبالا، وحدات المشاة القادمة من ويلهلما لتحتل قرية طيرة دندن العربية الواقعة جنوبي شرقي ويلهلما. وقد حاول قائد الفرقة ٨ اللحاق بالطابور ٨٢، لكن الفرقة أضاعت، في هذه الأثناء، وقتاً ثميناً تسبب بحدوث عدة أخطاء متلاحقة. وعند وصول الطابور إلى دير طريف تبين أن قنابل مدفعية الدبابات الثقيلة غير صالحة، إذ كانت المواد المتفجرة داخل القنابل رطبة، لذلك اضطر الطابور إلى القتال بمساعدة وحدات الرشاشات من الطابور ٤٤ ومساندة الدبابات الخفيفة. وعندما تحركت، في النهاية، وحدات المشاة من الطابور ٨٢ من دير طريف القريبة من بيت نبالا أُمطروا بنار كثيفة من قوات الطابور الأردني رقم ١، التي أوقعت كثيراً من الإصابات في صفوفه، الأمر الذي اضطر الطابور الإسرائيلي ٨٢ إلى الانسحاب من دير طريف. في الوقت نفسه الذي ترك فيه الطابور ٨٢ دير طريف متوجهاً إلى بيت نبالا، ولم تبقَ أية قوة لتأمين الموقع والمحافظة عليه، هاجمت قوة من الجيش الأردني الموجودة في قرية بدرس العربية، واستولت على قرية دير طريف، وانسحبت القوات الإسرائيلية منها. عندما علمت قيادة الطابور ٨٩ الموجود حينئذ، في قرية طيرة دندن بالمصائب التي حلّت بالطابور ٨٢ هبّت لمساعدته، وأصابت ٤ مدرعات أردنية. ثم حل المساء.

في نهاية معارك اليوم الأول بعد الهدنة، ١٠/٧/١٩٤٨، تمسك الطابور ٨٩ بقرية قولة[٥٠] العربية، الواقعة شمالي بيت نبالا وشرقي قرية رنتية. ومن قولة تحكم في موقع قرية دير طريف. وفي أثناء الليل أصدرت قيادة الفرقة ٨ إلى طابور الاحتلال أمراً باحتلال قرية بيت نبالا في أثناء الليل وألاّ تتحصن فيها قبل الفجر. وبما أنه كان من المقرر أن يحتفظ الطابور ٣٣ بالمواقع التي احتلها

(٥٠) قرية قولة هي قرية القائد حسن سلامة.

الطابور ٨٩، إلا إنه تأخر في الوصول، وبقي الطابور ٨٩ في مكانه. وفي نهاية اليوم الأول من المعارك بقيت قرية بيت نبالا في أيدي الجيش الأردني، وهكذا بقيت الطريق إلى بن شيمن مغلقة.

في صباح اليوم الثاني، ١٩٤٨/٧/١١، سُحب طابور الاحتلال من مكانه، وحضر بدلاً منه طابور من المشاة. بدأ هذا الطابور زحفه في اتجاه مستعمرة بن شيمن. وهنا حدثت أخطاء أُخرى، إذ أرسل قائد فرقة يفتاح طلباً إلى قائد الطابور ٨٩ لتقديم المساعدة لجنود «الدورية الشرسة» الذين أرسلوا إلى مداخل اللد، لأنهم هوجموا من قِبل مصفحات العدو (قوات اللد). أُرسل طلب النجدة هذا إلى قوات الطابور ٨٢، بدلاً من الطابور ٨٩، لكن قيادة الطابور ٨٩ التقطت الإشارة ووعدت بالمساعدة الفورية. وهكذا، هبّت سيارات الجيب ومجنزرات طابور الاحتلال ومرتا بعيداً غربي بيت نبالا ووصلتا إلى مداخل اللد. وبشأن ما حدث في أثناء احتلال مدينة اللد يقول قائد القوة المذكورة، **موشيه دايان**، في كتابه بعنوان «هكذا حررت المدينة»:[٥١] «تقدمنا عدة مئات من الأمتار في اتجاه اللد، وإذا بقواتها تفتح النار علينا قبل أن نبدأ نحن إطلاق النيران. احتمت سيارات الجيب وراء المجنزرات إلى أن جاء «النمر الفظيع»[٥٢] الذي أوقفته قوات المدينة. وبعد أن تغلب «النمر الفظيع» عليها تقدمنا عدة أمتار أُخرى ثم توقفنا ثانية، إذ وصلنا خط الدفاع الرئيسي للمدينة، وهناك جوبهنا بنار حامية كالمطر من الأسلحة المتنوعة. أمطرت قواتنا اللد بنار حامية، وانتشرت سيارات الجيب على جوانب الشارع وحوله، وضربت جوانب الخطوط، كما انتشرت المجنزرات بصورة أضيق، لكنها لم تكن حركة انتشار كما يجب. سألنا عن سبب توقفنا فأُجبنا بأن الشارع مغلق، إذ حُفر فيه خندق ضد الدبابات، ولا يمكننا التقدم.» أضاف دايان: «بما أن التعليمات بواسطة اللاسلكي لا تفي بالغرض المطلوب، قفزت من السيارة وزحفت تحت غطاء نار المجنزرات، ووصلت إلى «النمر» الذي كان واقفاً يضرب بمدفعه الثقيل. كانت تحصينات المدينة مصنوعة من أكياس الرمل والحجارة، والتي كوّنت خط دفاعها. ثم تبين لنا أن بين المواقع والتحصينات التي أصيبت أو تُركت كان موقعان مع مدافعهما. توسعت المجنزرات قليلاً لأن سطح الأرض لم يكن مريحاً لانتشارها، لكن السبب الرئيسي في عدم تقدمها نجم عن رغبتها في أن

---

(٥١) صدر بمناسبة مرور ١٣ عاماً على احتلال اللد، منشورات بلدية اللد، ص ٨٠٧.

(٥٢) مدرعة إسرائيلية تحمل مدفعاً ضخماً.

تسير مدرعة «النمر»، التي تحمل مدفعاً مضاداً للدبابات، في المقدمة، بدلاً من أن تتقدم المجنزرات برشاشاتها وتدخل المدينة ومدرعة «النمر» خلفها. تساقطت الأتربة والأكياس المليئة بالرمل على الموقع، ومن فيه من جراء القنابل التي أطلقها «النمر». تصاعدت أعمدة الغبار في الهواء، وشوهد عرب يهربون من مواقعهم التي أصابتها القذائف.» هذا ما قاله موشيه دايان، قائد الطابور ٨٩ المؤلف من رجال الكوماندو والمحمول على مجنزرات.(٥٣)

أمّا في اللد، بتاريخ ١٩٤٨/٧/٩، أي قبل يوم واحد من انتهاء الهدنة، أرسلت القيادة تعزيزات عسكرية إلى حامية المطار التي كان عددها نحو ٨٠ مقاتلاً، ومعها سيارتان مصفحتان. تكونت القوة الإضافية التي أرسلت إلى المطار من نحو ٢٠ مقاتلاً آخرين، معها سيارة مصفحة واحدة. وهكذا، أصبح لدى القوة المدافعة عن المطار ١٠٠ مقاتل مسلح تسليحاً جيداً بالرشاشات المتوسطة والخفيفة، ومعهم ثلاث مصفحات تحمل كل واحدة منها مدفع ميدان صغيراً ومدفع رشاش ثقيلاً. كما أرسلت قوة إضافية إلى القوة الموجودة في قرية ويلهلما، الواقعة شمالي المطار، بلغ عددها ٢٥ مقاتلاً مسلحين برشاشات خفيفة ورشاش ثقيل واحد. تم أيضاً تعزيز حامية العباسية، الواقعة شمالي غربي المطار، وكان معظم أفرادها من أهالي البلدة. أرسلت القيادة أيضاً قوة من نحو ٥٠ مقاتلاً مع سيارتين مصفحتين لتعزيز قوات المدينة الموجودة في الجبهة الغربية عند أطراف قريتي صرفند والسافرية. ثم قامت بتعزيز القوات المدافعة في قاطع بن شيمن شرقي المدينة، فتم حفر خندق عميق وعريض لمنع دخول الدبابات والمدرعات الإسرائيلية.

أمّا باقي قوات المدينة وعددها نحو ألف مقاتل،(٥٤) وعشر مصفحات، فقد وُضعت على أهبة الاستعداد كقوة رئيسية تنتظر كالباقين تطور الأمور. أصدرت القيادة أوامرها إلى جميع العاملين في المستشفى من ممرضين وممرضات وأطباء أن يبقوا فيه مع رجال الخدمات فيه، كما أصدرت أمراً آخر إلى جميع مالكي السيارات، صغيرة كانت أم كبيرة، وأيضاً إلى شركة باصات اللد ـ الرملة بإحضار السيارات إلى أماكن قريبة من القيادة مع سائقيها استعداداً للطوارىء.

بثت هذه الاستعدادات الكبيرة شعور الرهبة والقلق بين السكان لما سيأتي

---

(٥٣) موشيه دايان، «هكذا حررت المدينة» (بالعبرية).

(٥٤) جندت القيادة جميع الرجال الذين بحيازتهم أسلحة.

به الغد، كأنه لا يكفيهم ما قدموه من تضحيات كبيرة جداً ومن شهداء ومصابين، وما تحملوه من المآسي من جراء غارات الطائرات الإسرائيلية المتكررة والمؤلمة على مختلف أنحاء المدينة. تداول الرجال المسنون في حلقاتهم في المقاهي وعلى الأرصفة بما سيأتي به الغد، وماذا سيكون مصير أبنائهم المحاربين ومصير عائلاتهم. الجميع واجم يصلي إلى الله سبحانه وتعالى، أن تنتهي هذه الحرب المأسوية، وأن يحمي أبناءهم في معارك الدفاع عن عائلاتهم وعن مدينتهم وأن ينصرهم على أعدائهم وأن يكفيهم شر القتال.

خامس عشر: ابتداء المعركة المصيرية لاحتلال المنطقة

بدأت المعارك تدور رحاها في جميع الجبهات في الساعات الأولى من يوم السبت ١٠/٧/١٩٤٨، أي بعد منتصف الليل. وبدأ صوت الرصاص ودوي المدافع يسمع بوضوح في جميع أنحاء المدينة، وأجراس سيارات الإسعاف تقرع في ذهابها وإيابها تحمل الشهداء والمصابين من ساحات المعارك. وكنّا نرى الرجال والنساء وحتى الأولاد والبنات خارج بيوتهم قلقين خائفين يتلقطون الأخبار.

دارت معارك عنيفة جداً في الجهة الشمالية استمرت ساعات طويلة. احتلت القوات الإسرائيلية المتفوقة جداً في العدة والعدد، قرية رنتية شمالي ويلهلما، وبعدها استولت على ويلهلما بعد معركة رهيبة مع حاميتها الصغيرة ومن مسافة قريبة. روى أحد الناجين من رجال الحامية، قائلاً: «في ساعات الصباح الأولى تقدمت نحونا قوة كبيرة يلبس أفرادها اللباس الأردني، كوفيات وعقل، وسمعنا بعض أفرادها ينادي بعضهم بعضاً بصراخ باللغة العربية وبلهجة بدوية. لم نفتح عليهم النار في بادىء الأمر، إذ اعتقدنا أنها قوة أردنية جاءت لنجدتنا. كما أنها لم تهاجمنا في البداية أيضاً. كان عددها كبيراً لا يتناسب مع عددنا البتة. وعندما اقتربت منا وعلى مسافة قصيرة، أطلقت علينا النار وبكثافة كبيرة، فقفزنا إلى مواقعنا وتبادلنا معها إطلاق النار من جميع أسلحتنا لعدة دقائق حسبناها يوماً كاملاً. وقعت بيننا إصابات كثيرة معظمها كانت قاتلة، كما أوقعنا بأفرادها أيضاً إصابات كثيرة. بعدها لاحظنا أن القوة بدأت حركة التفاف حول مواقعنا، وهنا صاح قائد الموقع يأمرنا بالانسحاب. ولم يكن هذا الانسحاب سهلاً، إذ انسحبنا تحت وابل من نيرانهم التي كانت تلاحقنا من كل مكان.

وصلنا المطار وكنّا لا نتجاوز الـ ١٥ شخصاً، ولم نعرف ماذا حدث لرفاقنا في القوة، ربما استشهدوا أو أصيبوا. عندما اقتربنا من المطار سمعنا أصوات دوي المدافع وصفير العيارات النارية تملأ الأجواء. حاولنا دخول المطار لمساعدة إخوتنا هناك، لكننا لم نتمكن إذ أطلقت النيران علينا من مبنى شرطة المطار الواقع في مدخله وفهمنا أن حامية المطار قد طُوِّقت، وأن دخولنا المطار يعني الانتحار. واصلنا سيرنا إلى المدينة، وقابلنا في الطريق نجدة من قواتنا متوجهة إلى المطار ومعها عدد من المصفحات، روينا ما حدث لنا، وأن المطار محاصر وأن اليهود احتلوا مبنى الشرطة فيه. توجهنا جميعاً، ودخلنا بيارات البرتقال المحاذية للمطار من الجهة الجنوبية. وإذ بنا نرى قواتنا، حامية المطار، قد انسحبت منه إلى بيارات البرتقال خوفاً من أن نقع داخل الطوق ويُقضى علينا جميعاً. حاولنا وإياهم دحر الجيش الإسرائيلي شمالاً وإبعاده عن المطار لكننا لم ننجح، فقد كانت قوات العدو كبيرة جداً فاقت تصورنا، ومعها مدرعات كثيرة ذات مدافع متوسطة ورشاشات ثقيلة. أصدرت القيادة تعليماتها بالانسحاب نحو كيلومتر واحد إلى الجنوب، وكوّنّا هناك خط دفاع محصناً مع حفر خندق لقطع الطريق على مدرعات العدو. أصيبت قواتنا في المطار بخسائر فادحة في الأفراد والمعدات، إذ استشهد عدد كبير وأصيب عدد أكبر بجروح معظمها خطرة. كما دُمرت سيارتان مصفحتان لنا في هذه العملية. كان لنجاح العدو في دحر قواتنا والخسائر الكبيرة في الأرواح وسقوط ويلهلما والمطار أثر سيّىء في سكان المدينة وفي المقاتلين، إذ هبطت روحهم المعنوية ولم تعد كالسابق. ومع ذلك كانوا يؤمنون بأن السبيل الصحيح والوحيد هو مواصلة الدفاع عن المدينة مهما كانت التضحيات. فعندما طرح البعض إمكان الاستسلام وإرسال وفد لمفاوضة العدو في شروطه، ثارت ثائرة الناس وهاجت خواطرهم، وهم يرددون: أشرف لنا أن نموت ونحن نحارب دفاعاً عن بقائنا وعن شرفنا من أن نُقتل ونحن أذلاء، ونترك نساءنا وبناتنا يُغتصبن من جنود العدو، ليس لنا سبيل إلا القتال بصدق وبصبر، حتى إن بعضهم اتهم بالخيانة الذين طالبوا بالاستسلام.

أغارت الطائرات الإسرائيلية عدة مرات على المدينة في ساعات ما قبل الظهر حتى المساء، والتي كان لها أيضاً أثر سيّىء في معنويات السكان، إذ أوقعت الكثير من الإصابات بينهم. كما أن المعارك اشتدت على الجبهة الغربية من المدينة، والظاهر أن الهدف منها كان المشاغلة لإعطاء الوقت للمقاتلين للراحة والتقاط الأنفاس.

امتلأ مستشفى المدينة بالجرحى، واستعملت حمالات الجرحى كأسرة، ووضعت في غرف الإدارة والعمليات بالإضافة إلى الممرات. عمل الجميع في المستشفى من أطباء وممرضين وممرضات وعمال المطبخ وعمال التنظيفات بصورة متواصلة. اكتظت ساحات المستشفى وحديقته بالأهالي الذين يسألون عن أبنائهم. وُضع عدد من الرجال لمنعهم من دخول غرف المستشفى وقاعاته من أجل عدم إعاقة معالجة المصابين، ومع هذا نجح الأهالي القلقون في دخول الغرف للاستفسار عن حالة أقربائهم.

في ساعات الظهر، وصلتنا أخبار من قواتنا في قرية عنابة، أن القوات الإسرائيلية هاجمتها بقوات كبيرة جداً معززة بالمدرعات والمدافع الثقيلة وراجمات القنابل الثقيلة، وأن لا أمل بالصمود، فهي قوة صغيرة وقد تكبدت عدة إصابات بين قتلى وجرحى. بعد ساعة تقريباً، علمنا أن قوات المدينة الموجودة في قرية عنابة انسحبت منها قبل أن تنضم إليها قوات النجدة التي أرسلتها القيادة إلى قرية جمزو. طُلب من القيادة لاحقاً إرسال سيارات الإسعاف لنقل المصابين من جمزو. عند الغروب من اليوم نفسه، ١٠/٧/١٩٤٨، هاجمت قوات العدو المتقدمة في عنابة قرية جمزو بعد أن أمطرتها بعدد كبير من قنابل المدفعية وراجمات القنابل. وبعد معركة استغرقت ما يزيد على الساعة، انسحبت قواتنا من جمزو في اتجاه قرية دانيال. تكبدت قواتنا في هذه المعركة عدة إصابات، وقد تبين لقيادة المدينة حجم القوات الإسرائيلية الكبير وعظم معداتها العسكرية، وأنه لا يمكن لقواتنا الصمود، ومعظمها موزع على الجبهة الشمالية والجبهة الغربية الطويلة بالإضافة إلى الجبهة الشرقية. أمرت قيادة المدينة قواتها في الجبهة الشرقية بالانسحاب والتمركز قريباً من المدينة في الجهة الشرقية الجنوبية. وفي كتاب «لود»، نقلاً عن القادة العسكريين في ذلك الوقت، أن القوات الإسرائيلية التي هاجمت قرى عنابة وخروبة وجمزو ودانيال كانت تتألف من فرقة يفتاح وتضم طابورين من المشاة مع مجنزرات ووحدة مدفعية. أثرت هذه الانتكاسات في الجبهتين الشمالية والشرقية، فضلاً عن كثرة الشهداء والمصابين فيهما، في معنويات سكان المدينة بصورة كبيرة. ومع ذلك قرروا المضي في القتال ليمنعوا الكارثة عن عائلاتهم وليحافظوا على بقائهم.

في الثامنة مساء، احتلت القوات الإسرائيلية قريتي دانيال وخربة الضهيرية، ومنهما تقدم الطابور الثالث بمؤازرة يغآل ألون، قائد عملية داني إلى مستعمرة بن شيمن التي كانت محاصرة منذ عدة أشهر. وفي التاسعة مساء تقريباً ساد الهدوء المدينة وجميع جبهات القتال، كأنه الهدوء الذي يسبق العاصفة.

سادس عشر: الجيش الإسرائيلي على أبواب المدينة

كان صباح الأحد، ١٩٤٨/٧/١١، هادئاً في المدينة، لم يُسمع فيه صوت المدافع ولا صوت طلقات الأسلحة الخفيفة، على غير عادة، إذ اعتاد الأهالي سماع هذه الأصوات يومياً. أمّا قيادة المدينة فلم تهدأ، وعملت على تنظيم قواتها من جديد استعداداً لمجابهة الأحداث، معتقدة أن القوات الإسرائيلية ستهاجم المدينة في هذا اليوم. وقد أكد لي هذا الاعتقاد رقيب في الجيش البريطاني كان قد تطوع للقتال إلى جانب قوات المدينة، وقال لي إنه من إسكتلندا،[٥٥] وأن المدينة ستسقط ظُهر هذا اليوم. وعندما سألته كيف عرف ذلك، أجابني: «إنني جندي منذ عدة سنوات، ولي خبرة عسكرية كافية كي أتوقع حدوث الكارثة.» واستطرد: «خضت عدة معارك مع قوات المدينة ضد الجيش الإسرائيلي، وتبين لي أن هناك فارقاً كبيراً بين القوتين، فالجيش الإسرائيلي متفوق عدداً وعدة وقادته متمرسون في أساليب القتال وفنونها التي تعلموها في الكليات العسكرية؛ وخاضوا معارك كثيرة في الحرب العالمية الثانية ضد جيوش ذات معرفة كبيرة بكيفية إدارة المعارك؛ واكتسبوا خبرة عسكرية بأساليب القتال الحديث.»

كان وضع الجبهات حول المدينة كالآتي:

١ ـ **الجبهة الشمالية**: بعد انسحاب قوات المدينة، عقب معارك الأمس من قرى رنتية والعباسية وويلهلما وبعدها من مطار اللد، تمركزت هذه القوات في خط يقع بين المدينة ومطار اللد على بعد ما يزيد على كيلومترين عن المدينة، حيث حفرت الخنادق ووضعت الحواجز على الطرق، وأقامت عدة مواقع دفاعية بأكياس الرمل على طول الجبهة التي بلغ طولها نحو ٢ كلم. وكان عدد المقاتلين على هذه الجبهة كبيراً، كما عُززت بمدافع الميدان الصغيرة ومدافع المورتر وعدة مصفحات. ساد الاعتقاد بين القياديين أن الهجوم الرئيسي لقوات العدو على المدينة سيأتي من منطقة المطار.

٢ ـ **الجبهة الغربية**: في منطقة قريتي صرفند والسافرية، حيث حافظت قوات المدينة على خطوطها الدفاعية، ولم تكن هجمات العدو في هذه المنطقة

---

(٥٥) وكان هناك أيضاً متطوع أسمر اللون يُعتقد أنه سوداني.

هجمات قوية إنما كانت معارك صغيرة قُصِد منها المشاغلة، كي لا تتمكن قيادة المدينة من سحب بعض قواتها إلى أماكن أُخرى.

٣ ـ **الجبهة الشرقية**: بعد انسحاب قوات المدينة من قرى عنابة وجمزو وخروبة ودانيال وخربة الضهيرية، في أثناء معارك الأمس، تمركزت في خطوط دفاع جديدة بين اللد ومستعمرة بن شيمن. كانت هذه الخطوط قريبة من المدينة، وأقامت القوات تحصيناتها على طول الجبهة وحفرت خنادق عريضة لمنع عبور المدرعات، كما أقامت عدة مواقع محصنة بأكياس الرمل والحجارة، بُنيت خلفها مواقع للمدفعية المكونة من مدفعي ميدان صغيرين وبعض مدافع المورتر الأُخرى لمساندة قوات الجبهة. من الجدير بالذكر، أن معظم رجال المدينة، شباباً وشيباً، عمل طوال الليل لإعداد الخطوط الدفاعية في الجبهات المتعددة. ورفض سكان المدينة فكرة الاستسلام، كما رفضوا توقيع وثيقة استسلام عرضتها عليهم قوات الاحتلال بعد أول يوم معارك.

سابع عشر: معارك اليوم الأول لاحتلال المدينة، ١٩٤٨/٧/١١[٥٦]

بقي الهدوء مخيماً على جبهات القتال يوم ١٩٤٨/٧/١١ حتى الظُهر. وفي الثانية عشرة، بدأت المعارك في الجبهة الشرقية حيث قامت قوات كبيرة جداً من الجيش الإسرائيلي بالهجوم على المدينة بقصد احتلالها. نجحت القوات في احتلال تحصينات المدينة في الجهة الشرقية الجنوبية وأفلحت في الوصول إلى أطراف المدينة وإلى بعض بيوتها. قامت قوات المدينة، المستعدة تمام الاستعداد، بهجوم معاكس وقوي نجحت في دحر القوات المهاجمة وتبعتها حتى أطراف قرية جمزو مستمرة في قتالها ودحرها. في أثناء هذه المعركة التي اشترك فيها معظم قوات المدينة الموجودة داخلها، إذ بقوة إسرائيلية كبيرة تتألف من عدة مجنزرات ومصفحات وعدد من سيارات الجيب مليئة بالجنود تبدأ هجوماً قوياً على الجبهة الشرقية بمساندة المدفعية الثقيلة ومدفعية المورتر التي كانت تقصف قصفاً عشوائياً منذ عدة ساعات، موقعة ضحايا كثيرة بين الأهالي، معظمهم من الرجال المسنين والنساء والأطفال. وبعد قتال استمر نحو ساعتين

---

(٥٦) في هذا اليوم بالضبط، ١٩٢٧/٧/١١، وقع زلزال سنة ١٩٢٧.

ودارت فيه معارك حامية، نجحت هذه القوات في اختراق خطوط المدينة من جهة مستعمرة بن شيمن بعد أن تعرضت لقصف مدفعي كثيف ودخلت شوارع المدينة. ثم أخذت تطلق النار على الأهالي وعلى الأبواب والنوافذ. قُتل وجرح عدد كبير من سكان المدينة، لأنه عندما بدأ هجوم القوات الإسرائيلية الأول، والذي نجحت قوات المدينة في دحره، بدأ السكان ينتقلون إلى بيوت داخل المدينة لاعتقادهم أن بيوتهم في أطرافها، ليست قوية، أو أن بيوتهم تطل على الشوارع الرئيسية، وهي عرضة للخطر أكثر من البيوت داخل المدينة. وعندما نجحت القوات الإسرائيلية في هجومها الثاني ودخلت مدرعاتها شوارع المدينة، كانت عائلات كثيرة تسير في الشوارع من نساء وأطفال، وبدأت القوات الإسرائيلية تطلق نيرانها على من تراه، من دون تفريق، فأُصيب الكثيرون من سكان المدينة من نساء وأطفال.

كانت مدينة اللد نفسها شبه خالية من المقاتلين الذين كانوا على جبهات القتال. قامت القوة الاحتياطية التي كانت داخل المدينة بهجوم معاكس دحرت فيه قوات العدو إلى أطراف قرية جمزو. كما كان المقاتلون القلائل الذين بقوا في المدينة موجودين في مقر القيادة وفي مبنى شرطة المدينة القريب منها. ومع هذا لم تفلح القوات المهاجمة من التغلب على هذه القوة الصغيرة، على الرغم من محاولاتها المتكررة. وقد ذكر قائد إحدى الوحدات الإسرائيلية الذي اشترك في المعارك المذكورة في كتابه[٥٧] «الشيخ الذي أشعل المواقد»، أن المقاتلين العرب الذين تحصنوا داخل مبنى الشرطة نجحوا في قتل وجرح أوائل الجنود الذين هاجموا المبنى. وبقيت هذه القوة الصغيرة متحصنة في المبنى ورفضت الاستسلام. بعد العصر شاهدنا رجلين جريحين أمام بوابة المستشفى، على بعد خمسة أمتار منها، ملقيين على الأرض والدم ينزف منهما، وكانا أصيبا برصاص جنود الاحتلال، وقد أتيا إلى المستشفى للمعالجة، لكنهما انهارا وسقطا على الأرض في مقابل البوابة. ومع علمنا بوجود جنود الاحتلال قرب الجامع الكبير، وأنهم يبعدون عنا نحو ٦٠ متراً ويطلقون النار على كل من يرونه، حاولنا الوصول إليهما لإسعافهما، وقد أخرجنا علماً كبيراً للصليب الأحمر كي نتمكن من إنقاذهما. لكن الجنود أطلقوا النار علينا ولم نتمكن من الوصول إليهما. امتلأ الشارع حولهما بالدم الذي كان ينزف منهما، رمينا حبلاً ليمسكاه لنتمكن

(٥٧) يفرح حبيب، «الشيخ الذي أشعل المواقد». والشيخ لقب قائد الفرقة واسمه يتسحاق ساديه.

من سحبهما إلى داخل المستشفى للإسعاف، لكنهما وعندما أمسكا بالحبل وبدأنا سحبه لم يكن لديهما قوة للإمساك به بقوة. وهكذا، استشهدا أمام أعيننا، وحزنّا كثيراً، لاعتقادنا أنه كان في الإمكان إسعافهما وإبقاؤهما على قيد الحياة.

في الرابعة تقريباً، بعد ظهر ٧/١١، وصلت طلائع القوات الإسرائيلية إلى حي الجامع الكبير وكنيسة الخضر. ارتدى جميع أفراد القوة الثياب الخاكية من دون وضع إشارات عسكرية على الكتف دلالة على الرتبة، لذا لم يكن في إمكاننا أن نميز الضابط من الجندي. ثم تبعت الطلائع قوات كبيرة أُخرى، انتشر أفرادها في وحدات صغيرة حول الجامع والكنيسة. أخذوا يدخلون بيوت المنطقة ويخرجون منها السكان ويحضرونهم إلى داخل الجامع وساحته الواسعة. وفي الوقت نفسه تسلق جنود العدو جُدُر الجامع وسطوحه، كما تسلق عدد منهم مئذنته كي يتمكنوا من رؤية جزء كبير من المدينة، من ضمنه مبنى الشرطة الكبير الذي يبعد نحو نصف كيلومتر هوائي عن الجامع والكنيسة. أطلق الجنود عيارات نارية من فوق المئذنة على مبنى الشرطة. فردت عليهم قوات المدينة الموجودة فيه وأصابت بعضهم. وشيئاً فشيئاً امتلأ الجامع وساحته الكبيرة بمئات العائلات التي طُردت من منازلها. ثم جاء دورنا نحن ممرضات وممرضي وأطباء المستشفى والعاملين فيه، إذ حضر إلينا بعض الجنود وأمرونا بالخروج إلى ساحة المستشفى وأيدينا فوق رؤوسنا. وعندما تجمعنا في الساحة، أُمرنا بالوقوف صفاً واحداً ووجوهنا إلى الحائط وأيدينا فوق رؤوسنا. خفنا جميعاً وجف ريقنا وكنا نتساءل: هل سيطلقون علينا الرصاص ويقتلوننا؟ وقفنا على هذه الحالة نحو ربع ساعة حسبناها دهراً ننتظر رحمة الله، فقد علمنا أن شوارع المدينة مليئة بجثث الأهالي واعتقدنا أنه جاء دورنا لنلحق بقوافل الشهداء مثل الكثيرين من أهلنا. لكن اعتقادنا لم يكن صحيحاً، والحمد لله، إذ أُمرنا بأن نسير وأيدينا فوق رؤوسنا إلى الجامع الكبير الذي لم يكن بعيداً عنا. وصلنا إلى الجامع ووجدناه يعج بالسكان وخصوصاً النساء والأطفال والمسنين. أمرنا الجنود بالانضمام إليهم. كنا جميعاً نضع شعار الصليب الأحمر على أذرعنا.[٥٨] سألنا الجنود ماذا عن الجرحى نزلاء المستشفى الذين لم يبق أحد عندهم؟ وكان معظمهم إصابته خطرة. نهرنا الجنود ودفعونا داخلاً. كان سيل الناس القادمين بحراسة الجنود إلى الجامع لا ينقطع، والناس محشورون حشراً ولا مكان للجلوس،

---

(٥٨) كنا قد أعددنا شعارات الصليب الأحمر كي نوهم الجنود بأننا تابعون لمنظمة الصليب الأحمر الدولية. (المؤلف)

فالجميع واقف. كان الجو خانقاً، فنحن في تموز/يوليو وحرارة الطقس عالية جداً. لذا أغمي على كثيرين من شدة الخوف وشدة الحر والعطش، إذ كان الماء موجوداً فقط في بركة الوضوء ولا مجال للوصول إليها، فصرنا نمرر أوعية الماء من يد لأُخرى. أصبح الزحام كبيراً جداً، فالأجسام متلاصقة، والحركة شبه مستحيلة، فضلاً عن ذلك كان الجنود يطلقون الرصاص فوق رؤوسنا لتخويفنا وإسكاتنا.

في المساء، أصدر الجنود أمراً إلى النساء والأطفال بمغادرة الجامع والعودة إلى بيوتهم. خفّ الزحام بعض الشيء، ولم تمض نصف ساعة حتى عاد الزحام كما كان. إذ إن سيل الأهالي الذين أحضروا إلى الجامع لم ينقطع. بعدها أصدر الجنود أمراً إلى السكان المسيحيين بالذهاب إلى الكنيسة، وهي ملاصقة للجامع. وعندما امتلأت الكنيسة، فُتح دير الروم، في مقابل الكنيسة لإيواء الأهالي فيه. عندها اعتقد الأهالي أن الجنود، بعد أن أخرجوا النساء والأطفال، ثم المسيحيين من الجامع ليبقى فيه الرجال المسلمون، سيطلقون النار عليهم ويقتلونهم جميعاً، صاروا يصيحون قائلين: «تشاهدوا يا مسلمين وصلوا قبل استشهادكم.»

مرت الساعات ببطء شديد، والمصابون في المستشفى من دون أية عناية أو خدمة. طالبنا الضابط المسؤول[٥٩] كي يسمح للعاملين في المستشفى بالعودة إلى عملهم، إذ مرت ساعات طويلة وعاملو المستشفى معتقلون. بعد الترجي والإلحاح، سمح لنا بالعودة إلى المستشفى، وكان ذلك بعد منتصف الليل. بالنسبة إلى الوضع داخل المدينة، فالمعارك لا تزال جارية وأصوات الرصاص ودوي القنابل تسمع بقوة. كان أشد تلك المعارك حول مبنى الشرطة، إذ إن جنود الاحتلال لم يصلوا إلى جميع أنحاء المدينة، ولا زالت قوات المدينة تقاوم في عدة أماكن. وفي ساعات الليل، بدأ جنود الاحتلال دخول المنازل في الأحياء التي احتلوها وقاموا بطرد سكانها إلى خارج المدينة. كان بعضهم يقول للأهالي: «اذهبوا إلى خروبة وبرفيليا»،[٦٠] والبعض الآخر يقول: «اذهبوا إلى الملك عبدالله إلى رام الله.» امتلأت الشوارع بالناس الراحلين إلى أماكن غير محددة، لكن المهم أن يتركوا المدينة.

---

(٥٩) الذي جعل صالون الدير في الطبقة الثانية منه مقرّاً له.

(٦٠) هما قريتان تقعان جنوبي شرقي المدينة خارج الخطوط العسكرية الإسرائيلية.

ثامن عشر: معارك اليوم الثاني
لاحتلال المدينة، ١٢/٧/١٩٤٨

هدأت معارك اليوم الأول بعد منتصف الليل، ولم نعد نسمع أزيز الرصاص ولا دوي القنابل، كأن المحاربين من الطرفين قد توصلوا إلى اتفاق لوقف إطلاق النار. استمر هذا الهدوء حتى فجر اليوم الثاني، ١٢/٧/١٩٤٨، لتتجدد بعده المعارك داخل أحياء المدينة التي لم تدخلها قوات الاحتلال بعد، بسبب مقاومة قواتها. وفي الفجر تمكنا من مشاهدة جثث كثيرة ملقاة في الشوارع والأزقة. أخبرنا الكثيرون من سكان المدينة المطرودين أن جثث القتلى منتشرة في شوارع الأحياء التي طردوا منها، وأن جنود الاحتلال أمروهم بقسوة بمغادرة منازلهم والرحيل، وإلاّ سيقتلون مثل غيرهم. كان السكان المطرودون يسيرون في الشوارع والأزقة كالسيل الذي لا ينقطع، يبكون ويتأوهون، وقد تركوا بيوتهم مليئة ولا ينقصها شيء، وحملوا معهم بعض الأمتعة الخفيفة وهم يزحفون مثل أسراب النمل. وكنا نشاهد هذه المناظر من الطبقة العلوية في المستشفى بواسطة ناضور مكبر (التلسكوب)، فتمكنا من مشاهدة ما يجري في بعض أنحاء المدينة.

في الثانية عشرة ظهراً تقريباً، سمعنا صوت إطلاق الرصاص ودوي انفجار القنابل من جميع أنحاء المدينة بصورة شديدة جداً، وخصوصاً من الجهة الشمالية الغربية. صار السكان المطرودون يركضون ويصيحون من الخوف تاركين بعضهم بعضاً، لا يسألون عن أم أو أب، أخت أو أخ، ورصاص القوات المحتلة يُطلق فوق رؤوسهم. امتلأت المدينة بأصوات الأهالي، فالنساء يصرخن ويولولن خوفاً وفزعاً، وقد أضعن أطفالهن ولا يعرفن أين هم، أحياء هم أو أموات. الأطفال يبكون ويصرخون ويسألون عن آبائهم وأمهاتهم، يركضون ولا يعرفون إلى أين. الرجال يصرخون من الرعب والخوف، وهم يركضون في الشوارع والأزقة، لا يعرفون أين نساؤهم وأولادهم، مستغيثين بالله سبحانه وتعالى ومرددين: «يا رحمٰن يا رحيم إشفق علينا، الله أكبر، يا رب العالمين احمنا وأطفالنا واستر عيالنا.» كيف لا؟ وهم في هربهم وركضهم يمرون فوق جثث شهداء من أقاربهم وأهلهم، ولا مجال للالتفات أو التحقق.

مدرعات أردنية تدخل المدينة
ومجزرة جامع دهمش وما حوله

سمعنا أن المدرعات الأردنية قامت بهجوم قوي على القوات الإسرائيلية الموجودة في اللد، وأن بعض من كان في المدينة اشترك في المعارك في شوارع المدينة وأحيائها. وكان صوت إطلاق الرصاص والقنابل يسمع من كل صوب. يقول الكاتب يفرح حبيب،[٦١] واصفاً ما حدث يوم الاثنين ٧/١٢: «إن ظهور المدرعات الأردنية في شوارع المدينة أثار حماسة سكان اللد وأعطاهم الأمل، وأن من كان منهم لا يزال يحمل سلاحه، بدأ يطلق النار على جنود الطابور الثالث الذين كانوا في شوارع المدينة وأبنيتها المركزية، وقد ردوا على النار بالمثل. عمّت فوضى هائلة بالمدينة، وقد تم القضاء عليها، بعد أن صدرت الأوامر للقوات المحتلة بإطلاق النار على كل من كان في الشوارع. نتيجة ذلك وقع نحو ٢٥٠ قتيلاً بين أهالي المدينة. لقد تم القضاء على هذه الفوضى بشدة متناهية وبوحشية نتيجة عدم وجود أي مخرج آخر.»[٦٢] إذ إن الجمهور الذي تحمس لدخول المدرعات الأردنية كان مقتنعاً بأنهم جاؤوا لإنقاذه من الاحتلال الإسرائيلي، ولهذا أطلقوا النار على الجنود الإسرائيليين. أمّا بني موريس، في كتابه «ولادة مشكلة اللاجئين الفلسطينيين» فكتب:[٦٣] «لقد أُمر الجنود بأن يطلقوا النار على كل هدف واضح. وبعدها أُمر الجنود بأن يطلقوا النار على كل من يشاهدوه في الشوارع.» واستطرد: «إن بعض سكان المدينة الذين كانوا داخل بيوتهم، بسبب فرض منع التجول، اعتقدوا عند سماعهم إطلاق النار بكثرة في الشوارع أن هناك مذبحة كبيرة تجري لسكان المدينة، فخرجوا إلى الشوارع من الهلع والفزع حيث حُصدوا برصاص جنود الاحتلال. كما أطلق الجنود الرصاص والقنابل اليدوية داخل بعض البيوت، إذ اعتقدوا أن رجال القناصة العرب يطلقون عليهم النار من داخلها. قُتل من جراء ذلك عشرات الأهالي الذين كانوا معتقلين قرب المسجد والكنيسة في مركز المدينة، مع أنهم لم يكونوا مسلحين، ومن المحتمل أن بعض هؤلاء المعتقلين حاول الهرب أيضاً بسبب الخوف من المذبحة. كانت نتيجة إطلاق النار، من قبل جنود فرقة يفتاح، سقوط ٢٥٠ قتيلاً تقريباً وعدد أكبر من الجرحى.» يقول ضابط

---

(٦١) يفرح، مصدر سبق ذكره؛ وراجع: فيكرت، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٨.

(٦٢) المصدر نفسه؛ وراجع: أ. أورن، «البلماح»، ج ٢، ص ٨١٠ ـ ٨٨٥.

(٦٣) موريس، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٦.

الاستخبارات في قيادة عملية داني، يروحام كوهين، واصفاً ما حدث باللد: «أُصيب سكان المدينة بالهلع، إذ اعتقدوا أن جنود الجيش الإسرائيلي سينتقمون منهم. إن ما حدث تقشعر له الأبدان، والأصوات تصم الآذان، النساء يولولن بأصوات عالية جداً، وكان المسنون يقرأون آيات قرآنية، كأنهم يشاهدون موتهم بأعينهم.»(٦٤) أمّا جامع دهمش فقد لجأ إليه عدد كبير من السكان خوفاً من انتقام جنود الاحتلال، إذ اعتقدوا أن الجنود لا يجرؤون على اقتحام المساجد أو بيوت العبادة، لكن هؤلاء الجنود وقادتهم خالفوا كل الأعراف واقتحموا المسجد وقتلوا جميع من فيه. أورد مصطفى الدباغ في موسوعة «بلادنا فلسطين» أن عدد الذين استشهدوا في حوادث ثاني يوم الاحتلال كان ٤٢٦ شهيداً، قتل منهم في جامع دهمش وحده أكثر من ١٧٦ شهيداً.(٦٥) وسمعت من الذين نقلوا جثث الشهداء الذين قتلوا بجامع دهمش أنهم نقلوا ٩٣ جثة من داخل الجامع وبعضهم قال إن عددهم يزيد كثيراً على مئة شهيد. أمّا الكاتب الشيخ محمد نمر الخطيب فكتب في كتابه «بعيون أيوب»: «أن سكان اللد تمردوا وسقط منهم ١٧٠٠ قتيل.»

هذا ولا يزال جامع دهمش مغلقاً وأرضه ملطخة بدماء الشهداء حتى يومنا هذا.

في ثالث يوم، أي الثلاثاء، وبعد هذه المجازر المفزعة، بدأ الجنود طرد كل من بقي في منزله إلى خارج المدينة، ومنها إلى منطقة مدينتي رام الله والبيرة. كان المطرودون يزحفون مثل أسراب النمل في جميع الطرقات والممرات.(٦٦) أخبرنا بعض الأهالي الذين رجعوا إلى المدينة في المساء،

---

(٦٤) المصدر نفسه.

(٦٥) الدباغ، مصدر سبق ذكره، ج ٤، ص ٤٨٦، نقلاً عن العارف، مصدر سبق ذكره، ج ٣، ص ٦٠٢ ـ ٦٠٥.

(٦٦) يقول بني موريس: «في الواحدة والنصف ظهر الاثنين ٧/١٢ وبينما كان إطلاق الرصاص يسمع في المدينة، أصدرت قيادة «عملية داني» أمراً عسكرياً إلى فرقة «يفتاح»، أولاً: يجب ترحيل سكان المدينة بسرعة من دون تمييز وتوجيههم إلى منطقة بيت نبالا؛ ثانياً: على قيادة الفرقة تقرير طريقة تنفيذ هذه العملية وإعلام القيادة بذلك.» واستطرد قائلاً: «الظاهر أن ضابط العمليات في قيادة عملية داني، يتسحاق رابين، أرسل أمراً مشابهاً لقيادة فرقة «كرياتي» بالنسبة إلى سكان مدينة الرملة أيضاً.»
أنظر: موريس، مصدر سبق ذكره، نقلاً عن أورن، «البلماح»، ص ١٢٤.

وكانوا مختبئين في الحقول والبيارات، أن جنود الاحتلال وضعوا حواجز على جميع الطرق المتجهة شرقاً والتي وُجّه إليها النازحون من سكان المدينة، حيث كان الجنود الواقفون على تلك الحواجز يفتشون النازحين، وخصوصاً النساء، ويسلبون مصاغهن من صدورهن ومن أيديهن ومن داخل أجسامهن حيث كنَّ يخفينها، بالإضافة إلى النقود وكل شيء خفيف الحمل وغالي الثمن. يذكر بني موريس في كتابه عن هذا السلب: «كان هناك عدة حوادث سلب فيها جنود الجيش الإسرائيلي الأشياء الثمينة من النازحين.» ويقول غوتمان ضابط استخبارات في الجيش الإسرائيلي، واصفاً العذاب الذي عاناه نازحو اللد في كتابه «طريق العذاب»: «سار سكان اللد النازحون (المطرودون) وراء بعضهم بعضاً، يحملون أكياساً ورزماً على رؤوسهم؛ وكانت الأمهات يجررن أولادهن، بينما كان يُسمع أصوات طلقات نارية فوق رؤوسهن للتحذير؛ وكان أحد الشباب، في مسيرة العذاب، ينظر نظرة حادة، كأن نظرته تقول: 'لم نستسلم بعد وسنحاربكم ثانية'.» واستطرد: «يذكرني هذا المنظر بطرد اليهود على أيدي الرومان في القرن الأول للميلاد.» وصف أحد الجنود، ويُعتقد أنه من ذلك الطابور، انطباعاته العميقة عن العطش والجوع اللذين عاناهما اللاجئون النازحون في أثناء سيرهم في الطرقات، وكيف أن الأولاد كانوا يذهبون للضياع. ويذكر أنه شاهد ولداً وقع في بئر وغرق من دون أن ينتبه إليه أحد، في الوقت نفسه، كان اللاجئون يختلفون فيما بينهم على نقطة ماء.

يقول عبدالله إسماعيل العكش (الصالحي) إن قوات الجيش الأردني بقيادة الجنرال لاشي باشا، منعت نجدات عربية قوية من سكان جبل الخليل ومن منطقة جبل نابلس من الانضمام إلى قوات المدينة في قتالها ضد القوات الإسرائيلية لتحرير المدينة ومنطقتها. كان عدد المتطوعين كبيراً، فهم يعدون بالمئات، أو بالآلاف، حضروا بمئات السيارات، إلى قريتي بدرس وبيت نبالا يوم الاثنين ١٩٤٨/٧/١٢. كان عبدالله العكش شاهداً لما حدث، فهو أحد المتطوعين، وقد سمع بأذنيه ورأى بعينيه تصرف القوات الأردنية ومنعها لهم من التوجه إلى المدينة للاشتراك في القتال. (علمت هذا في أثناء زيارته لي صيف سنة ١٩٩٥).

وصف جندي آخر الآثار التي تركها اللاجئون خلفهم في مسارهم الطويل. في البداية، تركوا أجهزة وقطع أثاث، ثم تركوا جثث النساء والرجال والأولاد، وكانت مبعثرة في الطرقات. كما شاهد شيوخاً مسنين جالسين في ظل عرباتهم يرجون ويطلبون نقطة ماء، غير متوفرة، الأمر الذي أثار شفقة في

قلبه.[٦٧] كتب الشيخ محمد نمر الخطيب أن عدد الذين لاقوا حتفهم من لاجئي اللد في أثناء نزوحهم شرقاً، بلغ ٣٣٥ شخصاً. وجاء في موسوعة «بلادنا فلسطين» أن عدد الذين لاقوا حتفهم في الطريق بلغ ٣٥٠ شخصاً.[٦٨]

لنعد الآن إلى اللد وما يجري فيها. بعد الهدوء النسبي لإطلاق النار ولدوي القنابل، وبسبب هول المذابح التي جرت هناك، والتي تقشعّر لها الأبدان، استمرت سيول المُهجّرين في السير في الطرق المؤدية إلى المناطق الشرقية، إلى مدينتي رام الله والبيرة والقرى المحيطة بهما. في الواقع، إن ما حدث في اليوم الثاني للمعارك، لا يمكن أن يصفه أي كاتب أو إنسان شاهد تلك الأحداث، مهما يكن ضليعاً في الكتابة وبارعاً في الوصف.

في العصر وقبل الغروب، تجددت المعارك بشدة وسُمع صوت إطلاق النار من كل صوب، وخصوصاً من الجهة الجنوبية الغربية والجهة الشرقية. علمنا أن قوات الاحتلال حاولت اقتحام مبنى الشرطة في المدينة، الذي تحصن فيه قسم من مقاتليها.[٦٩] قُصف المبنى بعدد كبير من قذائف المدفعية، لكن هذه المحاولة فشلت إذ إن المقاتلين استبسلوا واستماتوا في دفاعهم عنه. عندها جمعت قوات الاحتلال بعض وجهاء المدينة من الذين لم ينزحوا، وشكلت منهم وفداً لمقابلة المقاتلين، في مبنى الشرطة، ومطالبتهم بالاستسلام، وتبليغهم أن قوات الاحتلال ستسمح لهم بمغادرة المكان من دون أن تمسهم بأذى. إن الوجهاء الذين أُجبروا على الذهاب إلى المقاتلين هم: رئيس دير الروم الأرثوذكس في اللد، الأب **سيمون غرفة**؛ الشيخ **طاهر حماد** وهو قاض شرعي؛ **مبروك حسونة** (أبو رجب)، عميد آل حسونة؛ الحاج **إبراهيم حمزة**؛ **محمد علي التاجي (الكيالي)** رئيس البلدية. وعند توجههم إلى مبنى الشرطة أُطلقت عليهم النيران، زعم البعض أن مقاتلي المدينة هم الذين أطلقوا عليهم النار ويشك البعض الآخر في ذلك. وقُتل من جراء ذلك **مبروك حسونة** (أبو رجب) وأُصيب الشيخ **طاهر حمّاد** بجروح بالغة في فخذه وفي حوضه الأمر الذي جعله عاجزاً عن السير، وكان يستعمل عصا طبية. ولما لم تنجح هذه المحاولة، جمع جنود الاحتلال عدداً كبيراً من النساء وأجلسوهن على الأرض خلف الجامع الكبير في

---

(٦٧) موريس، مصدر سبق ذكره، ص ٢٨١.

(٦٨) الدباغ، مصدر سبق ذكره، ص ٤٨٦، نقلاً عن العارف، مصدر سبق ذكره، ج ٣، ص ٦٠٢ ـ ٦٠٥.

(٦٩) ومعهم بعض الجنود الأردنيين. (المؤلف)

مقابل مبنى الشرطة، ووقف خلفهن جنودٌ مع مدافعهم يطلقون منها قنابلهم فوق رؤوس النساء على مبنى الشرطة، لم يرد المقاتلون على النار بالمثل، عندما شاهدوا النساء يجلسن ووراءهن الجنود، كي لا يصيبوا النساء بأذى. كان صراخ النساء عالياً من الخوف كأنهن يردن إسماع أصواتهن للمقاتلين في المبنى كي لا يُصبن بقنابلهم. لكن هذه المحاولة لم تنجح أيضاً. استمر صوت المدافع يدوي من كل جانب ومقاتلو المدينة يردون بالمثل، وقد شاهدنا كيف كانت مدفعية العدو القريبة منا تقذف عدداً من القنابل، ثم تنتقل إلى مكان آخر خوفاً من رد مدفعية المقاتلين عليها بالمثل. استمر القتال في أثناء ساعات الليل أيضاً دونما فائدة. سمعنا أحد ضباط الاحتلال يقول إنه إذا لم يستسلم المقاتلون حتى الصباح فإنهم سيقصفون المدينة بالطائرات.

أمّا سيل النازحين فبقي مستمراً حتى ساعات الليل. ثم علمنا أن المدرعات الأردنية التي اقتحمت المدينة رجعت إلى قواعدها بعد أن أخذت معها إدريس بك، قائد الوحدة الأردنية، ورفاقه من مبنى الشرطة المركزي الواقع بين اللد والرملة. دافعت هذه الوحدة عن هذا المبنى الذي كان مقراً لها ببسالة وشجاعة فائقتين، ولم تمكن جنود الاحتلال من الاقتراب منه، كما أوقعت عدداً كبيراً من الإصابات بين جنود الاحتلال الذين كانوا يفوقونها عدداً.(٧٠) كتب موشيه دايان، قائد القوة التي توجهت إلى الرملة قائلاً: «وصلنا في أثناء تقدمنا إلى الرملة من مبنى الشرطة (القسم)(٧١) في منتصف طريق اللد ـ الرملة. الظاهر أن رجال الوحدة الأردنية المقيمين به لم يتوقعوا وصولنا. فقد شاهدت رجلاً يلبس الخاكي ورأسه عارٍ واقفاً ينظر نحونا بهدوء. كان هذا قائد الوحدة، والظاهر أنه خرج ليستطلع الأمر. ثم قفز إلى ساحة المبنى واختفى. نجحت الوحدة الأولى من قواتنا في المرور من دون إطلاق النار تقريباً. لكن عندما وصلت وحدة المجنزرات الثانية ومعها سيارات الجيب، أطلقت النيران عليهما بغزارة من المدافع الرشاشة المنصوبة على برج المبنى ومن نوافذه، وبدأت معركة هجومية قصيرة. فمن داخل مبنى الشرطة أطلقوا علينا القنابل، فوقعت إحداها داخل مجنزرة، وأُصيب جميع من فيها. وبينما نحن نمطر المبنى بالرصاص نجحنا في العبور وابتعدنا عنه، وعندما وصلنا مفترق طريق الرملة ـ القدس، مررت على جنود القوة وتبيّن لي أننا أُصبنا فعلاً. ففي إحدى سيارات

---

(٧٠) دايان، مصدر سبق ذكره، ص ٧ ـ ٨.

(٧١) كان يضم هذا المركز قيادة شرطة المنطقة.

الجيب سقط أربعة قتلى. كما كان هناك عدد من الجرحى بين جنود المجنزرات، إصابات بعضهم خطرة، وأُصيبت أيضاً سيارة جيب الدورية، فتركناها تحترق قرب مبنى الشرطة. اخترق الرصاص معظم إطارات السيارات؛ سقط بعض أجهزة تبريد السيارات؛ أُصيب أحد الجنود في سيارة جيب أُخرى وطار مدفعه الرشاش؛ تعطلت مكابح سيارة جيب ثالثة؛ كل ذلك بالإضافة إلى بعض المفقودين. وبدأت معنوياتنا تهبط.»[٧٢]

وهكذا، انتهى يوم رهيب ثان في حياة المدينة وسكانها. يوم مجزرة واحدة، قتل فيها أناس أبرياء بأعداد كبيرة، وطرد عشرات الآلاف من سكان المدينة من بيوتهم ومدينتهم، والعيارات النارية تلاحقهم كي لا يتوقفوا عن المسير، وكم من النساء أجهضن أجنتها أو متن خوفاً ورعباً، وكم من الأطفال ضلوا طريقهم وأضاعوا أمهاتهم وأقرباءهم، يركضون وراء الراكضين لا يعرفون أين أهلهم جاهشين بالبكاء خوفاً. صوت الرجال المسنين يشبه هدير مياه الأودية أيام الأمطار وهم يرددون آيات قرآنية «يا رحمٰن يا رحيم ارحمنا»، وولولة النساء وصراخهن يصم الآذان. الجرحى مبعثرون بين الجثث في الطرقات يلفظون أنفاسهم، ولا من مسعف أو معين. يقول بني موريس: «إن الاشتباكات التي حدثت أقلقت رجال قيادة عملية داني، الذين أرادوا نزوح سكان المدينتين (اللد والرملة) قبل المجزرة، ولكنهم وجدوا الحجة والفرصة الملائمتين لطرد السكان، الأمر الذي لم تحققه الانفجارات والقنابل.»[٧٣]

---

(٧٢) دايان، مصدر سبق ذكره، ص ٧ ـ ٨.

(٧٣) موريس، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٧.

مقاطع من ثلاث صحف عبرية
عن سقوط مدينة اللد

أ) ־צדק, קרב קשה בסביבות בית־נבאללה

ב) ברגע האחרון:

האויב גורש מבית נבאללה אל ההרים



ج) **כוחותינו מחסלים כיס־התנגדות בלוד**

د) **תותחינו מכים באויב בירושלים**

هـ) **המוני הערבים נסים מרמאללה ומבית־לחם**

מוע' הבטחון תשמע היום דו"ח מפי הרוזן ברנדוט

أ) «معركة قاسية في محيط بيت نبالا».

ب) «طرد العدو من بيت نبالا إلى الجبال».

جـ) «قواتنا تقضي على جيب المقاومة في اللد».

د) «مدافعنا تقصف العدو في القدس».

هـ) كثيرون من العرب يهربون من رام الله وبيت لحم».

(١)



הארץ

תותחינו הרעישו את נבי סמואל

ירושלים הורעשה מהאוויר בפעם ה1 בתולדותיה

أ) לוד נכבשה על ידי כוחות צבא ההגנה לישראל

נכבשה בית־נבאלה ושוחררה בן־שמן.- אמש עוד נמשכו הקרבות באיזור רמלה- מסמיה וכמה כפרים נכבשו בכביש מגדל-לאטרון

עין תחת עין, פגז תחת פגז

בהלת האויב בחזית הדרום

נמשכה הרעשת כפר־סירקין

הפצצות טרור על ת"א

(٢)



דבר

עתון פועלי ארץ ישראל

מארשל סוקולובסקי שוחרר מתפקידו?

أ) לוד נכנעה אמש לצבא ההגנה לישראל

ب) כיבושים נוספים לצבאנו במרכז, בדרום ובצפון

ج) התקפת־אויר ראשונה על ירושלים העברית- עמדות האויב הורעשו קשה

האויב פתח בהתקפת־נגד

(١) «هآرتس»، ١٩٤٨/٧/١٢

أ) «قوات جيش الدفاع الإسرائيلي تحتل اللد».

(٢) «دافار»، ١٩٤٨/٧/١٢

أ) «اللد استسلمت أمس لجيش الدفاع الإسرائيلي».

ب) «احتلالات أُخرى لقواتنا في الوسط والجنوب والشمال».

ج) «أول هجوم جوي على القدس العبرية. قصف مواقع العدو بشدة».

تاسع عشر: معارك اليوم الثالث

لاحتلال المدينة، ١٣/٧/١٩٤٨

في صباح هذا اليوم، نجح الجنود الإسرائيليون في احتلال بقية مناطق المدينة، ما عدا مبنى الشرطة حيث دارت معارك شديدة بينهم وبين المدافعين العرب، منهم جنود الجيش الأردني. وفي ساعات قبل الظهر، نجحت قوات الاحتلال في تطويق المبنى ومنطقته من ثلاث جهات، من الشمال والشرق والغرب. أمّا الجهة الجنوبية فكانت لا تزال مفتوحة والمعارك فيها مستمرة. أخذ الجنود يضربون المبنى بقنابل المدفعية والمورتر والقوات التي بداخله ترد على النار بالمثل. كما استمر في هذه الأثناء سيل النازحين شرقاً كأنه سيل لا ينقطع، وكان بعض جنود الاحتلال يطلق النار، من وقت إلى آخر، فوق رؤوسهم.

بعد الظهر، هاجمت قوة إسرائيلية كبيرة مبنى الشرطة تساندها في ذلك المدفعية. في هذه المرة، لم يرد المدافعون بالمثل، ومع هذا استمر القصف المدفعي وزادت حدته، على الرغم من عدم الرد. عندها تقدمت القوة الإسرائيلية نحو المبنى ببطء وحذر شديدين وتحت ستار كثيف من قنابل المدفعية. وعندما دخلت المبنى وجدته خالياً من المحاربين. استغرب أفراد القوة عندما اكتشفوا أن المقاتلين نجحوا في الانسحاب. شعرت قيادة القوات الإسرائيلية الموجودة في المدينة بالارتياح وتحولت إلى تحقيق هدف آخر، وهو التعجيل في طرد السكان. دخلوا المنازل وأخرجوا منها سكانها وطردوهم خارج المدينة. يقول بني موريس: إنه «أُعطيت أوامر بتشجيع الأهالي على النزوح عن المدينة وخصوصاً سكان اللد، الذين ابتلوا خلال ٧٢ ساعة، بحوادث قاسية لا تُنسى، الواحدة تلو الأُخرى: صدمة المعارك؛ احتلال الإسرائيليين لمدينتهم على عكس تطلعاتهم وآمالهم؛ انسحاب القوات الأردنية؛ المجزرة التي وقعت في المدينة؛ منع تجول متواصل يرافقه مداهمة البيوت وتفتيشها؛ اعتقال الرجال الذين هم في سن الجندية وفصلهم عن عائلاتهم؛ نقص في المواد الغذائية وفي المعالجة الطبية؛ نزوح عائلاتهم وأقاربهم؛ حشرهم بالقوة في بيوتهم وخوفهم من المستقبل.» لم يمر وقت طويل حتى علم سكان الرملة بما حدث في اللد التي تبعد عنهم أربعة كيلومترات، وذلك يوم الاثنين ١٢/٧/١٩٤٨ بعد الظهر. دب الرعب في سكان الرملة، الأمر الذي دفع، على ما يظهر، معظمهم إلى النزوح ومغادرة مدينتهم ليلة ١٢ ـ ١٣/٧.

من الجدير بالذكر، أن سكان الرملة نقلوا بالباصات وسيارات الشحن التي

أعدتها لهم قوات الاحتلال، إلى ما بعد قرية القباب القريبة من اللطرون، التي كانت بأيدي الجيش الأردني، بينما أُجبر سكان اللد على مغادرة مدينتهم مشياً على الأقدام ورصاص جنود الاحتلال يُطلق فوق رؤوسهم لإخافتهم كي لا يتوقفوا عن السير.(٧٤)

في مساء اليوم الثالث من احتلال المدينة، تم لقوات الاحتلال السيطرة التامة على جميع أحياء المدينة ومنطقتها. وفيما يلي قائمة بأسماء المدن والقرى التي تم احتلالها وطرد سكانها في المعارك التي ابتدأت بعد منتصف الليل، أو أول ساعات النهار من يوم السبت ١٩٤٨/٧/١٠ وانتهت في ١٩٤٨/٧/١٤:

١ ـ قولة؛ ٢ ـ رنتية؛ ٣ ـ ويلهلما؛ ٤ ـ دير طريف؛ ٥ ـ بيت نبالا؛ ٦ ـ جنداس؛ ٧ ـ الحُديثة؛ ٨ ـ اللد؛ ٩ ـ الرملة؛ ١٠ ـ دير أبو سلامة؛ ١١ ـ خربة الضهيرية؛ ١٢ ـ جمزو؛ ١٣ ـ خربة زكريا؛ ١٤ ـ دانيال؛ ١٥ ـ عنابة؛ ١٦ ـ الكُنَيِّسة؛ ١٧ ـ البرّية؛ ١٨ ـ قزازة؛ ١٩ ـ برفيليا؛ ٢٠ ـ رأس العين؛ ٢١ ـ مجدل يابا؛ ٢٢ ـ المزيرعة؛ ٢٣ ـ خروبة، وغيرها.(٧٥)

احتلت القوات الإسرائيلية المدن والقرى المذكورة أعلاه، على الرغم من أنها تقع ضمن حدود الدولة الفلسطينية العربية، بحسب قرار التقسيم الذي أصدرته الأمم المتحدة في ١٩٤٧/١١/٢٩. كذلك، وعلى الرغم من أهمية هذه المنطقة الاستراتيجية لم يحضر من قوات الجيوش العربية سوى كتيبتين أردنيتين؛ واحدة في الرملة والثانية في بيت نبالا شمالي شرقي اللد، يبلغ عدد أفرادهما نحو ٢٤٠ جندياً، لمساعدة السكان ولتقفا مع مقاتلي اللد والرملة أمام هجوم عسكري بري وجوي قام به ما يزيد على عشرة آلاف جندي إسرائيلي. يقول بني موريس: «إن الجيش الإسرائيلي الذي قام بعملية «داني» لاحتلال منطقة اللد ـ الرملة يراوح بين ثلاثة أو أربعة ألوية عسكرية، بالإضافة إلى عدة طائرات عسكرية، كما أنه لم تصل أية قوات فلسطينية البتة من أي مكان أو جهة في فلسطين.»(٧٦)

لقد تبيّن لنا مما مر حجم الفوضى التي كانت منتشرة بين الصفوف العربية والفلسطينية، حيث لا نظام ولا تنظيم، ولا من يجند الشباب الفلسطينيين ولا من يدرب أو يوجه. إنما كانت المنطقة التي تضم اللد والرملة تحارب وتقاتل

---

(٧٤) موريس، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٩.

(٧٥) المصدر نفسه، ص ٥٩٠.

(٧٦) المصدر نفسه، ص ٢٧٤.

وحدها، بمساعدة وحدة أردنية عسكرية صغيرة في مبنى شرطة القسم الواقعة بين الرملة واللد، كأنها ليست جزءاً من فلسطين. عندما كانت سيارات الإسعاف تمر في مدينتي رام الله والبيرة، ومنهما إلى مدينة نابلس الكبيرة حاملة الجرحى إلى مستشفياتها، لم نشعر بأن هناك حرباً، دفاعاً عن فلسطين كلها. كانت المقاهي تعج بالرجال، وحوانيت الحلوى مليئة بالناس وأصوات الغناء والموسيقى تسمع في كل مكان، كأن المعارك الدائرة في منطقة اللد ـ الرملة ومناطق أُخرى غيرها لا تعنيهم، ما دام العدو لم يصل إلى مناطقهم، ولم يدق أبوابهم. أمّا الهيئة العربية العليا، التي نصبت نفسها حكومة على فلسطين، فقد اختفت أو هربت إلى الخارج، ولم يعد لها وجود أو تأثير في ما يجري في البلاد. لذلك كانت كل مدينة أو قرية تعمل وحدها ولا رابط بينها. يقول بني موريس: «نتيجة عدم وجود تعليمات واضحة من الدول العربية أو من الهيئة العربية العليا فيما يجب على السكان عمله، وقع عبء أخذ القرارات على أكتاف الزعامة المدنية والعسكرية المحلية لعرب فلسطين. وأن هؤلاء الزعماء هم الذين قرروا في معظم الأحوال في نيسان/ أبريل، إذا ما كان على سكان هذه المدينة أو تلك القرية أن ينزحوا أو يبقوا في أماكنهم.»(٧٧) ويضيف بني موريس: «أن مدينة اللد رفضت توقيع وثيقة استسلام على العكس من مدينة الرملة.»(٧٨)

في ساعات ما بعد الظهر من اليوم الثالث لاحتلال المدينة، كان سيل المطرودين لا يزال يملأ الطرقات. كان قلقنا كبيراً، نحن عاملي المستشفى على أهلنا، إذ بقينا عدة أيام في عملنا المتواصل للعناية بالجرحى، ونشاهد نزوح عشرات آلاف السكان. لم نعرف مصير عائلاتنا إن كان أفرادها قد قتلوا أو جرحوا، أو إن كانوا قد طردوا من بيوتهم ونزحوا. توجهنا إلى الضابط المسؤول عن قوات الاحتلال وسألناه عن مصيرنا، وعمّا سيفعلون بنا؟ وأننا لا نعرف شيئاً عما حدث لأهلنا. أين هم، وماذا حلّ بهم؟ وهل سنبقى أو سنطرد مثل بقية السكان؟ أخبرنا الضابط أن الأوامر التي لديه تقضي بأن نبقى ونستمر في معالجة الجرحى، وأن قيادته اتصلت بممثلي الصليب الأحمر، وطلبت منهم العمل على نقل الجرحى، ونحن معهم، وقال إنهم سيحضرون سيارات لنقلنا جميعاً. طلبنا منه أن يسمح لنا بالذهاب إلى بيوتنا لإحضار عائلاتنا، إن وجدناها هناك لنرحل سوية، فسمح لنا بذلك، لكنه قال أنه غير

---

(٧٧) المصدر نفسه، ص ١٠٠.

(٧٨) المصدر نفسه، ص ٢٧٥.

مسؤول عما يحدث لنا،[٧٩] وعلينا أن نحمل إشارات واضحة للصليب الأحمر على أذرعنا، ففعلنا. ذهبتُ إلى البيت ووصلته بعد عذاب شديد، ورجلاي ترتعدان خوفاً، وأنا أرى جثث أناس من أهل المدينة ملقاة وسط الشوارع وعلى الأرصفة، منهم بعض معارفي. أصابتني قشعريرة وصرت أنتفض خوفاً وألماً، وعندما وصلت إلى مدخل الشارع الذي نسكن فيه، وإذا بي أشاهد عائلتي تخرج من بيتنا حاملة بعض الأمتعة الخفيفة. وأمّا والدي، رحمه الله، فكان يحمل إبريقاً من الماء، قائلاً إن الماء ألزم إلينا من كل شيء. علمت أن ثلاثة جنود إسرائيليين اقتحموا البيت وأمروا الجميع بالنزوح فوراً، وأنهم سيرجعون بعد ١٥ دقيقة ويقتلون كل من يبقى فيه. أحضرت عائلتي معي إلى حديقة المستشفى، وكان هذا سبب بقائنا في اللد قرب المستشفى والجامع الكبير لا في بيتنا. إن سيارات الصليب الأحمر لم تحضر لنقلنا. في الغروب، كنا لا نزال نسمع أصوات طلقات نارية من أسلحة أوتوماتيكية حتى المساء حيث خيّم الهدوء على المدينة. لم نعد نسمع صوت إطلاق النار ولا أصوات بكاء وعويل النساء والأطفال، كأن المدينة ماتت. وهكذا، انتهى يوم الاحتلال الثالث، يوم المآسي والكوارث والمجازر، وهو الثلاثاء في ١٣/٧/١٩٤٨. لم يبق من سكان المدينة واللاجئين الذين بلغ عددهم نحو ٥٠ ألف نسمة سوى ٥٠٣ أشخاص سكنوا في منطقة الجامع الكبير والكنيسة، وعلمنا بعدها أنه بقي في حي محطة سكة الحديد نحو ٥٠٠ شخص آخرين، أبقتهم سلطات الاحتلال لتشغيل المحطة ولقيادة القطارات كي تعمل على نقل المؤن والذخائر للجيش الإسرائيلي.

عشرون: إتمام عملية طرد سكان المدينة واللاجئين إليها

بلغ عدد سكان اللد سنة ١٩٤٨ نحو ٢٢ ألف نسمة. وفي أثناء حرب الاحتلال، وابتداء من أول نيسان/ أبريل بدأت قوافل اللاجئين الفلسطينيين القدوم إلى اللد بعد أن طردهم الجيش الإسرائيلي من أماكن سكناهم: ١ ـ يافا؛ ٢ ـ يازور؛ ٣ ـ بيت دجن؛ ٤ ـ الخيرية؛ ٥ ـ كفر عانا؛ ٦ ـ العباسية؛ ٧ ـ ساقية؛ ٨ ـ السافرية؛ ٩ ـ صرفند العمار؛ ١٠ ـ صرفند الخراب؛ ١١ ـ سلمة. ولم يطرد هؤلاء السكان لأنهم دافعوا عن قراهم، ففي معظم الأماكن المذكورة لم

(٧٩) طُردت أغلبية العائلات من بيوتها وبقي جزء قليل منها.

تجر أية معارك دفاعية أو غيرها سوى في مدينة يافا وقرية سلمة القريبة منها، وإنما طردوا بحسب خطط وضعتها، وقرارات اتخذتها القيادة اليهودية في فلسطين قبل قرار التقسيم الذي أصدرته الأمم المتحدة. أمّا لجنة بيل البريطانية التي أرسلتها الحكومة البريطانية لمعرفة أسباب نشوب ثورة عرب فلسطين سنة ١٩٣٦ وسنة ١٩٣٧ ضد حكومة الانتداب في فلسطين وحركة الاستيطان اليهودي فيها، فقد اقترحت سنة ١٩٣٧ إقامة دولة يهودية صغيرة تضم جزءاً كبيراً من السهل الساحلي في فلسطين وقسماً من الجليل، بينما تضم الدولة العربية منطقة لواء نابلس ومعظم منطقة جبال القدس ورام الله ومنطقة جبال الخليل والسهل الساحلي الجنوبي والنقب. كما أوصت اللجنة بإجراء عملية ترحيل تجري بمساعدة البريطانيين، وبالقوة عند الضرورة.

تقضي عملية الترحيل، بحسب ما افترضته لجنة بيل، بترحيل معظم أو جميع السكان العرب في المناطق المخصصة للدولة اليهودية المقترحة، والذين يبلغ عددهم في ذلك الوقت ٢٢٥ ألف نسمة.[٨٠] قال بن ـ غوريون في اجتماع للوكالة اليهودية عقد في حزيران/يونيو سنة ١٩٣٨:[٨١] «نقطة الانطلاق أو المخرج الوحيد لحل قضية السكان العرب في الدولة اليهودية، يتم في توقيع اتفاقية مع الدول العربية، تمهد الطريق لقلع العرب من الدولة اليهودية إلى الدول العربية.» كما وافق بن ـ غوريون على إقامة دولة يهودية على قسم صغير من مساحة أرض «إسرائيل».[٨٢] لا لأنه يكتفي بهذا الجزء من البلاد بل لاعتقاده أنه عندما تصبح هذه الدولة قوية بدرجة كافية، بعدها ننقض الاتفاق ونتوسع في جميع أرض «إسرائيل». وقد كتب يوسف فايتس، رئيس دائرة أراضي إسرائيل، التابعة للصندوق القومي اليهودي، في مذكراته بتاريخ ١٩٤٠/١٢/٢٠، ما يلي: «بيننا وبين أنفسنا يجب أن يكون واضحاً أنه لا مكان في إسرائيل لشعبين معاً. إنْ خرج العرب تكون لنا دولة عريضة وواسعة. وأن الحل الوحيد بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية هو دولة إسرائيل، وعلى الأقل في أرض إسرائيل الغربية ومن دون العرب. ولا مكان هنا لتنازلات... لا توجد طريقة أُخرى سوى ترحيل السكان العرب إلى الدول

---

(٨٠) موريس، مصدر سبق ذكره، ص ٤٥.

(٨١) المصدر نفسه، ص ٤٤.

(٨٢) لم يحدد بن ـ غوريون ماذا كان يعني بأرض إسرائيل، إذ إنه لا يُعرف حتى يومنا هذا أين هي أرض إسرائيل وما هي حدودها. (المؤلف)

العربية المجاورة، ترحيلهم جميعاً، ما عدا، على ما أعتقد عرب بيت لحم والناصرة والقدس القديمة. يجب ألاّ تبقى أية قرية أو أية قبيلة واحدة. الترحيل يجب أن يوجه إلى العراق وسورية وإلى شرق الأردن. ولتحقيق هذا الهدف إن المال موجود. . . وفقط مع هذا الترحيل تتمكن إسرائيل من استيعاب الملايين من إخواننا، ونجد حلاً لمسألة اليهود ولا يوجد مخرج آخر.»(٨٣) هناك أدلّة كثيرة أُخرى على التفكير والمخططات الصهيونية التي تهدف إلى قلع العرب الفلسطينيين من مدنهم وقراهم في داخل دولة إسرائيل. ويقول يغآل ألون، قائد عملية داني، إن طرد سكان اللد والرملة كان لا بد منه لأسباب استراتيجية. وأشار إلى أن دافيد بن ـ غوريون نفسه هو الذي أمر بطرد السكان. هذا ويؤكد بني موريس أن سياسة الحكومة الإسرائيلية تجاه السكان العرب في المدن والقرى التي تم احتلالها في معارك الأيام العشرة (١٩٤٨/٧/١٠ ـ ١٩/٧/١٩٤٨)، والتي تم في أثنائها احتلال مدينتي الرملة واللد وجميع قرى المنطقة)، قرر بن ـ غوريون نفسه ذلك مع قيادة الجيش الإسرائيلي. ويضيف بِني موريس في كتابه قائلاً: «إن مدينتي اللد والرملة ومنطقة تل الصافي أُفرغت كلياً من السكان العرب.»(٨٤)

وهكذا يتضح مما ذكرناه، ومما كتبه عدة كتّاب يهود، أن ترحيل السكان العرب الموجودين داخل المنطقة التي خُصصت لإقامة دولة إسرائيل، كان بموجب قرار التقسيم الذي أصدرته الأمم المتحدة في ١٩٤٧/١١/٢٩، وبموجب قرارات اتخذتها الوكالة اليهودية والقيادة الصهيونية قبل ابتداء حرب ١٩٤٨ بعدة أعوام، وليس لأن السكان العرب قاوموا الاحتلال وحاربوا دفاعاً عن مدنهم وقراهم.(٨٥) وشملت عملية الطرد أيضاً سكان مدينتي اللد والرملة والقرى المحيطة والتي لم تكن ضمن حدود دولة إسرائيل بموجب قرار التقسيم المذكور، إنما بموجب قرارات اتخذتها القيادة الإسرائيلية قبل ابتداء المعارك. افتخر اليهود بنجاحهم في طرد سكان مدينتي اللد والرملة واللاجئين فيهما البالغ عددهم نحو ٧٠ ألف نسمة في مدة لا تتجاوز ٧٢ ساعة. ويقول بني موريس: «إنه في الاجتماع الذي عقده بن ـ غوريون، رئيس الحكومة

---

(٨٣) موريس، مصدر سبق ذكره، ص ٤٤، مأخوذ عن بروتوكول جلسة رئاسة الوكالة اليهودية من أقوال يوسف فايتس، أحد زعماء الوكالة، في ١٩٣٨/٦/٧.

(٨٤) المصدر نفسه، ص ٤٤٧.

(٨٥) المصدر نفسه، ص ٢٦٦.

حينذاك، مع قائد عملية داني ومع الكولونيل رابين ضابط العمليات، سأل رابين بن ـ غوريون، عما يجب عمله بالنسبة إلى السكان العرب في المدينتين (اللد والرملة)؟ أجاب بن ـ غوريون بأن رفع يده بجدية بالغة إلى جهة الشرق وأعتقد أنه أضاف قائلاً: اطردهم.»(٨٦) ويقول بني موريس أيضاً: «إذا كنا سنحكم على أعمال الجيش الإسرائيلي بتاريخ ١٩٤٨/٧/١٣، فبحسب رأي قادته كان نزوح سكان اللد طرداً وليس نزوحاً اختيارياً. فمثلاً بلّغت قيادة عملية داني، قيادة الجيش الإسرائيلي، أن مبنى شرطة اللد قد تم الاستيلاء عليه، وأننا منهمكون حالياً بطرد السكان، كما اتصلت قيادة الجيش بقائد فرقة يفتاح وسألته: هل تمت عملية إخراج السكان من اللد؟ ويقول قائد العمليات العسكرية: إنه كان لا بد من طرد سكان اللد والرملة لأسباب استراتيجية، كما قال إن بن ـ غوريون هو الذي أعطى الأمر بهذا الطرد.»(٨٧) أذاع مذياع رام الله باللغة الإنكليزية بعد وصول اللاجئين إليها واصفاً مأساة اللاجئين ومدينة رام الله قائلاً: «إن روائح كريهة بدأت تنتشر في المدينة. وأن مباني المدارس اكتظت باللاجئين الذين بلغ عددهم في بعض الأماكن ٣٠ نسمة في غرفة تدريس واحدة. أنظروا إلى العائلات المحترمة وقد انتشرت في الحقول تحت الأشجار، تضع البطانيات كحواجز بينها، أنظروا إلى النساء يغسلن الثياب ويعجن طحيناً عفناً لأبناء عائلاتهن الجياع. بعد ثلاثة أيام لن يبقى حفنة طحين واحدة في رام الله.»(٨٨) يجب أن نطعم ٧٠ ألف نسمة. أرسلت بلدية رام الله رسالة بواسطة شبكة اللاسلكي إلى الجيش الأردني، التقطها جهاز الاستخبارات الإسرائيلي، قالت فيها: إن ٧٠ ألف نسمة مبعثرون في الطرقات ومعظمهم من الطبقة الفقيرة، ينقصهم الغذاء والماء ويكوّنون خطراً على الصحة العامة.

أرسل حنا خلف، القائم بأعمال رئيس بلدية رام الله، برقية إلى جلالة الملك عبد الله طالباً فيها من جلالته «أن يصدر أمراً إلى بلدية رام الله يسمح لها فيه بإخلاء المدينة من اللاجئين إذ ليس في إمكانها أن تتحمل هذا الوضع.» أجاب الملك: «يجب عليكم أن تصبروا وأن تساعدوا إخوانكم.» ووعد بإرسال المساعدات في القريب العاجل. وقد أرسلت المملكة الأردنية كمية من الخبز

(٨٦) المصدر نفسه، ص ٢٧٩.

(٨٧) المصدر نفسه، ص ٢٨٠.

(٨٨) المصدر نفسه، ص ٤٤٧.

والطحين والتمر، كانت نقطة في بحر.[٨٩]

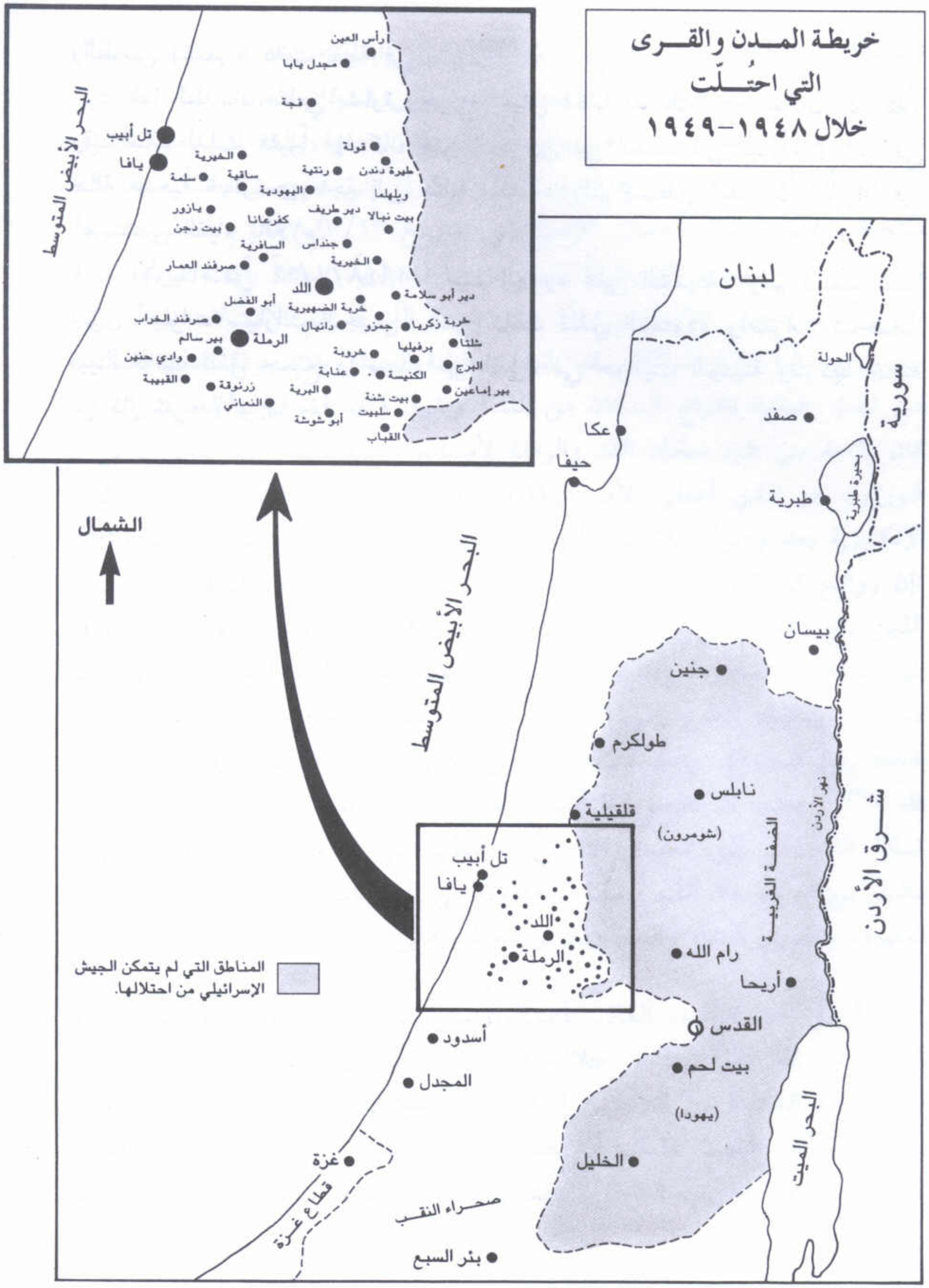
أمّا الطبيبان **سامي بشارة وجورج حبش** فكانا قد طردا مع سكان المدينة، وقد أسفنا لذلك كثيراً، إذ كان عدد الجرحى في المستشفى كبيراً، وكانوا في حالة صحية خطرة وبحاجة إلى عناية مكثفة، ولم يستطع الطبيبان الباقيان في المستشفى القيام باللازم.

الأربعاء في ١٩٤٨/٧/١٤، خيم الهدوء على المدينة، ولم نسمع شيئاً سوى أصوات سيارات الجيش، التي كانت تنقل الجنود، وأصوات شاحنات كبيرة كانت تنقل جميع ما تجده من المؤن في حوانيت المدينة وتتركها خالية من كل شيء وأبوابها مفتوحة.

---

(٨٩) المصدر نفسه، ص ٤٠٧.

خريطة المدن والقرى التي احتُلّت خلال ١٩٤٨-١٩٤٩



المصدر: Benny Morris, *The Birth of the Palestinian Refugee Problem, 1947 - 1949* (Cambridge, England: Cambridge University Press, 1987). [بتصرف]

وهذه الخريطة لا تتضمن القرى أو الخرب الصغيرة، ولا مضارب البدو.

قائمة بأسماء المدن والقرى
التي احتلت وتواريخ احتلالها

الاسم	التاريخ	الاسم	التاريخ
يافا	٤٨/٥/١٤	خربة الضهيرية	٤٨/٧/١٠
رأس العين	٤٨/٧/١٣	جمزو	٤٨/٧/١٠
مجدل يابا	٤٨/٧/١٣	خربة زكريا	١٢ ـ ٤٨/٧/١٣
فجة	٤٨/٥/١٥	دانيال	٤٨/٧/١٠ (المؤلف)
سلمة	٤٨/٤/٢٥	أبو الفضل	٤٨/٥/٩
الخيرية	٤٨/٤/٢٥	صرفند الخراب	٤٨/٤/٢٠
قولة	٤٨/٧/١٠	شلتا	١٥ ـ ٤٨/٧/١٦
رنتية	٤٨/٧/١٠	البرج	١٥ ـ ٤٨/٧/١٦
اليهودية (العباسية)	٤٨/٤/٢٥	بير إماعين	١٥ ـ ٤٨/٧/١٦
اليهودية ثانياً	٤٨/٧/١٠	بيت شنة	١٥ ـ ٤٨/٧/١٦
ساقية	٤٨/٤/٢٥	سلبيت	١٥ ـ ٤٨/٧/١٦
يازور	٤٨/٥/١	القباب	٤٨/٥/١٥
طيرة دندن	٤٨/٧/١٠	برفيليا	٤٨/٧/١٤
ويلهلما	٤٨/٧/١٠	خروبة	١٢ ـ ٤٨/٧/١٥
كفر عانا	٤٨/٤/٢٥	الكنيسة	٤٨/٧/١٠
بيت دجن	٤٨/٤/٢٥	عنابة	٤٨/٧/١٠
السافرية	٤٨/٥/١٥	البرية	١٠ ـ ٤٨/٧/١٣
دير طريف	٤٨/٧/١٠	أبو شوشة	٤٨/٥/١٤
بيت نبالا	٤٨/٧/١٣	النعاني	٤٨/٥/١٤
جنداس	٤٨/٧/١١	بير سالم	٤٨/٥/٩
الخيرية	٤٨/٧/١٢	وادي حنين	٤٨/٤/١٧
صرفند العمار	؟	زرنوقة	٢٧ ـ ٤٨/٥/٢٨
اللد	١٠ ـ ٤٨/٧/١٣	القبيبة	٢٧ ـ ٤٨/٥/٢٨
الرملة	١٠ ـ ٤٨/٧/١٣	المزيرعة	٤٨/٧/١٠ (المؤلف)
دير أبو سلامة	٤٨/٧/١٣	الحديثة	٤٨/٧/١٠ (المؤلف)

الفصل الرابع
الحياة في اللد بعد الاحتلال

بعد الاحتلال قمنا (من بقي من سكان المدينة) بتفقّد بعضنا بعضاً لمعرفة عدد الباقين وأماكن وجودهم. أقام نحو ٢٠٠ شخص بالجامع الكبير و١٠٠ شخص آخرين بكنيسة القديس سان جورج الأرثوذكسية وفي الدير التابع لها. كما كان في مبني المستشفى نحو ١٥٠ شخصاً، وهم الجرحى والأطباء، والممرضات والممرضون، والعاملون الآخرون. كما سكن نحو ٥٠ شخصاً آخرين في بعض المنازل الملاصقة للجامع والدير، أي أن عدد الباقين الإجمالي بلغ نحو ٥٠٣ أشخاص، معظمهم من النساء والأطفال والمسنين بالإضافة إلى الجرحى. قام الجنود بنصب أسلاك شائكة حول منطقة الجامع والكنيسة والمستشفى، التي بلغ طولها نحو ١٥٠ متراً وعرضها نحو ١٠٠ متر، ولها بوابة واحدة يحرسها عدد من الجنود المسلحين، الذين منعونا من الخروج من المنطقة بتاتاً. في ساعات الظهر جاء بعض الجنود لمعرفة عددنا في هذه المنطقة الصغيرة، فطلبنا منهم تبليغ الضابط المسؤول بأن عدد الموجودين هنا نحو ٥٠٣ أشخاص وهم من دون ماء أو غذاء، فماذا نفعل؟ حضر إلينا شخص في ملابس مدنية، وأخبرنا أنه الضابط المسؤول عن المدينة وعن الموجودين فيها، وقام بتفقد السكان الباقين.

أولاً: تأليف لجنة محلية
لسكان حيّنا الصغير

نظراً إلى صعوبة الحالة والخوف والقلق على مصيرنا وما سيحدث لنا وكيف سنعيش ومن أين، اضطررنا إلى اختيار لجنة تمثل السكان الباقين في حي الجامع والكنيسة، تكونت من: (١) إيليا شبيطة وهو من سكان يافا؛ (٢) الحاج إبراهيم حمزة، رئيس لجنة الإسعاف وهو من اللد؛ (٣) الحاج مصطفى النقيب من اللد؛ (٤) مصطفى نوفل عن سكان قريتي صرفند العمار

وصرفند الخراب. واختارت اللجنة إيليا شبيطة رئيساً لها. بدأت اللجنة عملها وخصوصاً تمثيل السكان أمام الحاكم العسكري للمدينة والمنطقة وأعلمته بتأليف اللجنة وبمهماتها. ومع هذا كان السكان يجتمعون كل مساء بعد انتهاء أعمالهم التي أُوكلت إليهم ويتحادثون ويناقشون كيفية حل المشكلات التي تواجههم.

قامت اللجنة على الفور بتوزيع الأعمال الضرورية اللازمة على جميع القادرين على العمل رجالاً ونساءً. وهذه الأعمال هي: تعيين ممرضات وممرضين للعناية بالجرحى والمرضى في المستشفى الذي كان بإدارة الطبيبين نجيب أبو جودة ومصطفى الزحلان؛ تخصيص أربع نساء للمحافظة على نظافة المستشفى، وشخصين للمطبخ، وثلاثة أشخاص للحفاظ على نظافة الحي؛ تكليف شخصين لخبز الخبز في الفرن القريب منا، وسبع نساء لعجن الخبز لجميع السكان، وشخصٍ واحد يكون مسؤولاً عن مخزن المؤن وتوزيعها على السكان بحسب أعدادهم. ومما يذكر أن سكان حيّنا لم يكوّنوا عائلات كاملة، إنما كانوا أفراداً من العائلة، جاؤوا من أماكن مختلفة: يافا، والسافرية، وصرفند، والساقية، وكفر عانا، وبيت دجن وطبعاً من اللد. إن المآسي والمصائب التي مرت علينا جعلتنا جميعاً عائلة واحدة، آباء وأمهات، إخوة وأخوات، وانهارت الفوارق، لا مسلم ولا مسيحي، لا لداوي ولا لاجىء، جميعنا يشعر بخطورة الأوضاع وبالمسؤولية، ونتعاون معاً وبتفاهم تام.

بدأ الجميع مزاولة أعماله بحسب قرارات اللجنة بجدية تامة. وبحثت اللجنة قضية نفاذ المؤن في المخزن، ونفاذ الماء في بركة الوضوء في الجامع الكبير التي كانت مصدر الماء الوحيد لجميع السكان، وكيفية تدبير هذه الأمور الأساسية. حضر الضابط الإسرائيلي المسؤول عن المدينة، ومعه بعض الجنود حاملاً كمية من المعلبات والمؤن المختلفة التي لا تكفي ولا تغني عن جوع، وقال إن هذا كل ما أمكنه إحضاره من المؤن المخصصة للجنود، وأن لا حل عنده بعد هذا. ومن الجدير بالذكر أن الأوامر التي أصدرتها قيادة الجيش الإسرائيلي إلى قيادة عملية داني كانت تقضي بتحذير السكان[1] الباقين في جميع الأماكن التي يتم احتلالها، من أن الجيش الإسرائيلي ليس مسؤولاً عن سلامة السكان ولا عن إطعامهم. طلبت اللجنة من ضابط المدينة السماح لبعض

---

(١) موريس، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧٩، نقلاً عن أورن، «البلماح»، ص ٣ و ١٤٢. أصدر دافيد بن ـ غوريون هذه الأوامر إلى قيادة عمليات الجيش الإسرائيلي، ومنها إلى قيادة عملية داني وكان ذلك في الحادية عشرة والنصف قبل منتصف الليل بتاريخ ١٢/٧/١٩٤٨.

الممرضين بالتجول في بيوت المدينة بحثاً عن مؤن غذائية قد تكون مخزونة في البيوت المفتوحة، والتي لا يوجد فيها أحد، وذلك لإطعام الموجودين ومعظمهم أطفال ونساء وجرحى. وافق الضابط على ذلك واشترط أن يحمل هؤلاء الممرضون إشارات الصليب الأحمر على أذرعهم، وأن يتجولوا في بيوت البلدة القديمة المجاورة فقط لحي الجامع والكنيسة. سرّ الجميع من موافقة الضابط، لعلمهم أن جميع بيوت المدينة مليئة بالأغذية المخزنة لحالات الطوارىء. توجه عدد من الممرضين ومعهم حمالة للجرحى ملأوها بالمواد الغذائية، وسلموها إلى المسؤول عن المخزن، وتكررت هذه العملية عدة مرات في اليوم نفسه. تنفس الجميع الصعداء للتأكد أن مشكلة الطعام قد حُلت. عثرنا في أثناء تجوالنا في بيوت البلدة القديمة على بعض المسنين في بيوتهم، الذين لم يغادروها بسبب حالتهم الصحية. كنّا نرسل إليهم كل يوم وجبة طعام مطهية، في مطبخ المستشفى. وبعد أن حلت مشكلة نقص الغذاء جاء دور الماء، إذ أخذ الماء الموجود في بركة الجامع ينفد بسرعة على الرغم من توزيعه بالحصص. وبدأ الناس يقلقون ويتشاورون في كيفية حل هذه المشكلة التي تعتبر أخطر من مشكلة نقص الغذاء. وإذ تذكر أحدنا أن في بناية المستشفى بركة خارجية تحت الأرض تتجمع فيها مياه الأمطار من على سطح البناية. بحثنا عنها فوجدناها في حديقة المستشفى، ولم تكن تستعمل منذ عدة سنوات. كان نصفها مليئاً بالماء غير النقي ومكسواً بطبقة سميكة من الطحلب الأخضر. وبما أنه لا يوجد لدينا ماء غيره أشار علينا الأطباء بغلي الماء وتصفيته جيداً قبل استعماله. وقررت اللجنة التوجه إلى ضابط المدينة كي تعلمه بنقص المياه الخطر الذي نعانيه جميعاً، كما قررت توزيع المؤن يومياً على السكان بالحصص بحسب عدد الأفراد، فضلاً عن توزيع رغيفين من الخبز يومياً لكل شخص. ولهذا كان الجميع يطبخ النوع نفسه الذي كانت توزعه اللجنة في ذلك النهار مجاناً.

صباح الجمعة ١٦/٧/١٩٤٨، حضر ضابط المدينة موشيه، إلى باب الجامع الكبير، ومعه عدد من الجنود وأطلق عدة عيارات نارية في الهواء، وطلب من اللجنة استدعاء جميع رجال حيّنا الصغير. حضرنا خائفين. ماذا يريدون منا ولماذا يطلقون عيارات نارية في الهواء؟ تجمعنا في الساحة أمام الجامع الكبير، ثم قسمونا إلى فرق صغيرة، تكوّنت كل فرقة من خمسة أشخاص. قال الضابط إنه سيأخذ هؤلاء الأشخاص لأداء أعمال ضرورية، وخصوصاً جمع جثث الموتى المبعثرة في كل مكان في المدينة لدفنها، ولغيرها من الأعمال. وأضاف أنه سيحضر بعض الجنود كل يوم في الصباح لأخذهم

وتوزيعهم للقيام بتلك الأعمال الضرورية، وسيطلق الجنود ثلاثة عيارات نارية في الهواء ليتأكد السكان أن الضابط المسؤول هو الذي أرسلهم. تم توزيع هذه الفرق على النحو التالي: فرقتان لجمع الجثث ودفنها، وفرقة للقيام بتنظيف مقر القيادة العسكرية التي اختير لها بيت **حسن دهمش**، وهو بيت كبير بني حديثاً، وبيت **سعيد الهنيدي** الذي يقع في مقابله. كما خُصصت فرقتان لنقل المواد الغذائية من المخازن والحوانيت وتحميلها على سيارات شحن كبيرة لنقلها إلى مدينة تل أبيب. انتشرت روائح كريهة في أجواء المدينة، وتكاثر الذباب، وذلك بسبب تعفن جثث الشهداء، الملقاة في الشوارع وعلى الأرصفة وفي الأزقة. كان الجو حاراً جداً، والشمس حارقة، إذ كنا في تموز/يوليو، وهو أوج الصيف. كنّا ندفن الجثث في قبور جماعية وليس دائماً في المقابر، التي كانت بعيدة، ولم يسمح لنا الجنود بحمل الجثث مسافة بعيدة.(٢) كان هذا العمل شاقاً ومؤلماً جداً، فضلاً عن الروائح الكريهة المنبعثة من الجثث. كان الأسى والحزن يعصران قلوبنا، ونحن نرفع تلك الجثث، التي كانت لأناس نعرفهم ومنهم أصدقاؤنا أو أقاربنا.

اشتدت أزمة نقص المياه وكان ما بقي منها في قاع بركة مياه الأمطار عكراً جداً، ذا رائحة كريهة لا يصلح بتاتاً للشرب ولا للاستعمالات المنزلية الأُخرى. توجهت اللجنة إلى ضابط المدينة وبلغته أن المياه في منطقتنا شحّت، وما بقي منها لا يكاد يكفي ليوم واحد فقط. كان جواب الضابط المسؤول أن لا حل عنده لهذه المشكلة. هنا أخبره **الحاج إبراهيم حمزة** أن له بيارة قريبة نسبياً من الجامع، وفيها محرك ومضخة، ويمكننا أن نستعملهما، وقد وجدنا عدداً من براميل النفط الفارغة، التي يمكن تنظيفها وملؤها بالماء، ثم تتم دحرجتها إلى الحي الذي نقيم به. وافق الضابط على ذلك بعد أن اتصل هاتفياً بقيادته، وأعطانا تصريحاً لمرة واحدة في اليوم. قمنا فوراً بجمع البراميل الكبيرة ذات الأطواق، وعددها ١١ برميلاً، ودحرجناها إلى البيارة، كي نقوم بغسلها وتعبئتها بالماء، فوجدنا أن بعض قطع المحرك المهمة أخذت أو سرقت من مكانها ولا يمكننا تشغيله. فما العمل؟ توجهت اللجنة ثانية إلى ضابط المدينة وطلبت منه السماح لشخصين مختصين بهذا العمل بالذهاب إلى البيارات الأُخرى، وهي بعيدة، عسى أن يجدا قطعاً بديلة تمكننا من تشغيل

(٢) بعد ذلك أحضروا سيارة شحن عسكرية كنا نحمّلها بالجثث ولا نعرف إلى أين كانوا يأخذونها. (المؤلف)

المحرك والمضخة. فوافق على ذلك طالباً أن يحمل الشخصان شارة الصليب الأحمر على ذراعيهما. كما بلّغ اللجنة أنه غير مسؤول عن سلامتهما، ولا يمكنه إرسال جنود لمرافقتهما في أثناء تجوالهما في البيارات. وافقت اللجنة على ذلك، إذ لم تبق نقطة ماء واحدة صالحة للشرب أو حتى للاستعمال، ولا وقت للتشاور أو البحث، فهناك عدد كبير من الأطفال بالإضافة إلى نحو ١٥٠ مصاباً في المستشفى الذي أصبحت حالة النظافة فيه لا تطاق. أخبرت اللجنة الشخصين المنوي إرسالهما بما قاله الضابط، فوافقا على تحمل تلك المخاطرة من أجل إنقاذ حياة المئات الذين أصبحوا بلا ماء. وفي ساعات بعد الظهر رجع الاثنان ومعهما القطع المفقودة ووضعاها في المحرك و. . . خرج الماء بقوة. فرحنا جميعاً بذلك. تم غسل البراميل جيداً وملئت بالمياه النظيفة العذبة، واغتسل كل من حضر، إذ لم يغتسل أي إنسان من الذين بقوا في المدينة منذ عدة أيام قبل الاحتلال حتى هذا اليوم. دحرجنا البراميل من البيارة حتى الحي، وكانت مهمة صعبة للغاية، فالبراميل المملوءة ثقيلة جداً، ولم تكن الطريق كلها معبّدة. ومع هذا كنا نعمل ونحن مسروورون جداً، لوجود المياه العذبة النظيفة. تكررت هذه العملية يومياً.

هنا لا بد من أن أشيد بتصرف جميع من بقي في المدينة، وأن علاقتهم ببعضهم بعضاً كانت علاقة أخوية. عمل الجميع، من رجال ونساء، بتعاون تام، كما ساد بينهم شعور القربى والمسؤولية تجاه بعضهم بعضاً. لا خلافات، ولا حساسيات بتاتاً، بل كنّا نشعر كأننا عائلة كبيرة واحدة. وهذا ما أعطانا شعوراً أكثر بالأمان والطمأنينة تجاه بعضنا بعضاً وخفف بعض الشيء من المآسي والمصائب التي كنا نعانيها.

صباح السبت ١٩٤٨/٧/١٧، وهو اليوم السابع للاحتلال، حضر الجنود لأخذ الأشخاص الذين عملوا معهم بالأمس، وطلبوا من اللجنة زيادة عدد الرجال، فهم في حاجة إليهم للعمل على إزالة حواجز الطرق الكثيرة، التي وضعت في أثناء القتال. ما كان على اللجنة إلاّ أن تستجيب لطلبهم، وأصبح عددنا نحو ٣٥ شخصاً. علمنا في هذا اليوم أنه يوجد سكان عرب آخرون من المدينة في حي المحطة، عندما سأل ضابط كبير اللجنة عن وجود أشخاص بيننا عملوا في السابق في سكة الحديد أو في ورشة الصيانة[٣] التابعة لها، وعن

(٣) وقد أخذوا أخي الياس منير الذي كان مسؤولاً عن مخزن ورشة صيانة القطارات، وأسكنوه بيتاً من بيوت دائرة سكة الحديد. (المؤلف)

وجود سائقي القطارات، كي تنقلهم القيادة إلى حي المحطة، وتسكنهم بين أهلهم هناك وتضمن سلامتهم. ثم علمنا أن القيادة العسكرية أصدرت أمرها بعدم طرد سكان ذلك الحي، الذين عمل معظمهم في سكة الحديد، وخصوصاً سائقي القطارات، إذ كانت تريد تجديد حركة القطارات، وتحتاج إلى جميع من كان يعمل في تلك المصلحة. سررنا جداً بوجود عدد من أهلنا في حي المحطة وأنهم لم يطردوا. طلبت اللجنة من ضابط المدينة السماح لبعض الأشخاص بالذهاب إلى حي المحطة لمعرفة من بقي هناك من أهلنا. رفض الضابط المسؤول طلب اللجنة بحجة الأمن.

كان برنامج عملنا اليومي صعباً، إذ أخذ الجيش معظم الشباب للعمل، إمّا لدفن الجثث، وإمّا لتنظيف مقر الحاكم العسكري ومكاتبه، ونقل المواد الغذائية من المخازن والحوانيت وتحميلها على الشاحنات، والتي لم يكن لنا منها نصيب، وإمّا لرفع حواجز الطرق وغيرها من الأعمال الشاقة، وكان العمل يستمر حتى ساعات بعد العصر.

كانت مهمة جمع الجثث ودفنها من أصعب وأمقت المهمات، فضلاً عن مشاعر الحزن والألم التي كنا نعانيها عند رؤية أبناء بلدنا وأصدقائنا جثثاً هامدة مبعثرة في كل مكان. البعض منا تقيأ، والبعض الآخر أصيب بالغثيان، ولكن ما العمل؟! فواجبُنا أن نجمعها وندفنها. في هذا اليوم جمعت الفرقة، التي أُوكل إليها البحث عن المؤن، كمية لا بأس بها من المواد الغذائية، تم نقلها بواسطة حمالات الجرحى، ووضعت في غرفة خاصة، استعملت مخزناً للمؤن. شعرنا بالارتياح، فالكميات التي جُمعت كانت تكفي لعدة أيام، إلى أن يفرجها الله علينا. أخبرتنا الفرقة بأنها في أثناء البحث عن مؤن عثرت على عربة نقل جيدة وفي مكان آخر عثرت على حصان لم تتمكن من الإمساك به. وكان في الإمكان الإمساك به بمساعدة عدد آخر من الأشخاص وربطه إلى العربة، الأمر الذي يسهل مهمة نقل المؤن وتحميلها.

يوم الأحد ١٩٤٨/٧/١٨، بدأنا أسبوعنا الثاني في ظل الخوف والقلق، مما سيأتي به هذا الأسبوع، إذ لم نكن نعرف مصيرنا، هل سنبقى أو سنرحل؟ هل حياتنا في أمان؟ وماذا سيحدث بعد نفاد المواد الغذائية التي جُمعت من بيوت المدينة القديمة، وخصوصاً أن الحاكم العسكري أخبرنا بأنه لن يتمكن من تزويدنا بالمواد الغذائية، فالبلاد كلها تعاني نقصاً.

ثانياً: صراع البقاء

لم نجد أجوبة لهذه الأسئلة، التي كانت دائماً مدار حديثنا ومشاوراتنا، والجميع قلق خائف. كنا ننام على الأرض وبعضنا على فرش، كل أربعة أشخاص على فرشة واحدة أو حرام (بطانية). لم يسمح لنا الحاكم العسكري بالذهاب إلى بيوتنا لإحضار بعض الفرش والملابس. كنا ننام قليلاً في الليل، خوفاً من أن يفاجئنا الجنود في أثناء نومنا، وكنا نقفز من نومنا عند سماع أي صوت. كان وضعنا لا يطاق.

ومثل كل يوم، حضر الجنود لأخذنا لإكمال الأعمال التي فرضها الجيش علينا، وطلبوا أربعة أشخاص أكثر من أجل تأليف فرقة ثالثة لجمع الجثث ودفنها، بسبب كثرتها وتعفنها من شدة الحر، وبسبب الرائحة الكريهة المنبعثة منها، والتي ملأت جو المدينة. أخذنا معنا قطعاً من القماش، وضعناها على أنوفنا كي نتمكن من الاقتراب من الجثث وحملها. ومع هذا لم نتمكن من جمع عدد كبير منها ودفنها من شدة الرائحة الكريهة، وكم من مرة نهرنا الجنود لإتمام العمل بسرعة. وقد أخبرنا الجندي المسؤول عن حراستنا، بأنه سيطالب ضابط المدينة بإيجاد حل لهذه المشكلة. لا زالت سيارات الشحن تحمل المؤن من مخازن المدينة إلى تل أبيب. وكما ذكرنا سابقاً، فإن تجار المدينة قاموا بتخزين المؤن بكميات كبيرة جداً لتكفي حاجات جميع السكان ستة أشهر على الأقل، بحسب تعليمات اللجنة القومية في المدينة، خوفاً من تطويق المدينة وحصارها. لذلك وعلى الرغم من مرور أسبوع كامل على بدء تفريغ تلك المخازن، فلا تزال هناك كميات كبيرة، وكانت سيارات الشحن تكرر عمليات النقل هذه عدة مرات يومياً. وتنقل تلك الكميات الهائلة إلى مخازن الجيش الإسرائيلي ونحن محرومون منها.

كما في الأيام السابقة، خرجت هذا اليوم أيضاً جماعتان من الرجال للبحث عن المؤن في بيوت البلدة القديمة. نجح الرجال في الإمساك بحصان كان يتجول في الأزقة وربطوه إلى عربة نقل وجدوها بالأمس، وأصبح في الإمكان جمع كميات أكبر من الأيام السابقة. تكوّن معظم تلك المواد الغذائية من: الحبوب، والأرز، والعدس، والفاصوليا، والفول، والحمص، والسكر، والحلاوة، والطحينة، والتمر، والبن، والزيت، والزيتون، والملح والجبنة. كل شيء ما عدا اللحم والبيض والحليب والخضروات، أي المواد التي لا يمكن تخزينها. امتلأ المخزن... فشعرنا جميعاً بالارتياح، ولم تعد مشكلة المؤن

تقلقنا لأسبوعين قادمين. أمّا المشكلة الصعبة فكانت مشكلة نقل المياه، إذ كانت دحرجة ١١ برميلاً من الحجم الكبير مرتين يومياً من البيارة التي تبعد عنا نحو ٨٠٠ متر، مهمة صعبة. المرة الأُولى في الصباح الباكر قبل ذهابنا إلى العمل، والمرة الثانية بعد انتهاء العمل. وجدنا في أثناء تجوالنا، في البلدة القديمة، لجمع المؤن، عدداً آخر من المسنين كانوا مختبئين داخل البيوت وعلى سطوحها خوفاً من أن يقتلهم جنود الجيش، لكن عندما سمعونا نتكلم العربية، أظهروا أنفسهم وعندما عرفونا أجهشوا بالبكاء. أحضرناهم جميعاً وأسكناهم في حيّنا، وكانوا نحو ٣٠ مسناً. شعرنا بحاجة ماسة إلى الحليب لعدد من الأطفال، الذين ساءت صحتهم. لذلك اتصلت اللجنة بالحاكم العسكري وطلبت منه إمدادنا بالحليب، وإذا لم يتمكن، رجته اللجنة الاتصال بالصليب الأحمر لربما زودنا بكمية من الحليب المجفف. استجاب الحاكم لطلبنا، ووعدنا بإرسال كمية من الحليب المجفف في اليوم التالي، وسينظر في إمكان تزويدنا بالحليب بصورة منتظمة. وفي المساء، حضر إلى بعض البيوت القريبة من حدود حيّنا، الذي كان محاطاً بالأسلاك الشائكة، بعض أبناء المدينة الذين طردوا من رام الله، ليبحثوا عن الحلي والنقود التي كانوا قد دفنوها قبل رحيلهم في ساحات بيوتهم أو جُدُرها، وأخبرونا بأنهم عثروا على شخصين عجوزين بحالة صحية ونفسية صعبة في الجهة الشرقية من المدينة قرب مقبرة الروم الأرثوذكس وهما من عائلة الشنودي.

مر الاثنين ١٩٤٨/٧/١٩، مثلما مرت الأيام السابقة. ففي الصباح الباكر ذهبنا إلى البيارة وملأنا البراميل ودحرجناها إلى حيّنا. بعدها حضر الجنود وأخذونا إلى أعمالنا، كما طلب الضابط من اللجنة إرسال عدد أكبر من الرجال لعملية جمع الجثث ودفنها، وأحضر معه عدداً من الكمامات الواقية من الغازات لنتمكن من الاقتراب من الجثث. زاد عدد العاملين في هذه المهمة الصعبة المقيتة على عشرين شخصاً عملوا حتى ساعات الغروب. سهلت الكمامات عملنا بعض الشيء، وتمكنا من جمع عدد أكبر من الجثث. وفي ذلك اليوم استمرت سيارات الشحن في نقل المؤن من المخازن والحوانيت. كما شاهدنا شاحنات أُخرى تجمع أثاث البيوت من خزانات وكراسٍ وماكينات خياطة وأجهزة المذياع، وكل ما هو نافع. ذهب ثلاثة أشخاص لإحضار الرجلين العجوزين من بيتيهما شرقي المدينة خلف مقبرة الروم، ولم يجدوهما في البداية، ثم وجدوهما في الحقول بعيداً عن البيوت. قالا أنهما حينما سمعا وقع أقدام هربا واختبآ خلف شجر الصبار، لكنهما ظهرا عند سماعهما حديث الأشخاص الذين كانوا يبحثون

عنهما، وكانا في حالة صحية سيئة جداً، فقام الأطباء بالاعتناء بهما. وأخبرا أنهما شاهدا داخل المقبرة عدداً من رؤوس البقر ترعى فيها وأن بعضها حلوب. على الفور ذهب عدة أشخاص إلى المقبرة، ونجحوا في القبض على بقرتين حلوبتين وساقوهما إلى الحي. وسرّ الجميع عند رؤيتهما، وشكروا الله على ذلك، إذ كان الأطفال بحاجة ماسة إلى الحليب وقد هزلت أجسامهم. بقيت داخل المقبرة أربعة رؤوس من الأبقار الحلوب، أقفلنا عليهم أبواب المقبرة كي نمسكهم في اليوم التالي، وفعلاً، نجحنا في الإمساك بهم وأحضرناهم إلى حديقة المستشفى. وبذلك تكون مشكلة نقص الحليب قد حُلّت. وقال البعض إن الله سبحانه وتعالى استجاب لبكاء الأطفال، وأرسل لنا الأبقار، لهذا يجب ألاّ نخاف على أنفسنا، فإن الله الذي استجاب لطلباتنا، هو الذي يحمينا. أُوكل إلى شخصين الاعتناء بالأبقار وحلبها، وصار الحليب يوزع على جميع الأطفال بالتساوي، وعلى النساء والمرضى. هكذا عشنا حياة اشتراكية بكل ما في هذه الكلمة من معنى. الجميع يعمل، رجالاً ونساء حتى الأولاد الكبار. الجميع يأكل ويشرب بصورة متساوية، لا غني ولا فقير، لا قوي ولا ضعيف، الجميع إخوة وأخوات تسود بينهم المحبة والمودة، كما لم يكن هناك تعامل بالنقود، لا بيع ولا شراء، والكل يعمل من دون أجر.

مرت الأيام وتوالت مثلها مثل الأيام التي سبقتها، مع فارق بسيط، وهو أن الناس اعتادوا الحياة التعاونية المشتركة، كل شخص يعرف عمله. استمر الجيش في أخذ نحو ٣٠ شخصاً يومياً لدفن جثث الشهداء ولتحميل الشاحنات بالمؤن من المخازن ولرفع حواجز الطرق وللعمل في مقر قيادته في المدينة. عملية دفن الجثث كانت أصعب وأمقت تلك الأعمال التي كانت تزداد صعوبة وتعقيداً، إذ صارت الجثث تتفكك وتتفسخ ولم يعد في الإمكان حملها كجسم واحد، وإنما كأجزاء. وعلى الرغم من لبس الكمامات كانت رائحة الجثث المفسخة تنفذ من خلالها، وكان العمل يسير ببطء شديد. مرض الكثيرون من جراء هذا العمل وأُصيبوا بالحمى. كما أن ضابط المدينة لم يتمكن كل يوم، من تعيين عدد من الجنود (إثنا عشر جندياً) لحراسة الفرق التي كانت تقوم بهذا العمل. لذلك أُمرت الفرق بإنهاء عملها على الرغم من عدم إتمامه. وأخبرنا الجنود[٤] أنه تم إحراق الجثث الباقية، إذ أصبح الذباب منتشراً في المدينة بصورة يصعب

---

(٤) الذين تعرفنا بهم في أثناء مرافقتهم لنا لجمع الجثث، أنهم أُمروا بحرق بقية الجثث التي لم نتمكن من جمعها. (المؤلف)

وصفها. لقد عملت في هذه المهمة أربع فرق طوال شهر تقريباً، ولم تتمكن من إتمامها لكثرتها ولانتشارها، في جميع الأحياء والشوارع وأزقة البلدة القديمة. كانت تُدفن الجثث بصورة جماعية في حفر وخنادق أعدتها البلدية للاختباء في أثناء الغارات الجوية، أو في قبور كبيرة (فستقيات) داخل المقابر. كما انتهت أيضاً عمليات تحميل السيارات بالمؤن وعمليات رفع حواجز الطرق. أمّا عمل فريق البحث عن المؤن داخل البلدة القديمة فبقي مستمراً، وقد جُمعت كميات كبيرة من المؤن المختلفة تكفي لإطعام جميع من بقي في المدينة، وقارب عددهم ٥٠٠ نسمة، عدة أسابيع. كما تم العثور على بعض رؤوس الماعز والأغنام الضالة، فأحضرت إلى الحي، وكانت تذبح وتوزع على العائلات بحسب عدد أفرادها. وكذلك الدجاج، فقد كنا نجمعه ونحتفظ به إلى أن تجمعت كمية كافية، ثم تقوم النساء بذبحه وتنظيفه، ويوزع على السكان بالتساوي. ومن الجدير بالذكر أن قوات الجيش الإسرائيلي كانت قد استولت على جميع قطعان الغنم والبقر ونقلتها بالشاحنات إلى مخازنها، وأن ما كنا نمسكه من الأغنام كانت ضالة تجول في شوارع البلدة القديمة بصورة متفرقة. أمّا الخضروات والفواكه فكانت معدومة عندنا، على الرغم من وجودها بكثرة في حقول المدينة وبساتينها، فقد كان محظوراً علينا الخروج من الحي الصغير الذي حشرنا فيه الجيش، وكان محاطاً بالأسلاك الشائكة والجنود. وقد أُطلق عليه اسم «غيتو وارسو».(٥)

ثالثاً: عملية اعتقال عدد من الرجال

بعد ما يزيد على الشهر، ونحن على الحال الذي ذكرت، وبعد أن أنهى الرجال جميع الأعمال التي فرضها عليهم الجيش، واعتقدنا أن عمالة الذل والألم والإهانة قد انتهت، إذ بقوات من الجيش تطوق حيّنا، وكان يدعى حي السكنة، في الفجر وتأمرنا جميعاً رجالاً ونساءً وأطفالاً بالخروج والتجمع في ساحة أمام الجامع الكبير. لم نعرف سبب هذا الإجراء الشاذ، ولا ماذا يريدون منا. استولى علينا شعور الخوف والرعب، الذي خفّت وطأته عنا بعض الشيء

---

(٥) غيتو وارسو اسم معسكر أقامه النازيون في أثناء الحرب العالمية الثانية للمعتقلين اليهود في وارسو عاصمة بولندا في أوروبا الشرقية. أمّا نحن فدعوناه حي السكنة.

بعد انتهاء المعارك. هل سيقتلوننا أم سيطردوننا مثلما طردوا أهلنا من قبل؟ لا أحد يعرف ماذا سيحدث. الرجال واجمون، النساء يرتعدن خوفاً ويحاولن إسكات أطفالهن عن البكاء. بعد أن تجمعنا جميعاً في الساحة، قام الجنود بتفتيش منازلنا بحثاً عن أسلحة أو متسللين، كما ادعوا. وعندما انتهوا من عمليات التفتيش ولم يعثروا على شيء، طلبوا من جميع الرجال الوقوف في زاوية واحدة بعيداً عن النساء والأطفال. ثم قاموا بأخذ ١١ رجلاً منهم، وساقوهم في صف ولم نعرف إلى أين! فالضابط المسؤول والحاكم العسكري لم يخبرانا لماذا أخذهم الجنود وإلى أين! وماذا سيكون مصيرهم! أخذ الجميع في الصراخ والعويل من رجال وأطفال ونساء كأننا نسير في جنازة. غادر الجنود الساحة ومعهم الشباب، وغابوا عن الأنظار، لكن صراخ الأهالي كان يشق عنان السماء، سائلين الله سبحانه وتعالى أن يحفظ أعزاءهم، إذ اعتقدنا أن الجيش سيقتل هؤلاء الشباب. بقينا جميعاً واجمين. وعاد إلينا شعور الخوف وعدم الأمان، كيف لا والمصير مجهول، وأمضينا النهار كله، حتى منتصف الليل، ولم يقدر أحد أن ينام سوى الأطفال. اتفق الجميع على أن يذهب أعضاء اللجنة[٦] في الصباح لمقابلة حاكم المنطقة العسكري في الرملة للاستفسار عن مصير هؤلاء ولنقل شعور الخوف والقلق لدى سكان حي «السكنة» الذين يريدون معرفة مخططات الحاكم العسكري نحوهم.

خيّم شعور الحزن والأسى على الجميع، وكانوا يتساءلون، هل نهرب ونرحل؟ لكن أخبار أهالينا الذين طردوا إلى منطقة رام الله ومآسيهم وشح المواد الغذائية هناك جعلتنا نتريث وننتظر رحمة الله. والحياة يجب أن تستمر. في غداة ذلك اليوم المشؤوم وصل ضابط المدينة وأخبر الأهالي بأن الشباب أُخذوا إلى معسكرات الاعتقال ولا خوف عليهم. طلبت اللجنة منه قائمة بأسمائهم وأماكن اعتقالهم، فوعد بتلبية طلبهم في الوقت القريب، وطمأنهم على مصيرهم. شعر الجميع بالارتياح وهانت المصيبة عليهم. اجتمعت اللجنة وأعادت تنظيم الأعمال اليومية على الأهالي بعد اعتقال الشباب، وصار المسنون القادرون يعملون، وكانت عملية إحضار المياه بالبراميل من أصعب تلك الأعمال.

على الرغم من مرور نحو شهر ونصف شهر على وجودنا في حي السكنة الصغير، لم يسمح لأحد منا بالذهاب إلى بيته لإحضار بعض الفرش والملابس،

---

(٦) حصلوا قبل أسبوع على تصريح يخولهم السفر إلى مقر الحاكم العسكري للمنطقة في مدينة الرملة.

التي كنّا في أمس الحاجة إليها. كما لم يسمح لنا بزيارة أهالينا في حي المحطة على الرغم من طلباتنا المتكررة.

رابعاً: العثور على جثتي طفلين صغيرين في سريريهما

في أثناء تجوالنا للبحث عن الأغذية في بيوت البلدة القديمة، عثرنا على جثتي طفلين في بيتين منفردين، وكانا في سريريهما. كانت الجثتان في حالة تفسخ تام، والظاهر أن والدتيهما نسيتاهما بسبب الهلع والخوف وهربتا. اقشعرت أبداننا، ووقف شعر رؤوسنا لمشاهدتهما جثتين هامدتين راقدتين في سريريهما. لم نصدق ما تراه أعيننا. لم نتمكن من استيعاب كيف تركتاهما والدتيهما وهربتا. لقد شاهدنا مناظر كثيرة، كيف كان الأهالي يهربون من الموت تاركين أفراد عائلاتهم من نساء وأولاد وبنات، وكانوا يمرون بجثث أقربائهم ولا يسألون. عشنا فترات عصيبة يصعب وصفها، لكن لم يدر في خلدنا أن نعثر على جثتي طفلين بريئين في سريريهما. لم نتمكن من تصوّر ما حدث لوالدتيهما حتى أجبرتا على تركهما، أو أنهما ربما قتلتا!

قمنا بدفن الجثتين في ساحتي بيتيهما، رجعنا ولم نتمكن من الاستمرار في عملنا ذلك النهار، إن ما حلّ بالمدينة وبأهلها وباللاجئين الذين وفدوا واجتمعوا فيها، يصعب تصوره. لقد كانت كارثة رهيبة ومأساة مفزعة حلّت بهم، من دون ذنب اقترفوه، اللهم إلاّ إذا كان الدفاع عن العائلة والأولاد، عن البيت وعن النفس هو الجريمة.

مرت أسابيع كثيرة، ولم يسمح لنا بزيارة إخواننا في حي المحطة الذي يبعد عنا نحو ٢ كلم على الرغم من طلبات اللجنة المتكررة للحاكم العسكري في هذا الشأن. كنا متشوقين لمعرفة من هم، وكم عددهم؟ وكيف حالهم؟ وبعد نحو ٣ أشهر سُمح لوفد يمثل سكان الحي بالذهاب إلى حي المحطة في سيارة عسكرية، والبقاء هناك مدة لا تزيد على ساعة ونصف ساعة. ذهب منا أربعة أشخاص وسروا برؤية إخواننا هناك، وتبين أن عددهم يقارب عددنا، أي نحو ٥٠٠ نسمة، وأنهم ألّفوا لجنة تمثلهم أمام السلطات برئاسة جورج قسيس، الذي كان يعمل مديراً لإحدى دوائر سكة الحديد. علم وفد حي السكنة أن سلطات الجيش الإسرائيلي أبقتهم في حيّهم، وكان معظمهم سائقي قطارات ومعاونين وعمال صيانة القطارات وخطوط سكة الحديد، لتسيير القطارات وتشغيل المحطة

للأغراض العسكرية. كان الجيش يمدهم بالمواد الغذائية اللازمة، على العكس منا. استفسروا عنّا، من نحن؟ وكم عددنا؟ وكيف حالنا؟ كما طمأنونا عن أحوالهم.

بعد نحو ثلاثة أشهر ونصف شهر على الاحتلال، سمح لنا بالذهاب إلى بيوتنا لإحضار بعض الألبسة والفرش، إذ كنا في فصل الخريف، ودرجة الحرارة بدأت تتدنى عمّا كانت عليه وقت الاحتلال. وكم كانت دهشتنا كبيرة، عندما وصل كلّ منا إلى بيته، ولم نجد في البيوت شيئاً له قيمة أو نفع، لا أثاث ولا فرش، لا أدوات مطبخ ولا سجّاد. وجدناها فارغة تقريباً إلاّ من بعض الألبسة والفرش القديمة. حملنا بعضها، لحاجتنا الماسة إليها. لقد سرقت جميع محتويات البيوت في المدينة ولا ندري إلى أين، على الرغم من بقائنا في مدينتنا. لم يسمحوا لنا بالذهاب إلى منازلنا طوال هذه الفترة حتى أفرغوها من محتوياتها. ونحن محصورون في منطقة الجامع والكنيسة، محاطون بالأسلاك الشائكة، وعلينا حراسة مشددة وجنود قساة غلاظ القلوب يتعمدون إذلالنا وإهانتنا.

كان يفد إلينا، من وقت إلى آخر، أفراد وعائلات كانوا مختبئين في الحقول وبيارات البرتقال حول المدينة، وزاد عددنا وصرنا نحو ٦٠٠ نسمة. سررنا بقدومهم، وخصوصاً عند إحضارهم بعض الخضروات والفواكه، التي لم نأكلها منذ بدء الاحتلال.

خامساً: عملية اعتقال ثانية

بعد نحو أربعة أشهر من الاحتلال حضر إلى حيّنا، «السكنة»، الحاكم العسكري للمنطقة، ومعه عدد من الضباط وعدد كبير من الجنود، وأمر الجميع بترك بيوتهم والتجمع في الساحة في مقابل الجامع كي يتمكن الجنود من تفتيش بيوتنا بحثاً عن الأسلحة والمتسللين. خرجنا جميعاً إلى الساحة، وقام الجنود بتفتيش البيوت، ولم يعثروا على شيء، لا أسلحة ولا متسللين. بعدها قاموا بانتقاء ٣٢ رجلاً وفتى وساقوهم تحت حراسة مشددة وسط صراخ الأهالي الذي لم يجد نفعاً. أخبر الحاكم العسكري أعضاء اللجنة أن هؤلاء الرجال سيرسلون إلى معسكرات الاعتقال في صرفند، وأن لا خوف على حياتهم.

عاوَدَنا شعور الخوف والقلق بعد أن كان قد خفّ بعض الشيء، وأصبحنا لا نعرف ماذا سيحل بنا وبأبنائنا وإخواننا الذين أُخذوا في المرة الأولى وفي هذه

المرة أيضاً. كنا نتساءل: هل هم أسرى حقاً؟ أم غير ذلك. وكيف يعاملون؟ هل سنبقى نحن في اللد أم لا؟ أسئلة مخيفة محيّرة لا نعرف الإجابة عنها، ولكنها سيطرت على تفكيرنا.

مرت علينا خمسة أشهر، ودخلنا فصل الشتاء، وأصبحت حياتنا روتينية. الجميع يعمل، كل في عمله. وقد تم شفاء بعض الجرحى، كما توفي البعض الآخر، والأدوية في نقص مستمر، وهناك حاجة ماسة جداً إلى بعضها. توجهت اللجنة، ومعها الدكتور **مصطفى الزحلان**، الطبيب المسؤول عن المستشفى، إلى الحاكم العسكري وأخبروه بنقص بعض أنواع الأدوية بصورة خطرة، وطلبوا منه تدبير هذا الأمر، أو الاتصال بمنظمة الصليب الأحمر، والطلب منها إرسال هذه الأدوية على عجل. فوعد بالاتصال بالضابط العسكري المسؤول عن الصحة كي يرسل كمية كافية من تلك الأدوية، كما وعدنا بالعمل على تدبير مسألة الجرحى والمرضى في المستشفى بصورة جدية. وفي اليوم التالي جاء إلى المستشفى ضابط الصحة يرافقه طبيب يهودي، وأحضرا معهما بعض الأدوية واستفسرا عن عدد الجرحى وحالتهم الصحية، كما تفقدا المستشفى والجرحى فيه، واستفسرا أيضاً عن عدد الممرضين والممرضات والأطباء، وعن نظام سير العمل فيه. ووعدا بإيجاد حل جذري لقضية المستشفى. بعد عدة أسابيع تبلغت لجنة حي السكنة، أن ضابط الصحة المسؤول عن هذه المنطقة، قرر نقل جميع الجرحى والمرضى الموجودين في المستشفى المحلي إلى المستشفى الحكومي في يافا، الذي استمر في العمل بعد احتلال المدينة. وبعد عدة أيام وصلت عدة سيارات إسعاف، وقامت بنقل جميع نزلاء المستشفى المحلي، ما عدا بعض الجرحي الذين تحسنت حالتهم الصحية والذين فضلوا البقاء في المدينة بين أهلهم وأصدقائهم.

سادساً: دخول قوات الاحتلال

حي محطة القطارات

يقول **عبد الحي ساق الله**،(٧) وهو من سكان حي المحطة، إنه في اليوم الثاني من احتلال المدينة، أي بتاريخ ١٩٤٨/٧/١٢، حضر إلى الحي عدد من السيارات العسكرية الإسرائيلية، مليئة بالجنود المسلحين ووقفوا في مدخله،

(٧) كان عبد الحي ساق الله يعمل هو ووالده سائقي قطارات، وشاهد ما حدث خلال هذه الفترة.

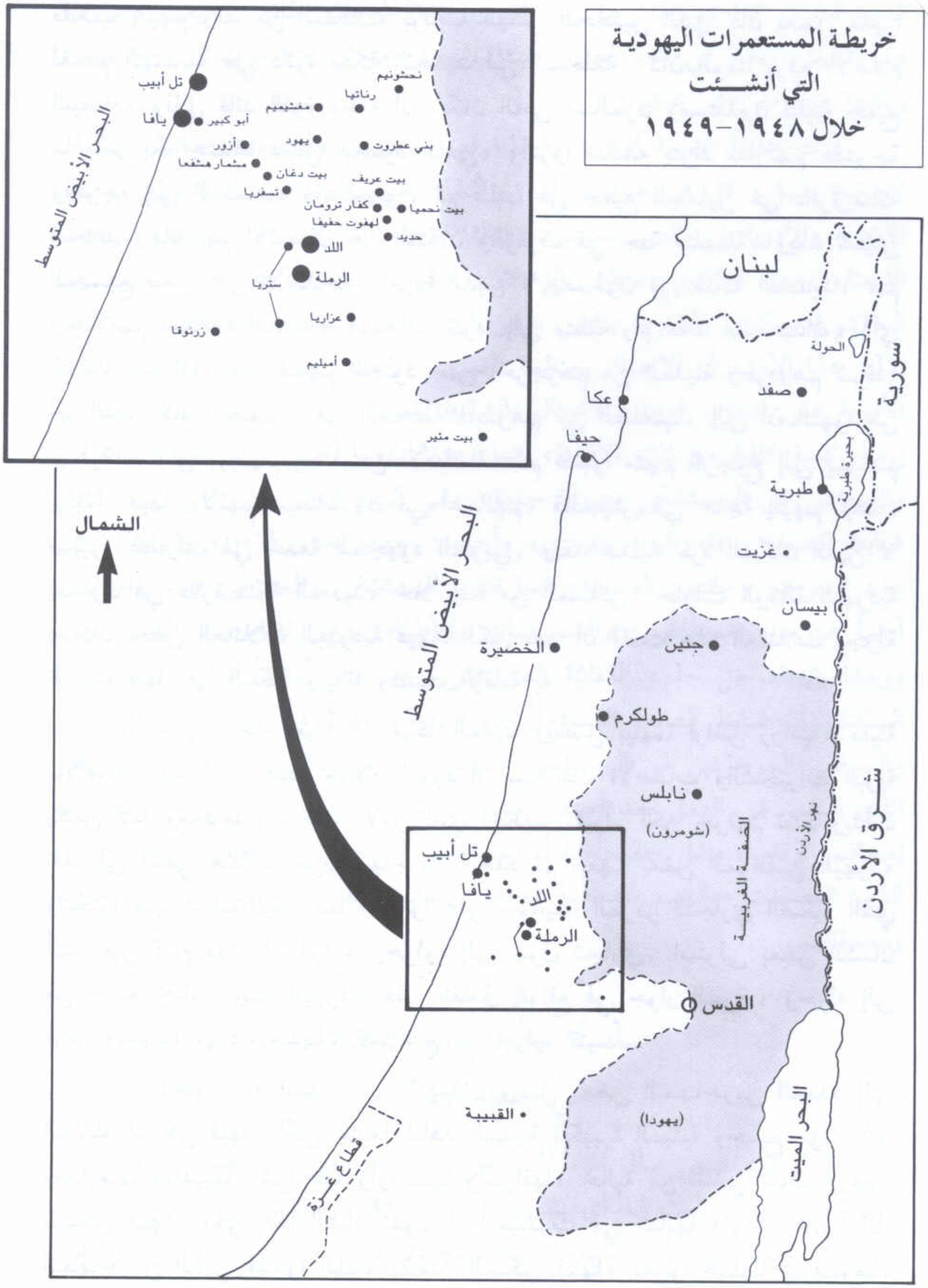
فذهب إليهم وفد من السكان، برئاسة **الياس الحصين** الذي كان يعمل مديراً لقسم الهندسة في دائرة سكة الحديد في المنطقة. كان الوفد يرفع الأعلام البيضاء، وقابل قائد القوة وبلّغه أن سكان الحي مسالمون ومستعدون لتلبية جميع ما يأمر به. عندها دخل الجنود الحي، وأمروا سكانه بترك منازلهم مفتوحة والتوجه إلى الملعب، فاستجابوا. ثم طُلب من جميع العاملين في دائرة سكة الحديد وعائلاتهم الانفصال عن السكان والوقوف في جهة منفصلة. وبعد تفتيش الجميع بحثاً عن الأسلحة، أمروا الذين لا يعملون في سكة الحديد، هم وعائلاتهم بمغادرة المدينة، والذهاب شرقاً إلى منطقة رام الله، عند عبدالله، (أي الملك عبدالله). وقد تبعهم الجنود حتى أخرجوهم من المدينة وطردوهم شرقاً. أمّا الذين كانوا يعملون في المحطة فأبقوهم في الملعب، إلى أن انتهوا من عملية تفتيش بيوتهم بحثاً عن الأسلحة. ثم طلبوا منهم الرجوع إلى بيوتهم والبقاء فيها، لأنهم سيستمرون في أعمالهم، فالجيش في حاجة إليهم لإعادة تسيير القطارات في خدمة المجهود الحربي. وبعد عملية طرد السكان الذين لا يعملون في دائرة سكة الحديد، خلا عدد من المساكن. حاولت الوكالة اليهودية إسكان بعض العائلات اليهودية فيها، لكن بعد أن قامت هذه العائلات بجولة تفقدت فيها حي السكنة وبيوته رفضت الإقامة به.(٨)

كان حي السكنة بعيداً عن مركز المدينة ويفصل بينهما أراضٍ زراعية، مليئة بالأعشاب البرية، فاعتقد هؤلاء اليهود أن بين تلك الأعشاب والشجيرات البرية يكمن قتلة ومجرمون عرب، الأمر الذي أخافهم كثيراً. لكن خوفهم تبدد وبدأت تفد إلى الحي عائلات من المهاجرين الجدد ثم تبعهم بعض الموظفين اليهود، وسكنوا البيوت الخالية. كما استولوا على حوانيت المركز التجاري الصغير الذي أقيم قبل قيام دولة إسرائيل، وحولوه إلى سوق تجاري. استولى بعض الشبان من حركة حباد الدينية اليهودية على الفندق الواقع في جوار السوق، وحوله إلى مركز ومدرسة يهودية متدينة، كما فتح في جواره كنيساً.

بعد نحو ستة أشهر من الاحتلال وصل بعض المهاجرين الجدد إلى المدينة للسكن فيها، لكن عندما شاهد المدينة الكبيرة المبنية وجميع مؤسساتها ومدارسها وبلديتها وشوارعها وأرصفتها وأسواقها، خالية من الناس خاف ورفض السكن فيها. وفي هذا الشأن تقول أورا فيكرت في كتابها «لود»: «إن أوائل المهاجرين الذين قدموا اللد، بقصد السكن فيها، ذهبوا عندما شاهدوها،

---

(٨) فيكرت، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٢.



المصدر: Benny Morris, *The Birth of the Palestinian Refugee Problem, 1947 - 1949* (Cambridge, England: Cambridge University Press, 1987). [بتصرف]

قائمة بأسماء المستعمرات
التي أُنشئت وتواريخ إنشائها

الاسم	التاريخ	الاسم سابقاً	ملاحظات
بني عطروت	آب/أغسطس ١٩٤٨	ويلهلما	كانت قرية ألمانية
غزيت	أيلول/سبتمبر ١٩٤٨	طيرة دندن	
عزاريا	أيلول/سبتمبر ١٩٤٨	البرية	
بيت مئير	أيلول/سبتمبر ١٩٤٨	بيت محسير	
أميليم	أيلول/سبتمبر ١٩٤٨	أبو شوشة	
القبيبه	١٩٤٩	القبيبة	
ستريا	١٩٤٩	أبو الفضل	
حديد	١٩٤٩	الحديثة	
بيت نحميا	١٩٤٩ ـ ١٩٥٠	بيت نبالا	
تسفريا	١٩٤٩	السافرية	
بيت دغان	١٩٤٨	بيت دجن	
أزور	١٩٤٨	يازور	
أبو كبير	١٩٤٩	أبو كبير	أحد أحياء يافا الشرقية
بيت عريف	١٩٤٩	دير طريف	
يهود	١٩٤٨	اليهودية	وقد سماها العرب «العباسية»
رناتيا	١٩٤٩	رنتية	
نحشونيم	١٩٤٩	مجدل يابا	
لهفوت حفيفا	١٩٤٩	غربي بيت نبالا	
كفار ترومان	١٩٤٩	غربي بيت نبالا	في قرية جنداس
مشمار هشفعا	١٩٤٩	غربي بيت دجن	
مغشيميم	١٩٤٩	غربي رنتية	
زرنوقا	١٩٤٩	زرنوقة	
زيتان	١٩٥١	غربي شمالي اللد	(المؤلف)
أحيسيمخ	١٩٥١	شرقي جنوبي اللد	(المؤلف)

ولم يرجعوا إليها، وقد فضلوا السكن في «المعبروت»، أي الأحياء الموقتة، بخيامها وأكشاكها.» ومن الجدير بالذكر أن معظم بيوت المدينة كان من دون أبواب وشبابيك، إذ تمت سرقتها منذ الأشهر الأولى للاحتلال. فقد كانت سيارات شحن كثيرة تجول شوارع المدينة وأحياءها، تجمع جميع محتويات البيوت وتنقلها، وفي المراحل الأخيرة نهبوا الأبواب والشبابيك أيضاً. وفي الأشهر الأولى من سنة ١٩٤٩، بدأت تصل إلى المدينة أفواج من المهاجرين الجدد، سكنت المدينة بعد أن اهتمت الوكالة اليهودية بتصليح البيوت وترميمها. وتم إصلاح جزء من شبكة المياه المتضررة من جراء القصف بمساعدة أربعة أشخاص عرب ذوي خبرة بهذا المجال. فجرت المياه في أنابيب المنازل في كثير من الأحياء. كان القادمون الأوائل الذين استوطنوا المدينة من يهود بلغاريا، كما سكن فيها عائلات موظفي الوكالة اليهودية والإدارة العسكرية في المنطقة. وقد شجع هؤلاء المستوطنون المهاجرين الآخرين، وأثبتوا أن في الإمكان السكن فيها. وهكذا وصل قادمون يهود من المعسكرات السكنية الموقتة في بير يعقوف ورعنانا، ومن المستعمرات اليهودية على طريق القدس، أي على جانبي طريق القدس ـ تل أبيب وبلغ عدد المستوطنين اليهود في المدينة نحو ٥ آلاف مستوطن في النصف الأول من سنة ١٩٤٩، الأمر الذي استوجب إيجاد هيئة أو لجنة بديلة لإدارة المدينة بدلاً من مكاتب الحاكم العسكري، تهتم بشؤون السكان. وتم تأليف لجنة بلدية لإدارة المدينة، نجم عنها تقلص صلاحيات الحاكم العسكري بالتدريج.

حتى تموز/يوليو سنة ١٩٤٩، كانت المواد الغذائية شحيحة جداً، وبعضها معدوماً. وأصبحت حالة التغذية سيئة في البلاد ومن ضمنها مدينة اللد، الأمر الذي اضطر السلطات الحكومية إلى القيام بعملية تقنين المواد الغذائية وغيرها في البلاد كافة. وقامت بتوزيع دفاتر فيها عدد من النقاط، لكل عائلة بحسب عدد أفرادها لشراء المواد الغذائية الأساسية مثل الطحين والسكر واللحوم والبيض. ثم اتبعت هذه الخطوات بتقنين الفواكه والخضروات لتوزع بنظام النقاط الشهرية. وبعد عدة أشهر من نظام تقنين المواد الغذائية، شعرت البلاد بنقص في الملابس والأحذية، فقامت الحكومة بتقنينها أيضاً، وأصبحت تباع بحسب نظام النقاط. وأصبح الوضع الاقتصادي في البلاد سيئاً، وزاد سوءاً من جراء حالة البطالة، وعدم وجود أماكن عمل كافية لاستيعاب العدد الكبير من العمال العاطلين عن العمل. ومع هذا استمر قدوم المهاجرين اليهود إلى البلاد بكثرة، وهو ما أدى إلى قيام تظاهرات صاخبة ضد الحكومة نتيجة عدم تمكنها من

إيجاد أعمال كافية لاستيعابهم. وكان المتظاهرون يصيحون ويطالبون بـ «خبز وعمل». وعمّت البلاد أزمة اقتصادية خانقة، نجم عنها أزمات اجتماعية كثيرة لدى معظم السكان.

لنرجع الآن إلى وضع السكان العرب الذين لم يتركوها بعد الاحتلال، وكان عددهم نحو ألف نسمة أو أكثر قليلاً، ويقيمون بحيّين منفردين في المدينة، الأول حي الجامع والكنيسة وأقام به ما يزيد على ٦٠٠ نسمة، والثاني حي المحطة وأقام به نحو ٥٠٠ نسمة أيضاً، ومعظمهم موظفو دائرة سكة الحديد وسائقو القطارات ومعاونوهم وعمال فنيون للصيانة ولإصلاح القطارات والخطوط.

كان سكان حي الجامع الكبير وكنيسة القديس جاورجيوس (الخضر) يعيشون حياة اشتراكية كاملة، الكل يعمل بما أُوكل إليه من عمل، والكل يأكل مما يوزع عليه من مخزن المؤن بالتساوي، مسجون في هذا الحي الصغير، لا مجال للتعامل بالنقود بتاتاً. كان علينا أن نتدبر أمرنا بأنفسنا، نبحث كل يوم عن المؤن، مهما كان نوعها لنأكل ونشرب. ولم تهتم سلطات الجيش بأمورنا، على الرغم من مرور أكثر من ستة أشهر، ونحن قابعون في هذا الحي الصغير، كأننا في معسكر اعتقال، محاطون بالأسلاك الشائكة، التي يحميها جنود الجيش الإسرائيلي. ولم يُسمح لنا بمغادرة هذا الحي، إلاّ إذا حصلنا على تصريح خطي من الحاكم العسكري وبتوصية من اللجنة المحلية المخولة إعطاء التصاريح. وفي أوائل سنة ١٩٤٩، غير الحاكم العسكري سياسة إعطاء التصاريح ووضع قيوداً عليها. ومن وقت لآخر كان البعض منا يذهب إلى حي المحطة وإلى الرملة لزيارة أقاربنا هناك، كما سُمح لسكان حي المحطة بزيارتنا، طبعاً، بموجب تصريح صادر عن إدارة الحاكم العسكري الذي كان مقره في الرملة. وقد سُمح لأعضاء اللجنة المحلية بالخروج بحرية من الحي متى أرادوا بموجب تصريح دائم. وكنّا عثرنا على عربة حنطور، أصبحت وسيلة السفر الوحيدة لزيارة أقاربنا في حي المحطة والرملة. بيوتنا ومنازلنا لم تعد لنا، إذ سكنها القادمون الجدد على الرغم من وجودنا في المدينة. وقد مُنعنا من دخولها ولم يُسمح لنا بأخذ ما بقي فيها من بعض الأثاث أو الملابس، على الرغم من حاجتنا الماسة إليها، إذ كنّا، كما ذكرت سابقاً، ننام على الأرض، وكل أربعة أشخاص ينامون على فرشة واحدة بالعرض. نعم لم يهتم أحد بنا، وخصوصاً إدارة الحاكم العسكري. كيف وأين ننام أو نلبس؟ وكيف ومن أين نأكل؟ وكنّا نشعر بأننا منبوذون وأذلاء، وكان يُنظر إلينا كأننا غرباء، تطفّلنا على السلطات والسكان الجدد، ونحن في بلدنا حيث ولدنا وترعرعنا، كما أن آباءنا وأجدادنا ولدوا وترعرعوا ودفنوا في ترابها.

في الواقع، كانت حياتنا بائسة وتعيسة. بقايا عائلات، الأب هنا والمرأة والأولاد هناك وراء الحدود الجديدة، أو المرأة هنا وزوجها وأولادها، أو إخوتها وأخواتها هناك، ولم نكن نعرف أين هم، وهل هم أحياء أم أموات؟ كنا في صراع دائم من أجل البقاء.

كنا نجلب المياه من بيارة البرتقال بالبراميل، وندحرجها إلى أن نصل بها إلى الحي. ونستعملها للأغراض الضرورية من دون تبذير، إذ كان الباقون في الحي هم الرجال المتقدمون في السن، أو المرضى، والنساء والأولاد، ولا قدرة لهم على دحرجة البراميل المليئة الثقيلة. لذلك لم تكن حالة النظافة في البيوت التي نسكنها كما يجب. استمر هذا الحال، كما ذكرت، عدة أشهر إلى أن تم إصلاح بعض أنابيب المياه، وتشغيل محرك بئر البلدية.[٩] وعندما وصلت المياه إلى الحي، فرحنا جميعاً، إذ حُلَّت مشكلة كبيرة جداً، وانتهى عملنا الشاق في دحرجة البراميل.

سابعاً: اللد العربية

مدينة إسرائيلية

امتلأت منازل أحياء المدينة الغربية منها والجنوبية بالقادمين الجدد، الذين استولوا على جميع البيوت بالتدريج، حتى البيوت غير الصالحة للسكن. وكان سيل المهاجرين لا ينقطع، وقد استوطنوا البلدة القديمة بأحيائها وأزقتها، ورمموا البيوت غير الصالحة للسكن وسكنوها. في البداية، سكن في البلدة القديمة نحو ٤٥٠ عائلة يهودية كثيرة الأولاد. ثم بلغ عددهم نحو ٤ آلاف نسمة من أماكن وجنسيات مختلفة، ولكل فئة لغتها الخاصة. أصبحت البلدة القديمة ذات الأزقة والطرقات الضيقة وبيوتها القديمة المتداعية والملاصقة لبعضها بعضاً، كبرج بابل يتكلم سكانه لغات

شعار بلدية اللد اليهودية كُتب عليه:
«وعاد الأبناء إلى حدودهم»

(٩) كان للبلدية العربية بئران لمياه الشرب؛ وهما بئر الشرقية الموجود شرقي المدينة قرب جسر الواد الكبير، والثاني شمالي محطة القطارات غربي المدينة.

متعددة وسادت لغة الإشارات، وكثرت النزاعات والخلافات بين السكان. كما زادت البطالة الوضع سوءاً. لم يتم إصلاح شبكات المياه التي تضررت من جراء الحرب، وخصوصاً شبكة أنابيب البلدة القديمة، فأصبحت الأوضاع لا تطاق. لذلك قامت لجنة البلدية بمد أنابيب موقتة إلى الطرقات والأزقة، لا إلى البيوت. وأصبحت بيوت البلدة القديمة المتداعية، بيوتاً للدعارة لعشرات الزانيات ولمدمني الحشيش الذين كانوا يتسترون فيها، وأصبح الحي بؤرة للصوص والمدمنين والزانيات والمجرمين، وهم قريبون منا، الأمر الذي تسبب بمشكلات كثيرة لبعض سكان حيّنا.

دُعي هذا الحي «غيتو السكنة». وكان بعض سكان المدينة العرب الذين طردوا منها عند الاحتلال يتسللون في ساعات الظلام إلى أحياء المدينة المختلفة لأخذ مصاغهم وأموالهم التي دفنوها في ساحات بيوتهم أو في جُدُرها. نتيجة عدم وجود شبكة كهربائية في المدينة،[١٠] كان الظلام الحالك يلف جميع طرقات وأزقة هذا الحي منذ ساعات المساء الأولى، وكان سكانه يلتزمون بيوتهم ويقفلون أبوابها خوفاً من اللصوص والمجرمين ومن المتسللين، الأمر الذي جعلهم يتوسلون إلى لجنة البلدية والسلطات العسكرية بإعداد أماكن سكنية بديلة لهم.

قامت الحكومة والوكالة اليهودية بفتح مدارس ليلية لتعليم اللغة العبرية، اللغة الرسمية في الدولة. أمّا الأعمال، فكانت شبه معدومة، وكان الرجال والنساء القادرون على العمل عاطلين. والفئة القليلة التي كانت تعمل، هي فئة موظفي الحكم العسكري والحكومة والوكالة اليهودية بالإضافة إلى لجنة البلدية. لذا اضطرت الحكومة الإسرائيلية والوكالة اليهودية إلى توزيع مساعدات نقدية على العائلات التي لا عمل لمعيليها، بحسب عدد أفرادها. وقد بلغ عدد السكان اليهود في المدينة نحو خمسة آلاف نسمة، في أول سنة ١٩٤٩. لكن تدفق أفواج المهاجرين إلى المدينة استمر من دون انقطاع. كل هذا يجري في «بلدنا»، ونحن في الغيتو، حي السكنة، حول الجامع والكنيسة محاطون بالأسلاك الشائكة، ولا يسمح لنا بالخروج إلاّ بموجب تصريح عسكري على الرغم من مرور أكثر من ستة أشهر، كما أن السلطات لم تهتم بإمدادنا بالمواد الغذائية وغيرها أو بإيجاد أعمال لنا كي نعيل عائلاتنا.

---

(١٠) رفضت بلدية اللد أيام الانتداب البريطاني وصل شبكة الكهرباء القطرية بالمدينة لأنها تابعة لشركة روتنبرغ اليهودية، ولم تسمح الحكومة في حينها للبلدية بإنشاء محطة محلية لتوليد الكهرباء للمدينة.

ע/ב קצין המושל לבינוי

תמ"ז. אלנבי 122

פרטי-כל

מישיבת הועדה הראשונה בלוד 27.5.1949.

בהשתתפות:

המושל הצבאי מר: יעבץ. חיון, לב, אשרף, אליאס אברהים שומאן

ויעקב קוהן, יצחק בסנס. קיסר. גבריאל פינקוס בן גוריון.

סדר היום: אספתה. ח) סקירת ... הפעולות ... על התקציב ...

תשובה. בחירת ועדות שונות

הה לא סות מדברי ברכת למושל הצבאי מר יעבץ ... ומבקש

... את עבודתו ומודיע על הרשמתו לספר הזהב על הקהל

כמו כן מקדם בברכה את מר חיון ואת ... סלייפר ...

את עבודתו הפוריה במשק הזמן ומודיע לו על התוספת

... אותו הספר הזהב.

מר יעבץ: בזמן הקצר ... ועבר כאן ... מגפות

לעזור לכם. לא כולם ראו את ... בהנהלתה, ...

... ... לראות את הדוב (צעיר) ... אני

דבר נוגע ... ...

... ... ראוי ... ...

ברגע שיהיה הרבה ... ~~...~~ תהיה כמה הסניטריה בעיר. חשוב

... ... אני ... אחרי התפתחות

התרבותית של העיר. אני מאחל לכם עבודה פוריה.

صورة وثيقة تأليف لجنة بلدية اللد

من قبل الحاكم العسكري للمنطقة

١٩٤٩/٥/٢٧

المحامي كورن ـ ريشون لتسيون
شارع أللنبي ١٢٢

محضر

محضر من الجلسة الأولى لبلدية اللد بتاريخ ٢٧/ ٥/ ١٩٤٩

باشتراك (١) الحاكم العسكري للمنطقة السيد ي. يعبتس (٢) السيد حيون (٣) بيسح ليف (٤) أوشرون (٥) الياس إبراهيم شبيطة (٦) يعقوب كوبو (٧) يتسحاق بساخس كوبر (٨) غفير فيكوس (٩) الدكتور غلتنر. افتتح المحضر المحامي بل سكورت محامي الوكالة اليهودية لتخصيص ميزانية لستة أشهر، وانتخاب لجان مختلفة.

العضو ليف يحيّي ويبارك الحاكم العسكري السيد يعبتس ويطلب منه المساعدة في المستقبل أيضاً ويعلن تسجيل اسمه في الكتاب الذهبي الخاص للصندوق القومي اليهودي (هكيرن هكييمت) ويهنىء أيضاً السيد حيون والسيد يوسف سلايفر على عملهما المثمر المبارك، ويقترح تسجيل اسمه [هكذا في النص العبري] في الكتاب الذهبي.

السيد يعبتس: في الوقت القصير الذي بقي لي هنا ستكون يداي مفتوحتان لمساعدتكم. لم يرى الجميع اللد في إهمالها من غير ماء وتفتقر إلى كل شيء. وما أحسن أن نرى المدينة الآن. وأول مرة تصلها الكهرباء. نحاول طلب مساعدة من الحكومة وخصوصاً لإكمال شبكة المياه. هناك شوارع ليس فيها أنبوب ماء حتى الآن. وعندما نزود المدينة بماء كثير يرتفع مستوى النظافة والصحة العامة ومن المهم مسألة إصلاح حفر المجاري. سأتابع التقدم الثقافي للمدينة متمنياً لكم عملاً مثمراً.



احتفال نقل صلاحيات الحاكم العسكري إلى بيسح ليف، رئيس البلدية المعيَّن



أول جلسة يعقدها مجلس بلدية اللد؛ في الوسط: رئيس البلدية بيسح ليف

أحضرت السلطات العسكرية عدة عشرات من العمال العرب وعائلاتهم من مختلف القرى في جنوبي البلاد وشماليها للقيام بإصلاح المنازل المتضررة بأسرع وقت، ولقطف الحمضيات والزيتون. وقد أسكنتهم وعائلاتهم، في حي منفرد يقع غربي المدينة، في جوار المقبرة الإسلامية الغربية، بعيداً عن حي الجامع والكنيسة.

مع ازدياد عدد سكان المدينة أصبح هناك حاجة ملحة إلى إنهاء الحكم العسكري وإقامة حكم مدني بدلاً منه، وتعيين مجلس بلدي له صلاحيات واسعة. وهكذا بدأ الحكم المدني يأخذ مكانه بالتدريج، منذ أول نيسان/ أبريل ١٩٤٩.[١١] وفي تموز/يوليو ١٩٤٩، وبعد مرور عام كامل على الاحتلال، أُعلنت اللد مدينة إسرائيلية. ثم أُعلن إنهاء الحكم العسكري فيها، وسلم الحاكم العسكري شؤون اللد والرملة إلى الحاكم الإداري المدني الذي أعلن تعيين أول مجلس بلدي في اللد منذ احتلالها، وقد تغير اسم المدينة وأصبح «لود».

ومع إعلان إنهاء الحكم العسكري في المدينة فُكّ قيدنا وأُزيلت الأسلاك الشائكة حول حيّنا، بعد أن أمضينا عاماً كاملاً ونحن محشورون داخله. وكنا كالمساجين في سجن كبير. نعم أمضينا عاماً كاملاً في هذا السجن رجالاً ونساءً، أطفالاً ومسنين، نعيش حياة اشتراكية تامة، بمساواة تامة، نأكل ما كنا نجمعه من بيوت أهلنا في المدينة القديمة، ونشرب ما كنا نجلبه من المياه في البراميل التي كنّا ندحرجها من مسافة طويلة. كلنا إخوة وأخوات، آباء وأمهات، عشنا حياة مودة ومحبة، حياة مشتركة، فقد كان مصيرنا مشتركاً، كما كان يجمعنا أيضاً شعور الخوف والقلق. نعم عاماً كاملاً لم نستعمل فيه النقود من أي نوع بتاتاً. وكم كانت دهشتنا كبيرة وألمنا أكبر عند ذهابنا إلى بيوتنا بعد إلغاء الأحكام العسكرية، ووجدنا عائلات يهودية من المهاجرين الجدد، الذين كانوا ينظرون إلينا بكراهية شديدة، قد سكنتها، حتى إنهم لم يسمحوا لنا بالدخول إلى بيوتنا لمشاهدتها، ولنسأل عما بقي فيها من الأثاث، كي ننقله إلى البيوت القديمة التي سكناها في البلدة القديمة.

بعد أن أنهى العمال العرب الذين أحضرهم الجيش إصلاح المنازل المتضررة، وبعد إنهاء الحكم العسكري في المدينة، انضم هؤلاء مع عائلاتهم إلى سكان حي الجامع والكنيسة وأصبحوا من سكان المدينة. وبذلك زاد عددنا

---

(١١) فيكرت، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٧.

زيادة ملحوظة. هذا بالإضافة إلى العائلات التي كانت تسكن في الحقول وبساتين البرتقال وكانت السلطات تأمرهم بالذهاب والسكن في اللد، وجميعهم سكنوا في البلدة القديمة المجاورة لحي الجامع والكنيسة. أمّا الأسرى الذين اعتقلوا بعد احتلال المدينة، فقد تدخلت منظمة الصليب الأحمر الدولي وقررت السلطات الإفراج عنهم مع إعطائهم خيار الخروج من البلاد حيث عائلاتهم وأقاربهم، أو الرجوع إلى عائلاتهم الباقية في المدينة. وقد سرّت عائلاتهم بالإفراج عنهم واستقبلتهم بدموع الفرح، كما سُرّ جميع سكان المدينة العرب، وبدت عليهم علامات الارتياح والشعور بالاستقرار أكثر من السابق.

في أواخر سنة ١٩٤٩، أجرت السلطات الحكومية إحصاء عاماً لسكان المدينة، ومن ضمنهم سكانها العرب. وبعدها تسلم الجميع بطاقات هوية حكومية تحمل اسم «دولة إسرائيل». وهكذا، أصبحنا مواطني دولة إسرائيل. فتحت وزارة الداخلية مركزاً صغيراً للشرطة في المدينة وجندت بعض الشباب العرب في سلك الشرطة. وكان لباسهم يختلف عن لباس أفراد الشرطة اليهود كما أن الصلاحيات التي منحت لهم لم تكن مساوية لسلطات زملائهم اليهود.

كانت حالة العمل في المدينة صعبة جداً، نتيجة عدم وجود أعمال فيها، باستثناء الأعمال الزراعية، إذ كانت اللد تعتمد على الزراعة لخصوبة أراضيها. وقد اشتهرت بالمساحات الشاسعة لحقول الزيتون المزروعة، وجودة أشجاره التي كانت تحظى بعناية فائقة. كما اشتهرت بكثرة معاصر الزيتون، وكان فيها أيضاً عدة مصانع للصابون المصنوع من زيت الزيتون، لكن تلك المصابن والمعاصر أقفلت أبوابها بعد قيام دولة إسرائيل. كان العمال اليهود في المدينة يجدون أعمالاً لهم خارج المدينة، وخصوصاً في منطقة تل أبيب. أمّا العمال العرب في اللد فقد عمل معظمهم في الزراعة الموسمية، في موسم قطف الزيتون في فصل الخريف وفي قطف الحمضيات وتعبئتها في الشتاء. ومما يذكر أن سكان المدينة العرب، أيام الانتداب البريطاني، غرسوا مساحات واسعة من أراضي المدينة بأشجار الحمضيات، إذ إنها تعطي المزارعين دخلاً أكثر كثيراً مما تعطيه زراعة الزيتون. لذا قاموا بقلع أشجار الزيتون من مساحات كبيرة وزرعوا مكانها أشجار الحمضيات.

في أواسط سنة ١٩٥٠، وصل إلى المدينة عشرات العائلات العربية من المجدل (عسقلان) بعد أن أجلتهم السلطات عن مدينتهم، كي تصبح المجدل مدينة يهودية بحتة، وسكنوا بيوتها القديمة. نتيجة ذلك ازداد عدد السكان العرب في اللد، كما أعلنت السلطات بدء إجراءات «لمّ الشمل» الذي بموجبه تتمكن

العائلات العربية الموجودة في المدينة من تقديم طلباتها لإرجاع أبنائها من المناطق التي يعيشون فيها، أي من مدينتي رام الله والبيرة ومنطقتيهما ومن المناطق الأخرى، على ألاّ تزيد أعمار المطلوبة إعادتهم على سبعة عشر عاماً، وأن يطلبهم آباؤهم أو أمهاتهم فقط، كما أن الزوج كان يستطيع أن يطلب زوجته وأولاده. وافقت منظمة الصليب الأحمر الدولي، على القيام بعملية البحث عن المطلوبين وأماكن وجودهم، وإعادتهم إلى العائلات في المدينة. كانت هذه العملية صعبة وبطيئة جداً لصعوبة معرفة أماكن سكناهم، وقد رجع أوائل العائدين بموجب مشروع «لمّ الشمل» في النصف الأول من سنة ١٩٥١. كما رجع بموجب هذا المشروع عدة عشرات من أبناء العائلات التي بقيت في المدينة. وفي الوقت نفسه، غادرها بعض المسنين الفرادى وبعض الأولاد والبنات للحاق بعائلاتهم الموجودة في الضفة الغربية، وذلك بسبب عدم تمكن آبائهم وإخوتهم الكبار من العودة إلى بلدهم وإلى أولادهم. وكما ذكرت سابقاً، فإنه بموجب هذا المشروع لم يسمح لجميع الرجال والأولاد الذين تزيد أعمارهم على ١٨ عاماً بالرجوع إلى بلدهم، ومع هذا فقد سمحوا لبعض العائلات بالعودة إلى المدينة.

ثامناً: أول عملية انتخابات لمجلس بلدي يهودي

في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥١، جرت انتخابات أعضاء مجلس بلدي، بدلاً من أعضاء لجنة البلدية، التي عينها وزير الداخلية. وفاز بيسح ليف، رئيس اللجنة المعينة، وأصبح أول رئيس مجلس بلدي منتخب بعد قيام دولة إسرائيل في اللد. بلغ عدد سكان المدينة حينذاك نحو عشرة آلاف نسمة. أمّا عدد أعضاء المجلس البلدي المنتخب فكانوا ١٥ عضواً. وزاد عدد السكان العرب في المدينة في ذلك الوقت على ١٦٠٠ نسمة.

قرر المجلس البلدي أن يتكون رمز المدينة وعلمها من قوس نصر تظهر من ورائه شجرة كبيرة ومداخن عدة مصانع، إشارة إلى أن المدينة صناعية ـ زراعية، وفي أسفل قوس النصر أراض زراعية محروثة، وكتب على إطار هذا الرمز «وعاد الأبناء إلى تخومهم» أو حدودهم.

من الجدير بالذكر، أنه تم انتخاب عضو عربي لمجلس البلدية، هو يعقوب حسونة، إذ بحسب منشور إعلان استقلال دولة إسرائيل، الذي صدر عند

إعلان قيام الدولة، اعتُبر جميع مواطني دولة إسرائيل متساوين في الحقوق رسمياً، من دون تفرقة بين الأجناس والطوائف أو الأديان. ومع ذلك فالبند الأول في هذا المنشور ينص على أن «إسرائيل دولة للشعب اليهودي.»

وكلما ازداد عدد سكان المدينة، ازدادت حدة البطالة فيها، إذ إن أماكن العمل فيها محدودة. ومع هذا كان تدفق الهجرة إليها مستمراً، وقد ارتفعت نسبة العاطلين عن العمل كثيراً جداً، وجرت في المدينة عدة تظاهرات صاخبة وعنيفة قام بها العاطلون عن العمل مطالبين السلطات الحكومية والبلدية بإيجاد أعمال لهم كي يتمكنوا من إعالة عائلاتهم، وكانوا يصرخون ويصيحون بغضب: «الخبز والعمل». انقسم سكان المدينة إلى عدة فئات بحسب البلاد التي أتوا منها، وكانت عملية دمجهم صعبة جداً، بسبب تباين العادات والمفاهيم، وعدم وجود لغة مشتركة تمكنهم من التفاهم والتعاون. وكما ذكرنا سابقاً، فإن المهاجرين الأوائل الذين سكنوا المدينة كانوا من الدول الأوروبية المختلفة، لكن معظمهم كان يتكلم اللغة الييديشية،[١٢] وهي لغة يهود أواسط أوروبا، لكن يهود دول شمال أوروبا وجنوبها لا يتكلمونها ولا يفهمونها. وبما أن الكثيرين من زعماء دولة إسرائيل ومن قادتها العسكريين كانوا من يهود أواسط أوروبا، فقد كانوا من الطبقة الراقية والحاكمة، وبطبيعة الحال كان مهاجرو أواسط أوروبا يعاملون بصورة متباينة عن بقية السكان.

أمّا المهاجرون الذين وصلوا إلى المدينة سنة ١٩٥٠ وما بعدها، فكانوا من دول شمال إفريقيا ومن الدول الآسيوية، وكانوا يدعون «السفارديم»، وهم في الأصل من يهود إسبانيا الذين طردوا منها مع العرب المسلمين عند استيلاء الإسبان على الأندلس، وتفرقوا إلى أماكن مختلفة من العالم. استوطن بعضهم شمال إفريقيا واستوطن البعض الآخر البلاد التابعة للإمبراطورية العثمانية. وقد حافظوا على لغتهم الأصلية الإسبانية واستعملوها فيما بينهم، كان هناك فارق بين الفئتين (الفوزفوز[١٣] والسفارديم) في مستوى الحياة وفي المفاهيم والعادات بالإضافة إلى اختلاف اللغات بينهما. وقد شعر اليهود السفارديم بأن السلطات تتعامل معهم كأنهم مواطنون من الدرجة الثانية. ونتيجة ذلك طغى بين الفئتين شعور بالبغضاء والكراهية والحسد.

---

(١٢) «اليديشية»: لغة شبيهة بالألمانية، وهي لغة يهود أواسط أوروبا.

(١٣) «الفوزفوز» هم يهود أشكناز من سكان أوروبا الشرقية وقد دُعوا بهذا الاسم لأنهم كثيراً ما كانوا يرددون كلمة فوز فوز.

كان هذا الشعور يغذي الخلافات فيما بينهما ويزيدها حدة، هذا بالإضافة إلى حالة البطالة التي كانت متفشية في المدينة، الأمر الذي جعل الوضع فيها لا يطاق. أمّا حالة السكان العرب في المدينة فكانت أسوأ كثيراً من حالة الفئتين من الناحية الاقتصادية، وكانت نسبة البطالة لدى سكان المدينة العرب أعلى منها لدى السكان اليهود، على الرغم من أن أماكن العمل المتاحة للسكان العرب كانت الأعمال الزراعية وأعمال البناء وصيانة الطرق.

كانت الحياة الاجتماعية في المدينة تنشط في النهار فقط، قبل ربطها بشبكة الكهرباء القطرية. وفي المساء كان الظلام الدامس يخيم على جميع أرجائها، ويحبس السكان أنفسهم في بيوتهم ويغلقون أبوابهم خوفاً من اللصوص والمجرمين. وبقي الحال هكذا إلى أن تم ربط المدينة بشبكة الكهرباء. في البداية، أُضيئت الشوارع ومن ثم البيوت السكنية. وزال خوف السكان وأصبحوا يتجولون في شوارعها ويتسامرون تحت أضوائها.

قامت البلدية بتسمية شوارع المدينة بأحرف أبجدية اللغة العبرية، وصار لكل شارع حرف أو حرفان، وبعد سنة قُرر تسمية الشوارع بأسماء عبرية. فمثلاً سمي شارع صلاح الدين الأيوبي شارع «هيرتسل»، وهو واضع فكرة إقامة دولة إسرائيل، وشارع الملك فيصل «جادة جيش الدفاع الإسرائيلي». وهكذا سميت جميع شوارع المدينة بأسماء ضباط سابقين مشهورين أو أسماء وزراء سابقين، ومثال على ذلك شارع المعابد الذي أُطلق عليه اسم غولومب، وشارع سوق البلدية أصبح «هيرتسوغ»، وهكذا...

تاسعاً: مصادرة جميع أراضي المدينة وجميع عقاراتها

في البداية، سُجلت جميع مباني البلدية والأراضي باسم «دائرة القيّم على أملاك الغائبين»، ثم قاموا بتغيير الاسم إلى «دائرة الأموال المتروكة». باشرت هذه الدائرة إصلاح الأملاك وتأهيلها للسكن، ثم تأجيرها بأجور رمزية لعائلات المهاجرين الجدد. ومن ضمن تلك الأملاك والأراضي، أملاك وأراضي السكان العرب في المدينة والذين لم يغادروها، وهي الأملاك والأراضي التي لا تخضع لدائرة «القيم على أملاك الغائبين» ولا لدائرة «الأموال المتروكة»، إذ إن أصحابها حاضرون وموجودون في المدينة، كما أن أملاكهم لم تكن متروكة بل كانت تحرث وتزرع حتى تاريخ احتلال المدينة. كانت حجة السلطات أنها لا تعرف

أصحاب تلك الأملاك والأراضي، وأن عليهم إثبات ملكيتهم عن طريق المحاكم. وكانت عملية الإثبات تستغرق شهوراً وربما سنوات، وكان عليهم إحضار سند (طابو) يثبت ملكيتهم لها. وبما أن السكان العرب في معظمهم، إن لم يكن جميعهم، لم يتمكنوا، بسبب مفاجأة الجنود لهم، من أخذ أوراقهم، ومنها سندات الطابو من بيوتهم عندما طردوا منها، وبما أن تلك البيوت سكنها المهاجرون الجدد، فقد ضاعت السندات وغيرها ولم يعثروا عليها. حتى الذين أبرزوا سندات طابو وشهادات دفع الضرائب الحكومية والبلدية عنها، أمضوا شهوراً طويلة إلى أن تمكنوا من إثبات ملكيتهم لأراضيهم وبيوتهم، ودفعوا مبالغ طائلة للمحاكم وللمحامين والرسوم، كما وجدوا أن منازلهم استولى عليها المهاجرون الجدد. وعلى الرغم من إنهاء عملية الإثبات، رفض الساكنون فيها تسليمها لأصحابها مطالبينهم بالتعويض منها بمبالغ تكفي لشراء بيت آخر، الأمر الذي كان يكلفهم مبالغ كبيرة، لا طاقة لهم على دفعها. لذا اكتفوا بعملية إثبات ملكيتهم. لهذا بقي السكان العرب في حي السكنة في البلدة القديمة حول الجامع والكنيسة، على الرغم من أن معظم بيوت هذا الحي متداع ومظلم ولا يصلح للسكن.

من خلال عملية «لمّ الشمل» عاد عدد لا بأس به من أبناء العائلات العربية التي لم تغادر المدينة، لذلك ازداد عدد السكان العرب في اللد. وبالإضافة إلى الزيادة الطبيعية أصبح عددهم، سنة ١٩٥١، يزيد على ألفي نسمة، أي أن عددهم تضاعف خلال أقل من ثلاث سنوات. أمّا عدد السكان اليهود في السنة نفسها فبلغ نحو ٨٥٠٠ نسمة. ظلت البطالة متفشية في المدينة على الرغم من قيام المجلس البلدي، الذي حصل على دعم مالي من وزارة الداخلية، بإيجاد أعمال لعشرات من أبناء المدينة في رصف الشوارع وتعبيدها و٪زيادة عدد عمال المجلس. كان معظم أبناء المدينة يعمل خارجها وخصوصاً في منطقة تل أبيب، وعلى الرغم من هذا فقد كان هناك عدة مئات من عمال المدينة عاطلين عن العمل يقومون، بين وقت وآخر، بتظاهرات مطالبين بإيجاد عمل لهم.

في إثر ذلك قام الصندوق القومي اليهودي، هكيرن هكييمت، وشركة تنوفا للمنتوجات الزراعية بعدة أعمال زراعية في أراضي المدينة، فوفرا عشرات أماكن العمل. كما أن شركة حكال، التي أُسست للعناية ببساتين البرتقال وقطف ثمارها وتسويقها بعد تعبئتها في صناديق خشبية وتصديرها إلى خارج البلاد، أمنت عشرات عدة من أماكن العمل أيضاً. هذا بالإضافة إلى عدة عشرات من الموظفين والعمال الذين كانوا يعملون في محطة القطارات باللد، وورشتها

الكبيرة على إصلاح القطارات والعربات وصيانتها. كما عمل الكثيرون من المهندسين والبنائين اليهود والعمال الفنيين في مطار اللد الدولي. خفّت حدة البطالة بسبب الخطوات التي اتخذتها الحكومة والبلدية، الأمر الذي حسن الحالة الاجتماعية وأدى إلى رفع مستوى المعيشة بعض الشيء لسكان المدينة.

استمرت الهجرة اليهودية إلى المدينة، وكانت أفواج المهاجرين تتدفق بأعداد كبيرة لا طاقة لها على استيعابهم، كما أن أماكن العمل فيها لا تكفي لساكنيها الحاليين، فضلاً عن أن المساكن الصالحة للسكن فيها لا تكفي لإيواء هذه الأعداد الكبيرة من المهاجرين الجدد الذين حمّلوا المدينة وسكانها عبئاً ثقيلاً ومشكلات جمة. فكان على السلطات الحكومية والبلدية إيجاد الحلول لتلك المشكلات الصعبة، مثل إيجاد مساكن صالحة للسكن وأماكن للعمل، وكلا الأمرين صعب جداً، إذ يكاد يكون مستحيلاً إيجاد حلول لهما. وكم من مرة توجهت البلدية إلى الوزارات المتعددة طالبة منها حل هاتين المشكلتين الصعبتين، بالإضافة إلى إيجاد مدارس وغرف تدريس للطلاب القادمين الجدد. وعندما لم تتمكن السلطات الحكومية والبلدية من حل تلك المشكلات بسرعة، اندلعت التظاهرات العمالية مطالبة بإيجاد أماكن سكن وعمل للعمال ولعائلاتهم، وكانوا يصرخون قائلين: «الخبز والعمل والمسكن». نتيجة تلك التظاهرات الصاخبة، استجابت الحكومة وأقامت سنة ١٩٥٥، بعض المصانع الصغيرة مثل مصنع السجائر الذي سمي باسم المدينة «لود»، وكان يعمل فيه نحو ٤٠ عاملاً. وقد أقامت نقابة العمال اليهود الهستدروت مصنعاً كبيراً لإنتاج بدالات الهاتف، وأجهزة الهاتف المتنوعة. بالإضافة إلى ذلك فتحت عدة مصانع صغيرة عمل في كل منها نحو عشرة عمال، وكذلك عدة ورش صغيرة للنجارة والحدادة وغيرهما. وقد ساعدت تلك المصانع والورش المتنوعة في حل جزئي لمشكلة البطالة. أمّا الهستدروت، فقامت بفتح فرع لها في المدينة لحماية العمال من استغلال أصحاب العمل، وكذلك لإيجاد أماكن عمل إضافية. رفضت الهستدروت قبول العمال العرب في المدينة أعضاء فيها، كما منعت مكتب العمل التابع لها من تسجيل العمال العرب لإيجاد أماكن عمل لهم، مثل العمال اليهود، بحجة أن منظمة الهستدروت العمالية هي للعمال اليهود فقط. وبعد عدة أشهر من البطالة الصعبة قامت الهستدروت بإحياء اتحاد عمال فلسطين ـ وكان قد أُقيم، قبل سنة ١٩٤٨، للسيطرة على العمال العرب ـ ودعت جميع العمال العرب إلى الانضمام إليه. وجه الاتحاد العمال العرب إلى الأعمال الزراعية، وخصوصاً في موسم الزراعة، مثل موسم قطف الحمضيات وموسم قطف الزيتون، وأحياناً كان يحصل

على طلبات عمل من الهستدروت لأعمال البناء والصيانة.

في سنة ١٩٥٦، بعد انتهاء حرب السويس، التي اشترك فيها الجيش الإسرائيلي، وبعد انسحابه من قطاع غزة الذي احتُل في أثناء تلك الحرب حضرت عدة عائلات عربية من القطاع، فزاد عدد السكان العرب في المدينة.

عاشراً: ازدياد عدد السكان العرب

ازداد عدد سكان المدينة العرب سنة ١٩٥٦، وبلغ نحو ثلاثة آلاف نسمة، من ضمنهم نحو ٧٠٠ رجل وشاب وشابة يحتاجون إلى عمل. ولم يعد اتحاد عمال فلسطين قادراً على إيجاد أعمال لهم. لذا قامت الهستدروت بإلغائه وقبول العمال العرب في عضويتها، الأمر الذي ساعد كثيراً في حل مشكلة البطالة بينهم. وأصبح العمال العرب يحصلون على أعمال لهم من مكتب العمل الهستدروتي، بعد حصولهم على عضوية الهستدروت ومؤسساتها، وخصوصاً في صندوق المرضى، كوبات حوليم. وقد انتسب أغلبيتهم إليه في مقابل خصم نسبة ضئيلة من مرتبهم الشهري، كل بحسب دخله. لذلك ارتفع مستواهم الصحي كثيراً.

نتيجة تدفق المهاجرين اليهود إلى المدينة، كما ذكر سابقاً، كان عدد سكانها يزيد في استمرار. يبين الجدول التالي عدد سكان المدينة حتى سنة ١٩٥٨.

السنة	عدد السكان	المصدر	ملاحظات
١٩٤٨	١٠٥٦	النشرة السنوية الحكومية، ص ١٠	جميعهم من العرب الذين لم يغادروها
١٩٥٢	١٥,٩٤٠	نشرة بلدية اللد سنة ١٩٧٠	بلغ عدد السكان العرب نحو ٢٥٠٠
١٩٥٣	١٧,٥٠٠	النشرة السنوية الحكومية رقم ٧، ص ١٠	
١٩٥٤	١٧,٥٠٠	النشرة السنوية الحكومية، ص ١٠	
١٩٥٥	١٧,٧٠٠	النشرة السنوية الحكومية، ص ١٠	بلغ عدد السكان العرب نحو ٣٠٠٠
١٩٥٦	١٨,٢٥٠	النشرة السنوية الحكومية، ص ١٠	
١٩٥٧	١٨,٦٠٠	النشرة السنوية الحكومية، ص ٩	
١٩٥٨	١٩,١٠٠	النشرة السنوية الحكومية، ص ١٧	بلغ عدد السكان العرب نحو ٣٥٠٠

يتضح من الجدول سبب صعوبة استيعاب المهاجرين الجدد في المدينة، وصعوبة إيجاد بيوت صالحة للسكن، وإيجاد أماكن عمل لهذا العدد الكبير من الناس في وقت قصير، فقد زاد عدد سكان المدينة ١٤ ضعفاً عما كان عليه سنة

١٩٤٨، أي بعد الاحتلال حتى سنة ١٩٥٢، خلال ثلاثة أعوام.

استفحلت أزمة المساكن مع ازدياد عدد السكان، وامتلأ جميع مساكن المدينة بالمهاجرين الجدد، حتى منازل البلدة القديمة أيضاً. وكما ذكرنا سابقاً، فإن عدد سكان البلدة القديمة بلغ مع السكان العرب فيها نحو ٤ آلاف نسمة. وكان عدد من المنازل فيها آيلاً للسقوط، وأصبحت تشكل خطراً على سكانها. لذلك قامت السلطات الحكومية والبلدية ببناء أحياء جديدة في المنطقة الفاصلة بين المدينة ومحطة سكة الحديد، قامت ببنائها عدة شركات بناء كبيرة. وبما أن كل شركة بناء أُوكل إليها البناء في شوارع معينة، أصبحنا نرى جميع أبنية الشارع متطابقة في أشكالها وأحجامها. حتى سنة ١٩٥٢، أُنجز بناء ٢٠٥ مباني سكنية كبيرة ضمت ٧٥٠ وحدة سكنية. وبما أن تلك المباني أقيمت على أراض كانت مغروسة بأشجار الزيتون، فقد سميت «نفي زايت» أي «واحة الزيتون». وتقع تلك الأراضي جنوبي المدينة. وقد أُقيم في هذا الحي شوارع معبدة وأرصفة مضاءة. كما أن مشكلة نقص المياه حُلت بعد إتمام إصلاح الأنابيب وإعادة تشغيل الآبار القديمة.

حادي عشر: المدارس والتعليم في اللد في الخمسينات

منذ البداية، كان التعليم في المدارس الحكومية في إسرائيل عامة إلزامياً ومجانياً لجميع سكان البلاد، من دون تمييز، حتى المرحلة الابتدائية التي تضمنت ثمانية أعوام.

لذلك، قامت وزارة المعارف والثقافة بالتعاون مع سلطات الحكم المحلي بفتح عدة مدارس في المدينة لتعليم الطلاب والطالبات على مختلف اتجاهاتهم وانتماءاتهم. على الرغم من أن جميع المدارس حكومية فإنها لا زالت ذات اتجاهات وانتماءات فكرية متباينة مثل: ١ ـ مدارس المتدينين؛ ٢ ـ مدارس المتدينين المتشددين من جماعة أغودات يسرائيل؛ ٣ ـ المدارس الحكومية العامة؛ ٤ ـ المدارس الحكومية لتعليم الطلاب والطالبات العرب وكانوا يسمونها مدارس الأقليات، إذ كان التعليم فيها باللغة العربية. كما اختلفت برامج التعليم في هذه المدارس عن برامج التعليم في المدارس اليهودية. وقد أقامت وزارة المعارف دائرة مركزية تكون هي مسؤولة عن تعليم أبناء الأقليات (العرب) وتدعى رسمياً بهذا الاسم.

في البداية، استغلت البلدية، وهي المسؤولة رسمياً عن إقامة أبنية المدارس وصيانتها، أبنية المدارس التي كانت قائمة قبل قيام الدولة، والتي لا يزال بعضها مستعملاً حتى الآن. كما استولت على عدد من البيوت الكبيرة في المدينة وأهلتها لتستعمل كمدارس.

في البداية، كان التعليم في معظم مدارس المدينة يجري على مرحلتين: مرحلة في الصباح وأُخرى في المساء. وذلك بسبب قلة أبنية المدارس وازدياد عدد الطلاب، كما كان التعليم في المدارس مختلطاً، طلاب وطالبات في المدرسة نفسها والصف نفسه.

بعد عدة أعوام، قامت البلدية بمساعدة وزارة المعارف ببناء عدة مدارس جديدة، وقد أُلغي نظام تعليم المرحلتين، بحيث اقتصر التعليم على ساعات الصباح حتى ساعات بعد الظهر. كما قامت البلدية ببناء عدة أبنية للشبيبة اليهودية. وفيما يلي جدول مفصل بعدد الطلاب والمعلمين، الصفوف والفرق حتى سنة ١٩٥٨.

السنة	١٩٥٠	١٩٥١	١٩٥٢	١٩٥٣	١٩٥٥	*١٩٥٨
عدد الطلاب	١٤٢٣	١٦٣٨	٢١٠١	٢٥٢٤	٢٩٠٠	٣٩٠٢
عدد المعلمين	٥٧	٧٣	٩١	٩٩	لا توجد معلومات	ـ
عدد الصفوف	٥٢	٦٣	٧٧	٨٥	٧٧	١١٨
عدد الفرق	٥٣	٦٤	٧٣	٨٠	٥٤	٧٩

* التفصيلات للسنوات ١٩٥٠ ـ ١٩٥٣، مأخوذة من كتيب «ثلاث سنوات لبلدية اللد»، ص ٣٢.
التفصيلات للسنوات ١٩٥٥ ـ ١٩٥٨، مأخوذة من كتيب «عشر سنوات واللد عبرية».

في بداية الخمسينات، فتحت مدرسة عربية صغيرة في أحد بيوت حي السكنة، بالقرب من الجامع الكبير، وكان فيها ثلاث غرف لثلاثة صفوف، ويعلم فيها ثلاثة معلمين. ثم أضيف إليها أربع غرف موقتة لتصبح سبعة صفوف. بعد ثلاثة أعوام، أضيف إليها بناية من ثلاث طبقات تحتوي ست غرف واسعة مع ملحقاتها.

نظراً إلى ازدياد عدد السكان العرب السريع، أُقيمت بناية موقتة تتكون من خمس غرف أُخرى، وأصبح عدد طلاب المدرسة نحو ٨٠٠ طالب وطالبة. وأصبحت مدرسة ابتدائية كاملة فيها ١٦ صفاً.

لم يكن في المدينة مدرسة ثانوية يهودية أو عربية، وكان على الطلاب الذين يرغبون في إكمال دراستهم في المدارس الثانوية أن يسافروا إلى تل أبيب ـ يافا أو المدن المحيطة بها، الأمر الذي كان يسبب مشقة في السفر ذهاباً وإياباً، بالإضافة إلى أجرة التعليم في المدارس الثانوية التي لم تكن مجاناً، وأجرة السفر في الحافلات.

لذلك انقطع عدد كبير من الطلاب والطالبات عن التعليم بعد إنهائهم مرحلة التعليم الابتدائي. استمر هذا الحال حتى أواخر الخمسينات، إذ بدىء بناء مدرسة ثانوية عبرية كبيرة في منطقة تقع بين اللد والرملة، قرب موقع بير الزيبق لطلاب اللد والرملة. هذا بالنسبة إلى الطلاب اليهود. أمّا الطلاب العرب، في المدينتين، الذين يرغبون في إكمال دراستهم الثانوية، فكان عليهم السفر إلى خارج المدينتين بعيداً حتى إنهم وصلوا الناصرة في الجليل، وحيفا وقرى المثلث. ولم يتمكن إلاّ عدد قليل نسبياً من إكمال تحصيلهم العلمي، إذ كان عليهم الالتحاق بالمدارس الداخلية حيث كانوا يدفعون مبلغاً كبيراً من المال يشمل: أجرة المبيت والأكل، بالإضافة إلى الرسوم التعليمية العالية في المدارس الثانوية الخاصة. وقد تمكن عدد من الطلاب العرب من الالتحاق بمدرسة اللد ـ الرملة الثانوية اليهودية على الرغم من اختلاف مناهج التعليم بين المدارس اليهودية والعربية، وحيث يجري التعليم فيها باللغة العبرية.

ثاني عشر: هدم معظم أحياء البلدة القديمة سنة ١٩٥٥

قام المقاولون الذين استخدمتهم بلدية اللد ـ بعد ترحيل سكانها يهوداً وعرباً وتعويضهم من بيوتهم ـ بهدم معظم أحياء البلدة القديمة على الرغم من وجود عدة مبانٍ أثرية مهمة. كان السكان العرب قد أخبروا البلدية عنها، لكنها لم تعمل شيئاً لإنقاذها والمحافظة عليها. قامت الجرافات بهدم جميع المباني ومحوها عن وجه الأرض، ثم تمت تسوية الأرض لإقامة حي جديد ذي أبنية مكونة من أربع طبقات. سكن اليهود في هذا الحي في أبنية جديدة أقيمت غربي المدينة. أمّا العرب فاشتروا المنازل العربية في الحي الغربي القائم قبل قيام الدولة. كما أن بعض المباني القديمة التي تحيط بالجامع الكبير والكنيسة لم تهدم، إذ بقي فيها سكانها العرب. ونتيجة هدم معظم مباني أحياء البلدة القديمة، تم القضاء على أوكار الفساد وبيوت الدعارة التي كانت منتشرة في تلك الأحياء.

مع ازدياد عدد سكان المدينة المستمر، بسبب استمرار تدفق المهاجرين الجدد والزيادة الطبيعية، ازدادت الحاجة إلى إقامة أبنية سكنية جديدة وأبنية عامة للشعب، لذلك قامت وزارة الإسكان ببناء أحياء جديدة ضمت عدة مئات من الوحدات السكنية، بالإضافة إلى بناء عدة مدارس وأندية كثيرة. كما أُقيمت أبنية خاصة بصندوق المرضى التابع لنقابة العمال العامة الهستدروت ولغيرها من المؤسسات. ومع إقامة تلك الأحياء ذات الشوارع العريضة المعبدة والمضاءة، اتسعت المدينة كثيراً وزاد عدد سكانها. وأصبحت هناك حاجة ماسة إلى إيجاد أماكن عمل جديدة كافية لاستيعاب مئات الأيدي العاملة. لهذا قام رئيس بلدية اللد الجديد، كميل ألكسندر، بمحاولات متكررة بيّن فيها، لمختلف الوزارات الحكومية، حاجة المدينة الماسة إلى إقامة مصانع جديدة، وتوسيع المصانع الموجودة. وافقت الحكومة على إقامة مصنع بيديك لصناعة الطائرات وصيانتها، الذي استوعب آلاف الأيدي العاملة من المدينة وخارجها، كما قامت الهستدروت بتوسيع مصنع تلراد لصناعة أجهزة الهاتف، واستوعب مئات الأيدي العاملة، وخصوصاً المهندسين والفنيين، فخفت أزمة البطالة في المدينة بعض الشيء.

فيما يلي جدول بعدد سكان المدينة في السنوات ١٩٥٨ ـ ١٩٦٩

السنة	عدد السكان	المصدر
١٩٥٨	١٩,١٠٠	نشرة الإحصاء السنوي الإسرائيلي لسنة ١٩٥٩، ص ١٧
١٩٦٠	٢٠,٢٠٠	نشرة الإحصاء السنوي الإسرائيلي لسنة ١٩٦١، ص ٣٦
١٩٦٢	٢١,٠٠٠	نشرة الإحصاء السنوي الإسرائيلي لسنة ١٩٦٣، ص ٣١
١٩٦٤	٢٣,٤٠٠	نشرة الإحصاء السنوي الإسرائيلي لسنة ١٩٦٥، ص ٣٤
١٩٦٦	٢٥,٠٠٠	نشرة الإحصاء السنوي الإسرائيلي لسنة ١٩٦٧، ص ٣٢
١٩٦٩	٢٨,٣٠٠	نشرة بلدية اللد لسنة ١٩٦٩ (بلغ عدد السكان العرب أكثر من ٦٥٠٠ نسمة)

في الستينات، وصلت إلى المدينة عدة عائلات عربية من قرى عربية كانت تقع شمالي تل أبيب، مثل قرية الشيخ مونس وإجليل وغيرهما، أجلتهم السلطات عن قراهم وبيوتهم وأحضرتهم إلى اللد، حيث أعطتهم بعض الأراضي فيها بدلاً من أراضيهم التي صادرتها السلطات في قراهم، والتي ضُمت إلى مدينة تل أبيب. تقع الأراضي المذكورة غربي المدينة في بيارة شنير وحولها، وقد قاموا ببناء منازلهم فيها. وقد دُعيت هذه المنطقة حي شنير، وهو يبعد عن

مركز المدينة نحو كيلومترين، لكن الطريق الموصلة من المدينة إلى حي شنير، ليست معبدة حتى اليوم، مع أن عدد سكان هذا الحي يبلغ في هذه الأيام نحو ١٥٠٠ نسمة.

بلغ عدد سكان المدينة في أوائل الستينات من هذا القرن ما يزيد على ٢٠,٠٠٠ (عشرين ألف نسمة)، منهم نحو ستة آلاف عربي. لم يستمر العرب في الإقامة بحي المحطة كما في السابق، بل توزعوا على معظم أحياء المدينة، في منازل أخلاها اليهود ليسكنوا في الأحياء التي بنيت حديثاً.

ثالث عشر: حالة العمل
في اللد

بقي العمال العرب في المدينة غير منظمين مهنياً، ومنعوا من الانتماء إلى الهستدروت ونقاباتها المتعددة منذ سنة ١٩٤٩، كما لم يسمح لهم بتسجيل أسمائهم في مكاتب العمل التابعة للهستدروت للحصول على أعمال رسمية بأجرة تعينها النقابات. فكما ذكرنا سابقاً، سمح لهم بالالتحاق باتحاد عمال فلسطين المشلول، الذي لم يكن لديه سوى الأعمال الزراعية. ومع هذا فقد عمل بعضهم بصورة مستقلة، وخصوصاً في أعمال البناء والمهن الحرة. وفي سنة ١٩٦٠، أُلغي اتحاد عمال فلسطين، وسمح للعمال العرب والمثقفين بالالتحاق بالهستدروت، والاشتراك في صناديقها المتعددة مثل صندوق المرضى وصناديق التقاعد للنقابات المهنية الكثيرة، التي كانت تدفع إلى العمال المشتركين أجراً عن أيام المرض والأعياد والعطل السنوية، بالإضافة إلى حصولهم على أجر تقاعدي مدى الحياة. والمهم في الأمر حصولهم على أجورهم بصورة رسمية وفق ما تقرره النقابات، بعد أن كانوا تحت رحمة أصحاب العمل في جميع شروطهم. وقد شعر السكان العرب بارتياح كبير لهذه الخطوة المهمة، التي منحتهم شعوراً ببعض المساواة، وعدم التفرقة بين العامل اليهودي والعامل العربي في مجالات العمل. كما أصبح لهم الحق في الاشتراك في انتخابات مجالس العمال واللجنة المركزية للهستدروت، مثل زملائهم اليهود أعضاء الهستدروت. ومنذ حصولهم على المواطنة الإسرائيلية، أصبح يحق لهم الاشتراك في عملية الانتخابات البرلمانية (الكنيست) بصورة متساوية وكذلك في عملية انتخاب المجالس البلدية والمحلية تماماً مثل سائر الإسرائيليين.

اتسعت المدينة كثيراً وأصبحت مدينة حديثة ذات أبنية عالية، وشوارع

واسعة مرصوفة، ومضاءة بالكهرباء، وغرست على جوانبها الأشجار. وأقامت البلدية حديقة عامة كبيرة غرست بالأشجار والأزهار والأعشاب، وأُضيئت ساحاتها وجوانبها، وأُقيم في وسطها نصب تذكاري نقش عليه أسماء الجنود الذين قتلوا في معارك احتلال المدينة في تموز/يوليو ١٩٤٨. كما بنيت عدة أندية للطلاب والشبيبة للنشاط الرياضي والثقافي والاجتماعي. وتم فتح دار للسينما في منزلين عربيين كبيرين. ونشطت الحركة التجارية بصورة كبيرة في الأسواق، وأُعيد فتح جميع حوانيت المدينة. وكما كان في السابق قبل قيام الدولة، فإن المركز التجاري الرئيسي كان ولا يزال حتى اليوم في سوق البلدية الممتد من ساحة بلدية اللد إلى ساحة جامع دهمش وحولهما. ويحتوي هذا المركز ما يزيد على مئة حانوت، بالإضافة إلى عشرات الحوانيت الأُخرى الموجودة في الشوارع المتفرعة من شارع السوق الكبير، هذا عدا عشرات الحوانيت المنتشرة في أحياء المدينة المختلفة. أمّا سوق اللد الأسبوعي الشهير منذ أقدم الأزمنة، فكان ولا يزال القلب التجاري النابض، لا لسكان المدينة فحسب، بل للمدن والقرى القريبة والبعيدة عن المدينة. ففي كل يوم ثلاثاء من كل أسبوع يقصد المدينة آلاف الباعة والمشترين لكل أنواع البضائع وبكميات كبيرة. بنت البلدية ما يزيد على ألف بسطة من الأسمنت المسلح على مساحة واسعة بالقرب من سوق البلدية، وقامت برصفها وإنارتها. يوجد في السوق مكتب لمراقبي البلدية ومركز صغير للشرطة، ومنافع عامة لخدمة الجماهير التي تؤمه.

وقد أضيف يوم ثانٍ إلى يوم الثلاثاء، وأُصبح السوق يعمل يوم الاثنين على بيع الخضروات والفواكه وجميع أنواع المأكولات الأُخرى والبقالة، ومواد التنظيف، وأنواع الحلويات الغربية والشرقية، وأمّا يوم الثلاثاء فتباع فيه جميع أنواع الألبسة والأقمشة وأدوات المطبخ. تقوم البلدية بتأجير البسطات مدة عام كامل، يجدد في نهايته. وطبعاً، تشرف البلدية على ترتيب السوق ونظافته. وعندما امتدت المدينة بشوارعها وأحيائها في الأراضي التي تقع جنوبي المدينة وجنوبي شرقيها، قامت البلدية بإنشاء سوق تجاري جديد يضم أكثر من عشرين حانوتاً، وداراً للسينما، وبناء كبيراً لمكاتب البلدية ومؤسساتها، يحيط به ساحة واسعة ومبلطة ومضاءة تحتوي عشرات أماكن الجلوس وبعض الحدائق الصغيرة التي زرع فيها عدد من أشجار النخيل، الأمر الذي أعطى المركز والساحة منظراً جميلاً ومريحاً. يقع هذا السوق في الطرف الجنوبي للمدينة الانتدابية، لكنه أصبح الآن في وسطها. وقد انتقلت بلدية اللد ومكاتبها من مكانها السابق، في بيت سليم منير، إلى عمارتها الجديدة، وبقيت دائرة المالية والمحاسبة في

مكانها السابق. كما بُنيت عدة مدارس ابتدائية ونحو عشرين روضة أطفال. واتسعت مدرسة الرملة ـ اللد الثانوية، وأضيف إليها عدة أبنية حديثة وأصبحت مدرسة ثانوية كاملة تضم عدة مختبرات ومكتبة وملاعب رياضية حديثة متعددة. وقامت «الهستدروت» ببناء مبنى كبير مؤلف من ثلاث طبقات، ضم مكاتب سكرتير مجلس العمال في المدينة، ودوائر النقابات المهنية والعمالية المتعددة. أمّا منظمة صندوق المرضى كوبات حوليم، التابعة للهستدروت، والمسؤولة عن صحة ومعالجة جميع أعضاء الهستدروت ونقاباتها المهنية، فقد أنشأت عدة عيادات صحية يومية مع عيادة مركزية تضم أطباء متخصصين بجميع فروع الطب، بالإضافة إلى مختبر. أنشأت البلدية مكتبة كبيرة عامة في مبنى كبير وجميل يضم عدة قاعات للمطالعة، تحتوي آلاف الكتب. سُميت المكتبة «لدوروت» أي للأجيال، تبرع بها الثري اليهودي روتشيلد، ويقصدها أولاد المدارس والباحثون والمفكرون الكبار على اختلاف توجهاتهم العلمية.

رابع عشر: حالة
سكن العرب في اللد

مع تزايد عدد السكان العرب في المدينة زيادة كبيرة، وعدم رغبة معظمهم في السكن في الأبنية المتعددة الطبقات والشقق، إذ إنهم اعتادوا السكن في مساكن مستقلة وواسعة نسبياً ولها ساحة واسعة وحديقة خاصة بها، فقد طالبوا وزارة الإسكان وبلدية اللد ببناء حي خاص بهم يلبي حاجاتهم ويوافق عاداتهم. وبما أن طلبهم هذا يتفق مع مخططات البلدية للإسكان، والتي كانت تقضي بتركيز السكان العرب في أحياء خاصة بهم، بدلاً من مخالطة السكان اليهود في الأحياء اليهودية الجديدة، فقد وافقت البلدية ووزارة الإسكان على تحديد قطعة أرض واسعة لبناء حي عربي على النمط الشرقي. تقع هذه الأرض شمالي البلدة القديمة على أراضي اللد التاريخية منذ العهد الروماني، ويملك معظمها الحاج إبراهيم حمزة، وكانت بيارة حمضيات. سمي هذا الحي نفي ييرك، أي حي «الواحة الخضراء»، وقد أقيمت فيه عشرات المباني الصغيرة ذات الطبقة الواحدة والمخصصة لعائلة واحدة، وتضم كل وحدة حديقة صغيرة. وعندما ازداد عدد سكان هذا الحي، أصبحت هناك حاجة إلى بناء مدرسة، فأقيمت مدرسة ابتدائية اتسعت مع الزمن وفقاً لزيادة عدد الطلاب في الحي، وأصبحت مدرسة ابتدائية كاملة تدعى المدرسة الراشدية.

يتكون بناء المدرسة من ثلاث طبقات[١٤] فيه ١٦ غرفة. وقد بلغ عدد طلابها ما يزيد على ٤٠٠ طالب وطالبة. اللغة الأساسية في المدارس العربية هي اللغة العربية ثم العبرية واللغة الإنكليزية الثالثة. ويتم تعليم اللغة العبرية في الصف الثالث الابتدائي. كذلك أقيم ناد بلدي رياضي وثقافي للطلاب والشبيبة العربية، كما تم بناء أربعة حوانيت لخدمة سكان الحي. بعد هذا عبدت شوارع الحي وأقيمت أرصفة مبلطة لجميع شوارعه. نظراً إلى زيادة السكان الطبيعية العالية نسبياً، سُمح لسكان الحي بتوسيع بيوتهم وزيادة عدد غرفها، كما سُمح لهم ببناء طبقة ثانية، وبعد عدة أعوام عمدت السلطات إلى زيادة الوحدات السكنية في الحي. أمّا بقية السكان العرب فيسكنون في منازل عربية كانت قائمة قبل احتلال المدينة، بعد شرائها (بالمفتاحية) من سكانها اليهود الذين انتقلوا إلى الأحياء الجديدة التي يسكنها اليهود، ذات الطبقات المتعددة. هناك ظاهرة غير مشجعة، وهي أن الأبنية المتعددة الطبقات، والتي سكن العرب في بعض شققها، يقوم السكان اليهود ببيع شققهم للعرب، ليسكنوا في الأحياء اليهودية الصرف. لكن السكان العرب منتشرون في جميع الأحياء اليهودية تقريباً، وقلما تجد حياً يهودياً صرفاً.

في أواسط الثمانينات، قامت السلطات الحكومية والبلدية ببناء حي عربي جديد يضم عدة وحدات سكنية شمالي المدينة، ملاصق لحي الواحة الخضراء سمي حي ياسمين، لسد حاجات السكان العرب الآخذة في الازدياد المتواصل، نظراً إلى الزيادة الطبيعية، وإلى قدوم عائلات عربية كثيرة أجلتها السلطات العسكرية عن أماكن سكناها في النقب. أضافت وزارة الإسكان والبلدية حياً عربياً آخر غربي المدينة، شمالي محطة القطارات، يضم عشرات الوحدات السكنية في أبنية متعددة الطبقات، وسمي حي وردة، وذلك خلال ١٩٩٠ ـ ١٩٩١. كما قامت عدة عائلات ببناء مساكن خاصة لها في أراضيها، بالإضافة إلى عدة عائلات عربية لا تزال تسكن في بيوت قديمة حول الجامع والكنيسة، وعائلات كثيرة تسكن في بيوت قديمة في أطراف المدينة في حي غربي السكة يقع غربي المدينة.

عمدت الحكومة إلى إيجاد طريقة لتمكين السكان من شراء منازل أو شقق، تتلخص في عقد اتفاقات مع البنوك المتعددة لمنح قروض طويلة الأجل لكل

---

(١٤) سنة ١٩٩٤، بنت البلدية مدرسة عربية ابتدائية رابعة في حي الوردة الذي أقيم في الجهة الغربية من محطة القطارات.

من يشتري منزلاً، بفائدة مخفضة تدفع وزارة الإسكان جزءاً من هذا المبلغ من دون فائدة، وأحياناً من دون ربط المبلغ بجدول غلاء المعيشة، يُسدد على أقساط تمتد عدة أعوام حتى عشرين عاماً أو أكثر. من الجدير بالذكر أن القرض الذي تدفعه وزارة الإسكان للمواطن العربي أقل مما تدفعه للمواطن اليهودي، بحجة أن المواطن اليهودي يخدم في الجيش الإسرائيلي، ويؤدي واجبه في المحافظة على الدولة وأمنها. من الواضح، أن تلك القروض التي تعطيها البنوك ووزارة الإسكان لا تكفي لتغطية نحو نصف المبلغ المطلوب لشراء المسكن، فتكون النتيجة أن الذي يملك ثمن المسكن ويدفعه فوراً، يدفع مرة واحدة، وأمّا الذي يأخذ قرضاً من البنك ووزارة الإسكان لفترة طويلة، فيدفع ثلاثة أضعاف الثمن وأحياناً أكثر من ذلك.

بعد سنوات من مطالبة سكان المدينة العرب بلدية اللد ووزارة المعارف بفتح مدرسة ثانوية عربية لاستيعاب مئات الطلاب العرب من اللد والرملة الراغبين في مواصلة تعليمهم الثانوي، وافقا وأقيمت هذه المدرسة في منتصف الطريق بين محطة اللد والرملة، بتمويل من مؤسسة مفعال هبايس، التي تقوم ببيع أوراق يانصيب لألعاب كرة القدم وغيرها والتي يرصد ريعها لبناء مدارس وأندية للطلاب والشبيبة في جميع أنحاء إسرائيل.

يبلغ عدد طلاب هذه المدرسة حالياً نحو ٥٠٠ طالب وطالبة، ويتعلم الطلاب في هذه المدرسة عدة موضوعات علمية وأدبية وصناعية.

خامس عشر: تطور آخر في المدينة

اتسعت الحركة الصناعية في المدينة وتطورت كثيراً، إذ أقيمت عدة مصانع جديدة وتطورت واتسعت المصانع القديمة التي أقيمت في بداية الستينات. ومن المصانع الجديدة التي أقيمت في السبعينات تقريباً، مصنع كرغال لصناعة الكرتون والصناديق الكرتونية بجميع أحجامها. أصبحت الحمضيات التي تصدر إلى خارج البلاد تعبأ بصناديق كرتونية فضلاً عن بقية البضائع. أمّا مصنع تلراد للهواتف والبدالات بأنواعها وأحجامها المتعددة، فقد تطور وتوسع كثيراً، حيث زاد عدد عامليه، من مهندسين وفنيين ومهنيين، وأصبحوا عدة مئات. وكان يصدر إنتاجه إلى عدة دول، وخصوصاً الدول الآسيوية، والإفريقية، وأميركا اللاتينية وبعض الدول الأوروبية. وقد أصبح عدد عامليه في هذه الأيام نحو

ألفين، نصفهم تقريباً من المدينة، والنصف الآخر من مختلف المدن والقرى الإسرائيلية الأُخرى، ويعمل فيه حالياً عدة عشرات من الفنيين والمهنيين من عرب المدينة.

هناك أيضاً مصنع تكرير زيت السيارات المستعمل، ويعمل فيه عشرات العاملين يهوداً وعرباً، وكذلك مصنع الورق سوبرا، الذي يقوم بإنتاج الورق على أنواعه، ويعمل فيه أيضاً عشرات العاملين وبعضهم من العرب. ويوجد في المدينة عدة مصانع صغيرة أُخرى. أمّا مصنع بيديك لإنتاج الطائرات وصيانتها، فيعمل فيه حالياً نحو ١٨,٠٠٠ شخص بين مهندس وفني ومهني. ويصدر طائراته الحربية والمدنية إلى عدة دول في العالم، بالإضافة إلى تصنيع الطائرات الحربية والصواريخ وغيرها لحساب الجيش الإسرائيلي. من الجدير بالذكر أنه لا يسمح للعرب بالعمل في هذا المصنع لأنه مصنع أمني، ويبعد نحو ٥ كلم شمالي المدينة ومعظم عامليه من خارجها.

سادس عشر: اللد
خلال ١٩٧٠ ـ ١٩٩٠

في بداية العقد الثامن، بلغ عدد سكان المدينة نحو ٢٠ ألف نسمة، منهم نحو ٧ آلاف عربي منهم نحو ألف مسيحي، معظمهم من الطائفة الأرثوذكسية، والباقون مسلمون. ولا يزال قدوم المهاجرين إليها مستمراً لكن بأعداد قليلة، لا كما كان سابقاً. ويفد إليها بعض العائلات اليهودية التي يعمل معيلوها في منطقة اللد. لذلك فإن اتساع المدينة وتطورها مستمران. أُقيمت أحياء جديدة ذات أبنية حديثة ومرتفعة يتكون بعضها من عشر طبقات أو أكثر. وضعت البلدية خريطة هيكلية جديدة للمدينة ستصبح بموجبها مدينة كبرى تستوعب ٧٥ ألف نسمة وأكثر، وقد وافقت لجان التخطيط الحكومية عليها. بموجب الخطة، فُصلت الأحياء السكنية عن المناطق الصناعية فيها، لإبعاد ضجة المصانع ولإبعاد الروائح المختلفة والمحافظة على نقاوة الجو والبيئة داخل الأحياء السكنية. وبموجب تلك الخريطة الهيكلية ستتوسع المدينة نحو الجهة الشرقية والجنوبية. وقد بدىء بإقامة أحياء سكنية ومراكز خدمات كثيرة، مثل محطة باصات مركزية للمدينة، وبركة سباحة كبيرة تحيط بها مساحات واسعة من الأراضي المكسوة بالعشب الأخضر والمزروعة أشجار الزيتون، وملاعب رياضية وأندية متعددة، بالإضافة إلى مركز تجاري ومراكز ترفيهية أُخرى لخدمة السكان ورفاهيتهم.

ويبذل جهد خاص في تحسين وجه المدينة وتحسين الأبنية الحالية وتوسيعها، وتنظيم المنطقة الصناعية وتطوير قطاع التجارة والخدمات. وقد بقيت المنطقة الصناعية بعيدة عن المناطق السكنية في غربي المدينة وفي شماليها، بينما خُططت الأحياء السكنية في الأنحاء الشرقية والجنوبية منها، وخصصت قطعة أرض واسعة غربي المدينة في محاذاة خطوط سكة الحديد لبناء مخازن كبيرة وورش صغيرة. بدأت البلدية تخطيط المنطقة وفتح شوارع داخلها ومنها إلى المدينة. كذلك تم ربط المنطقة بالشبكة الكهربائية. أمّا المناطق السكنية فقد قسمت إلى أربع مناطق متدرجة، وقد تقرر أن تكون الأبنية السكنية الجديدة كبيرة ومرتفعة وكثيرة الشقق. أمّا حي السكنة في البلدة القديمة فقد تمت إزالته وأقيم مكانه حي جديد أطلق عليه اسم حي ليفي إشكول، وهو أحد رؤساء الحكومة السابقين. تتكون أبنية هذا الحي من أربع طبقات، كما عبدت طرقه ورصفت أرصفته وغرست حولها الأشجار. وخصصت قطعة أرض لكل بناء تكون حديقة صغيرة له. كما تم في الوقت الراهن بناء مدرستين ابتدائيتين يهوديتين في هذا الحي. ولم يبق من البلدة القديمة إلا منطقة الجامع الكبير وكنيسة سان جورج الخضر ومبنى الطائفة الإنجيلية الذي كان يُستعمل مستشفى أيام معارك الاحتلال سنة ١٩٤٨، وعدد قليل من البيوت المسكونة، وكذلك مبنى الخان القديم ومصبنتان قديمتان كان يصنع بهما الصابون.

بموجب الخريطة الهيكلية لسنة ١٩٧٠، خُصصت أراضٍ واسعة جنوبي المدينة، بينها وبين الرملة، لإقامة ما يسمونه القرية التعليمية، وتضم عدة مدارس ثانوية مثل مدرسة الرملة ـ اللد الثانوية العبرية ومدرسة أورط العلمية الصناعية العبرية والمدرسة الثانوية العربية الشاملة للرملة واللد ومدرستين للمتدينين اليهود. وتقرر أن يقام في هذه المنطقة ملاعب رياضية لـ: كرة القدم وكرة السلة والكرة الطائرة وغيرها. وبحسب الخريطة حُلت أيضاً مشكلة مياه المجاري، إذ أصبحت هذه المياه تصب في برك تطهير أُقيمت غربي المدينة قرب محطة القطارات. وأصبح جزء من هذه المياه المطهرة يستعمل في ري بيارات البرتقال الموجودة هناك. وقد بدىء بمشروع جرّ هذه المياه إلى مجرى وادي اللد الكبير، أيلون. كذلك يُعمل على إنجاز شبكة مجاري مياه الأمطار وتوسيعها وصيانتها لمنع تجمع تلك المياه في الشوارع. وقد بدىء العمل بإقامة شبكة كهرباء جديدة وحديثة لإنارة الشوارع في أنحاء المدينة. ونظراً إلى ازدياد سكان المدينة السريع، قامت البلدية ووزارة المعارف ببناء عدة مدارس ابتدائية جديدة وروضات أطفال في مختلف أنحاء المدينة.

أمّا سكان المدينة العرب فقد ازدادوا كثيراً من جراء هجرة بعض العشائر البدوية من النقب إلى المدينة، بعد إجلائهم عن أماكن سكناهم هناك. وقد استوطن هؤلاء السكان في أطراف المدينة من دون تخطيط أو تحضير لاستقبالهم واستيعابهم في المدينة من البلدية أو من أي هيئة حكومية أُخرى. سكنوا في الأبنية المتروكة التي لا تصلح للسكن، وفي كل كوخ، وبعضهم سكن الخيام على أراض ليست لهم، ولم توفر لهم أية خدمات بلدية أو غيرها، الأمر الذي سبب لهم ولغيرهم متاعب ومشكلات كثيرة ما كانت لتحدث لو كان هناك استعداد لحضورهم. وقد جابهوا مشكلات صعبة وقاسية في الأعوام الأولى بعد سكنهم في المدينة وأهمها: إيجاد أماكن عمل لهم لإعالة عائلاتهم، والعيش في مدينة متحضرة في حياتها وعاداتها ومفاهيمها. وهذه الأمور لم يعتادها مواطنون كانوا يعيشون في صحاري النقب حياة بدوية قبلية، لها عادات ومفاهيم تختلف كثيراً عن عادات ومفاهيم سكان المدن، وخصوصاً أن اللد أصبحت مدينة يهودية بأكثريتها. لكنهم تكيفوا وفق الأوضاع مع مرور الزمن، لكن بصعوبة كبيرة.

نظراً إلى قدوم المهاجرين اليهود بأعداد كبيرة، باشرت السلطات إقامة خمس مستعمرات يهودية زراعية حول اللد، على أراضي المدينة التي بلغت مساحتها أكثر من ١٩ ألف دونم. وهذه المستعمرات هي:

١ ـ موشاف زيفان، أقيمت شمالي غربي المدينة.

٢ ـ موشاف ياغل، أقيمت شمالي المدينة بالقرب من مطار اللد.

٣ ـ موشاف أحيعزر، أقيمت شمالي غربي المدينة.

٤ ـ موشاف غيناتون، أقيمت شرقي المدينة بينها وبين مستعمرة بن شيمن.

٥ ـ كفار ترومان، على اسم رئيس الولايات المتحدة الذي ساعد إسرائيل كثيراً قبل وفي أثناء حرب ١٩٤٨، وأقيمت شمالي شرقي المدينة.

منحت الحكومة لكل عائلة في المستعمرات المذكورة قطعة أرض كافية للزراعة ولتربية المواشي من دون مقابل.

سابع عشر: حالة العرب الاقتصادية

بلغ عدد سكان المدينة العرب سنة ١٩٩٢، ١٦ ألف نسمة تقريباً، أي بزيادة نحو ألفي نسمة نتيجة معدل الولادات الطبيعي، إذ إن المعدل لدى السكان العرب أعلى منه لدى السكان اليهود.

إن حالة السكان العرب الاقتصادية في المدينة حسنة، إذ يعمل معظم المعيلين العرب في المصانع والشركات داخل المدينة وخارجها وخصوصاً في منطقة تل أبيب. وهم يعملون بصورة منظمة بحسب قوانين العمل في البلاد، وتحت مظلة نقابة العمال اليهود، الهستدروت، ويتقاضون أجوراً جيدة. ويعمل البعض الآخر في وزارة المعارف كمعلمات ومعلمين في المدارس العربية في المدينة، ويبلغ عددهم عدة عشرات. وهناك عدد لا بأس به يعمل في بعض الوظائف الحكومية وفي بلدية اللد، فضلاً عن عدد آخر يعمل في مختلف الأعمال الحرة المستقلة، إذ يوجد في المدينة أكثر من مئة حانوت للمواد الغذائية والخضروات والفواكه والأدوات المنزلية وغيرها، بالإضافة إلى عدة ورش لإصلاح السيارات والنجارة والحدادة وأماكن بيع مواد البناء المختلفة وجميع أنواع الدهانات. كما يوجد عدد كبير من عمال البناء والصيانة معظمهم مهنيون يتقاضون أجوراً حسنة. هناك أيضاً أصحاب سيارات الشحن والأجرة. ويوجد عدة وكالات للتأمين ومكاتب مديري وتدقيق حسابات، يعمل فيها عدد لا بأس فيه من الموظفات والموظفين بالإضافة إلى عدة عيادات لطب الأسنان وغيرها. قلما تجد أناساً عاطلين عن العمل، وإن وجد فهم يتقاضون أجوراً من صندوق البطالة التابع لوزارة العمل. أمّا المرضى والمسنون فيتقاضون أجوراً من مؤسسة التأمين الوطني التي يشترك فيها جميع العاملين، رجالاً ونساء، حيث يدفعون دفعات شهرية بحسب دخلهم. كما يشترك أصحاب المصانع والشركات الخاصة والعامة، ويدفعون إلى مؤسسة التأمين الوطني بحسب عدد الأشخاص الذين يعملون عندهم. والجدير بالذكر أن جميع تلك الدفعات الشهرية من العمال وأصحاب العمل هي إجبارية بموجب قوانين البلاد.

يتضح مما ذكرناه أن حالة السكان الاقتصادية حسنة، الأمر الذي ينعكس إيجابياً على حياة السكان الاجتماعية ويرفع من مستواهم المعيشي وهو ما يؤدي، بصورة مباشرة، إلى رفع المستوى التعليمي والثقافي بينهم. كما يمتلك الكثيرون من السكان العرب في المدينة سيارات خاصة حديثة يبلغ عددها عدة مئات.

ثامن عشر: حالة العرب السياسية

على الصعيد السياسي، يحق لسكان إسرائيل العرب الاشتراك في انتخابات الكنيست الإسرائيلي، وهو المجلس التشريعي للبلاد حيث من واجباته وصلاحياته سن القوانين المتعددة في الدولة بعد موافقة أكثرية أعضائه عليها، كما ويحق له

منح الثقة بالحكومة على سياستها وقراراتها، أو حجب ثقته عنها، الأمر الذي يؤدي إلى إسقاط الحكومة واستقالتها، وتكليف حزب آخر بتأليف حكومة جديدة بدلاً منها. وإذا تعذر على الحكومة الجديدة الحصول على ثقة الكنيست تسقط هذه الحكومة أيضاً وتجرى انتخابات جديدة للكنيست الإسرائيلي. أمّا العرب في اللد فهم متفرقون ومختلفون في الأمور السياسية والحزبية مثلهم مثل السكان العرب في إسرائيل، وهم ينتمون أو يؤيدون عدة أحزاب يهودية في معظم الأحوال وعدة أحزاب عربية كذلك. بعض الأحزاب العربية يشكله حزب التجمع العمالي، وهو ما يسمى اليوم حزب العمل الإسرائيلي الذي يحظى بمعظم الأصوات العربية في البلاد. كما أن الأحزاب اليهودية المتعددة تحظى بنسبة قليلة من الأصوات العربية، أمّا باقي الأصوات العربية فتتوزع على الأحزاب والقوائم العربية المتعددة المرتبطة بحزب العمل أو الأحزاب المستقلة. وهذه الأحزاب هي:

١) **الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة،** هي ما بقي من الحزب الشيوعي الإسرائيلي سابقاً. وحزب الجبهة المذكور هو حزب يهودي عربي مشترك، مع أن الأغلبية العظمى من الأصوات التي يحصل عليها هي من السكان العرب في إسرائيل، بالإضافة إلى أصوات أقلية يهودية نشطة. ينص برنامج هذا الحزب على إقامة دولة فلسطينية مستقلة إلى جانب دولة إسرائيل تسود بينهما علاقات سلمية وتعاون اقتصادي وحسن جوار، كما يدعو إلى مساواة عرب إسرائيل مع سكانها اليهود، مساواة كاملة في جميع المجالات.

٢) **القائمة التقدمية للسلام،** تدعو إلى إقامة دولة فلسطينية على الأرض الفلسطينية إلى جانب دولة إسرائيل، وبوجوب مساواة مواطني دولة إسرائيل العرب مساواة تامة في جميع المجالات، وترفض ما جاء في بيان استقلال إسرائيل، وهو بمثابة دستور الدولة، الذي نص على: أن «دولة إسرائيل هي دولة الشعب اليهودي.» وتطالب بأن تكون دولة إسرائيل دولة لجميع مواطنيها من دون استثناء.

٣) **الحزب الديمقراطي العربي،** يدعو إلى مساواة عرب إسرائيل مساواة تامة بجميع مواطني الدولة من دون تمييز، كما يدعو إلى إقامة دولة فلسطينية إلى جانب دولة إسرائيل.

تحظى جميع هذه الأحزاب العربية بنحو ثلث الأصوات العربية في

إسرائيل، بينما يذهب ثلثا الأصوات العربية الأُخرى إلى حزب العمل وباقي الأحزاب اليهودية الأُخرى، الأمر الذي يضعف تأثير مواطني إسرائيل العرب في مجريات الأمور في الكنيست وفي المجالس البلدية، ويبعد المواطنين العرب عن وصولهم إلى أهدافهم المشروعة في مساواتهم مساواة تامة بالمواطنين اليهود في الدولة، وفي الحفاظ على الأراضي العربية ومنع مصادرتها من قبَل السلطات اليهودية وغيرها. كما يضعف مطالبتهم بإقامة دولة فلسطينية على الأراضي الفلسطينية إلى جانب دولة إسرائيل. إذ إن الكنيست يسن القوانين المتعددة ويصادق على أعمال الحكومة ومشاريعها بأكثرية أصوات أعضائه من مختلف الأحزاب، ومن ضمنهم أعضاء الكنيست العرب.

مَلاحِقْ

ملحق رقم ١

عائلات اللد

فيما يلي أسماء عائلات من اللد، ومعظمها عائلات لدية أصلية، تعيش في المدينة منذ مئات السنين:

١ ـ الصالحي؛ ٢ ـ الكيالي أو الناجي؛ ٣ ـ حسونة؛ ٤ ـ الحبش؛ ٥ ـ المنير (رزق)؛ ٦ ـ النقيب؛ ٧ ـ العلمي؛ ٨ ـ الشيخ قاسم؛ ٩ ـ أبو كويك؛ ١٠ ـ الرنتيسي؛ ١١ ـ الهنيدي؛ ١٢ ـ المهتدي؛ ١٣ ـ الحلتة؛ ١٤ ـ دهمش؛ ١٥ ـ صبح؛ ١٦ ـ حجازي؛ ١٧ ـ الصلاج؛ ١٨ ـ الزين؛ ١٩ ـ سابا (العزوني)؛ ٢٠ ـ جودة؛ ٢١ ـ الترتير؛ ٢٢ ـ حماد؛ ٢٣ ـ سمارة؛ ٢٤ ـ الخطيب؛ ٢٥ ـ الشافعي؛ ٢٦ ـ العداسي؛ ٢٧ ـ السعدي؛ ٢٨ ـ المصري؛ ٢٩ ـ هرون؛ ٣٠ ـ القورة؛ ٣١ ـ كوته؛ ٣٢ ـ الميمة؛ ٣٣ ـ الحصري؛ ٣٤ ـ الشابية؛ ٣٥ ـ الفار؛ ٣٦ ـ دوحل؛ ٣٧ ـ الحسيني؛ ٣٨ ـ الكرزون؛ ٣٩ ـ أبو حَمَد؛ ٤٠ ـ عبد الهادي؛ ٤١ ـ الخوري؛ ٤٢ ـ براغيته (البحر)؛ ٤٣ ـ الحاج ياسين؛ ٤٤ ـ ناصر؛ ٤٥ ـ دنون؛ ٤٦ ـ جبر؛ ٤٧ ـ طنوس؛ ٤٨ ـ زعرور؛ ٤٩ ـ عرفة؛ ٥٠ ـ شكوكاني؛ ٥١ ـ الشنودي؛ ٥٢؛ الحن؛ ٥٣ ـ العجل؛ ٥٤ ـ باطا؛ ٥٥ صقر؛ ٥٦ ـ ضبيط؛ ٥٧ ـ صخن؛ ٥٨ ـ سحويل؛ ٥٩ ـ اليعقوبي؛ ٦٠ ـ الحيت؛ ٦١ ـ اللوح؛ ٦٢ ـ الزين؛ ٦٣ ـ إمسيح (الأص)؛ ٦٤ ـ الشحري؛ ٦٥ ـ عازر؛ ٦٦ ـ أبو طوق؛ ٦٧ ـ الخليلي؛ ٦٨ ـ بقيلة؛ ٦٩ ـ بقلة؛ ٧٠ ـ عاشور؛ ٧١ ـ اللحام؛ ٧٢ ـ أبو مسلم؛ ٧٣ ـ الأسمر؛ ٧٤ ـ حجّارة؛ ٧٥ ـ النصلة؛ ٧٦ ـ خطّاب؛ ٧٧ ـ أبو رمانة؛ ٧٨ ـ الخالدي؛ ٧٩ ـ اللالا؛ ٨٠ ـ خضير؛ ٨١ ـ الديني؛ ٨٢ ـ العجو؛ ٨٣ ـ المجروح؛ ٨٤ ـ غنيم؛ ٨٥ ـ حمّو؛ ٨٦ ـ عز؛ ٨٧ ـ زبارة؛ ٨٨ ـ أبو الزلف؛ ٨٩ ـ اللولو؛ ٩٠ ـ الشلة؛ ٩١ ـ الزغلول؛ ٩٢ ـ غربية؛ ٩٣ ـ القيح؛ ٩٤ ـ العشيبي؛ ٩٥ ـ الملك؛ ٩٦ ـ الزمر؛ ٩٧ ـ الحاج عرب؛ ٩٨ ـ إسطفان؛ ٩٩ ـ العويسي؛ ١٠٠ ـ أبو مشرف؛ ١٠١ ـ برغال؛ ١٠٢ ـ عصفور؛ ١٠٣ ـ الزحلان؛ ١٠٤ ـ أبو سماحة؛ ١٠٥ ـ بطشون؛ ١٠٦ ـ الزهران؛ ١٠٧ ـ الفحل، الدراويش؛ ١٠٨ ـ أرديس؛

١٠٩ ـ الشامية؛ ١١٠ ـ وهبة؛ ١١١ ـ صرصور؛ ١١٢ ـ حجير؛ ١١٣ ـ حمام؛ ١١٤ ـ ثابت؛ ١١٥ ـ الحسن؛ ١١٦ ـ الحاج حمودة؛ ١١٧ ـ شاهين؛ ١١٨ ـ أبو اللوز؛ ١١٩ ـ الحداد؛ ١٢٠ ـ أبو رداحة؛ ١٢١ ـ عرموش؛ ١٢٢ ـ ديدح؛ ١٢٣ ـ دقماق؛ ١٢٤ ـ جروان؛ ١٢٥ ـ أبو حليمة؛ ١٢٦ ـ العطعوط، جهشان؛ ١٢٧ ـ الدبسي؛ ١٢٨ ـ أبو خليفة؛ ١٢٩ ـ الفران؛ ١٣٠ ـ القدومي؛ ١٣١ ـ رجب؛ ١٣٢ ـ أبو حوسة؛ ١٣٣ ـ المتولي؛ ١٣٤ ـ عواد؛ ١٣٥ ـ أبو زر؛ ١٣٦ ـ ضرفا؛ ١٣٧ ـ العالم؛ ١٣٨ ـ النابلسية؛ ١٣٩ ـ العكش؛ ١٤٠ ـ الحافي؛ ١٤١ ـ أبو حطب؛ ١٤٢ ـ شحيط؛ ١٤٣ ـ أحميدة؛ ١٤٤ ـ بدران؛ ١٤٥ ـ الكيلاني؛ ١٤٦ ـ أبو عدس؛ ١٤٧ ـ عرفان؛ ١٤٨ ـ فراج؛ ١٤٩ ـ البيك؛ ١٥٠ ـ المقدسي؛ ١٥١ ـ أبو ستة؛ ١٥٢ ـ سعد؛ ١٥٣ ـ الدلو؛ ١٥٤ ـ حمبوز؛ ١٥٥ ـ أبو صويج؛ ١٥٦ ـ الصوص؛ ١٥٧ ـ البيطار؛ ١٥٨ ـ أبو حامدة؛ ١٥٩ ـ البواب؛ ١٦٠ ـ العرايشي؛ ١٦١ ـ الجلخ؛ ١٦٢ ـ أبو خديجة؛ ١٦٣ ـ مصلح؛ ١٦٤ ـ البرغوث؛ ١٦٥ ـ عابدة؛ ١٦٦ ـ صلاح؛ ١٦٧ ـ أبو الهدى؛ ١٦٨ ـ الرفاتي؛ ١٦٩ ـ الفيومي؛ ١٧٠ ـ عفانة؛ ١٧١ ـ خضر؛ ١٧٢ ـ الشامي؛ ١٧٣ ـ جرار؛ ١٧٤ ـ شهوان؛ ١٧٥ ـ البوري؛ ١٧٦ ـ دباكة؛ ١٧٧ ـ فاخوري؛ ١٧٨ ـ أبو جبة؛ ١٧٨ ـ أبو هندي؛ ١٧٩ ـ السلطي؛ ١٨٠ ـ البيجاوي؛ ١٨١ ـ الجمل؛ ١٨٢ ـ الغندور؛ ١٨٣ ـ الباسل (الحاج نمر)؛ ١٨٤ ـ خرشد؛ ١٨٥ ـ توتنجي؛ ١٨٦ ـ الجدي؛ ١٨٧ ـ عبد القادر؛ ١٨٨ ـ الخاطر؛ ١٨٩ ـ أبو النادي؛ ١٩٠ ـ القسيس؛ ١٩١ ـ أبو الروس؛ ١٩٢ ـ الروم؛ ١٩٣ ـ القطان؛ ١٩٤ ـ القيس؛ ١٩٥ ـ حناوي؛ ١٩٦ ـ القاسم؛ ١٩٧ ـ الترك؛ ١٩٨ ـ السعودي؛ ١٩٩ ـ الرزاز؛ ٢٠٠ ـ حمزة؛ ٢٠١ ـ خرينو؛ ٢٠٢ ـ أبو مريم؛ ٢٠٣ ـ الربعي؛ ٢٠٤ ـ أبو شنب؛ ٢٠٥ ـ كركر؛ ٢٠٦ ـ أبو منه؛ ٢٠٧ ـ أبو طالب؛ ٢٠٨ ـ خرمه.

أمّا العائلات الكبيرة والتي كان لها تأثير في مجرى الأمور في المدينة فهي:

١) **الكيالي (الناجي)**: عائلة كبيرة العدد كانت تعمل في التجارة والزراعة والأعمال الحرة الأُخرى. كان أول رئيس بلدية في اللد من هذه العائلة، وهو **محمد علي الكيالي (الناجي)**، كما كان **محمد علي الناجي الكيالي**، آخر

رئيس للمجلس البلدي حتى عام النكبة. وهناك قول دارج بين سكان المدينة وهو أن أول رئيس بلدية في اللد، محمد علي الكيالي (الناجي) وآخر رئيس محمد علي الكيالي، ويقولون أيضاً، بدأت بمحمد علي الكيالي وانتهت بمحمد علي الكيالي.

٢) **الشيخ قاسم**: عائلة كبيرة العدد تعمل في الزراعة وفي الأعمال الحرة. وكان **الشيخ قاسم** مؤسس هذه العائلة، ذا تأثير كبير في سكان المدينة، إذ كان حكمه بينهم نافذاً وخصوصاً في العهد العثماني.

٣) **حسونة**: عائلة كبيرة تعمل في الزراعة، وكان لها أراضٍ واسعة، قسم منها كان وقفاً ذرياً، وكانت هذه العائلة متكتلة ومتضامنة بعضها مع بعض تحت زعامة **مبروك حسونة** المشهور بـ **«أبو رجب»** وكان منها رئيس اللجنة القومية. أطلق بعض سكان المدينة على العائلة اسم **الحجة**، نسبة إلى جدة العائلة، وكانت تدعى ست إخوتها. كان لهذه العائلة تأثير في مجرى الأمور في المدينة.[١]

٤) **الصالحي**: عائلة كبيرة العدد تتفرع منها عدة عائلات، يتفاخرون بنسبهم إلى المماليك الصالحين. ويوجد لهم في اللد مقام ولي اسمه «الصالحي». يعمل أفرادها في التجارة والزراعة.

٥) **الحبش**: عائلة مسيحية محترمة بين مسيحيي اللد ومسلميها. كان لها أراضٍ زراعية كبيرة. بالإضافة إلى ذلك، كان عدد من أفرادها يعمل في التجارة وعدد آخر في الوظائف الحكومية وكان لها نشاط فعال في الحياة الاجتماعية.

٦) **المنيّر (رزق)**: عائلة مسيحية محترمة، نشيطة في الحياة الاجتماعية في المدينة وهي كبيرة العدد، ومؤثرة في مجرى الأمور فيها. عمل ثلاثة من رجالها في المجهود الدفاعي عن المدينة في إبّان حرب ١٩٤٨. امتلكت أراضي واسعة في المدينة. وعمل بعض أفرادها بالتجارة والبعض الآخر في الوظائف البلدية

---

(١) كان مبروك حسونة (أبو رجب رئيس هذه العائلة) ذا نفوذ كبير في مجريات الأمور في المدينة، إذ كان أعيان المدينة ورؤساؤها يستشيرونه في الأزمات ويعملون برأيه. كما تم اختيار شحادة حسونة سكرتير اللجنة القومية في اللد والتي كانت كأنها حكومة المدينة في إبّان حرب ١٩٤٨، وتقوم بالدفاع عنها. ومن أعضائها أيضاً الشيخ حسن حسونة الذي كان، في حرب ١٩٤٨، نائباً لرئيس لجنة الدفاع عن مدينة يافا. العارف، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٢٢٦.

والحكومية، وكان لها مصنع لصنع البلاط للمنازل والحوانيت.

٧) **الهنيدي**: عائلة ثرية محترمة، وكان لها رأي فيما يجري في المدينة. تملك أراضي، وعمل أبناؤها في التجارة والوظائف البلدية والحكومية. اغتيل أخوان اثنان من هذه العائلة في أثناء ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩، بحجة أنهما وافقا على مشروع التقسيم البريطاني لفلسطين.

٨) **دهمش**: عائلة ثرية لها أراض واسعة سهلية ومشجرة، اشتهرت بعميدها **خليل دهمش**، الذي قام ببناء مسجد واسع مع مئذنته العالية على نفقته الخاصة. كما بنى عدة حوانيت وأوقفها على الجامع المذكور لتُصرف على سدنته. بالإضافة إلى ذلك، قام ببناء غرفة واسعة على نفقته الخاصة من أجل اجتماعات اللجنة المسؤولة عن الجامع وإمام المسجد وخطيبه. وهي عائلة محترمة لكنها ليست كبيرة العدد.

٩) **العلمي**: عائلة محترمة ومعروفة، تمتلك عقارات في المدينة. عملت في التجارة والزراعة والأعمال الحرة، وهي ليست عائلة كبيرة، فهي فرع من عائلة العلمي التي تقطن بالقدس. كان شمس الدين العلمي، عضواً في اللجنة القومية للمدينة خلال ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨.

١٠ ـ **الكرزون**: عائلة محترمة وثرية في المدينة، عمل أفرادها في التجارة. من الجدير بالذكر أن اثنين من رجال هذه العائلة الصغيرة تقلدا منصب رئيس بلدية اللد: **الأول**، الحاج علي الكرزون الذي قتل في أثناء صلاته في جامع دهمش، بحجة موافقته على التقسيم البريطاني لفلسطين؛ الثاني، نجله عزت الكرزون.

١١) **الحلتة**: عائلة ثرية امتلكت عقارات وأراضي زراعية واسعة. عمل أفرادها في الزراعة والتجارة، وكانت نشيطة في حياة المدينة التجارية والاجتماعية. كان أحد رجالاتها، الياس حلتة عضواً في اللجنة القومية في المدينة خلال ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨.

١٢) **المهتدي**: عائلة محترمة وثرية امتلكت عقارات وأراضي زراعية. عمل أفرادها في الزراعة والتجارة. كان أحد رجالاتها شاكر المهتدي عضواً في اللجنة القومية في المدينة خلال ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨.

١٣) **الرنتيسي**: عائلة كبيرة ونشيطة في الحياة التجارية في المدينة.

اشتهرت بتجارة زيت الزيتون، ولها مصنع لصنع الصابون (مصبنة) في المدينة. وتضم هذه العائلة عائلة عازار وعائلة البشر، وهما فرعان منها.

١٤) **عائلة أبو كويك**: عائلة كبيرة، كان لها أراضٍ زراعية. عمل أفرادها في الزراعة وكان لها عدد من بيوت البلد لاستخراج زيت الزيتون، وكذلك معصرة سمسم لاستخراج مادة الطحينة وزيت السمسم (زيت السيرج)، الذي يستعمل للقلي.

ملحق رقم ٢

الأولياء والمقامات

يوجد في كثير من المدن والقرى الفلسطينية مقامات لأولياء من صحابة الرسول الكريم (ص). لكن يوجد في اللد عدد أكبر من المقامات من غيرها من الأماكن. ربما يعود ذلك إلى سجن عدد من الصحابة، عند صاحب جند فلسطين، الذي كان مقره الإداري والعسكري في المدينة، كرهائن ريثما يعود معاوية بن أبي سفيان من حروبه في صفّين. وعندما فروا من السجن لحق بهم صاحب جند فلسطين ودارت بينهما معركة قتل فيها جميع الفارين ومنهم عدد من الصحابة ودفنوا في المدينة. وفيما يلي قائمة بأسمائهم وأماكن مدافنهم التي أصبحت مقامات.

١) **مقام النبي مقداد**: يقع شرقي المدينة على شارع الشرقية المتوجه من المدينة ويستمر شرقاً عن طريق بن شيمن في بلوك ٤٠١٧، ويسميه البعض مقام سيدنا مقداد. إن مقداد هذا لم يكن نبيّاً، إنما كان من صحابة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ويقال إنه استشهد شرقي المدينة، ولعله استشهد في المعركة التي وقعت شرقي المدينة سنة ٣٦هـ بين صاحب جند فلسطين وبين قاتلي الخليفة عثمان بن عفان، رضي الله عنه، الذين كانوا تحت قيادة والي مصر حينها، محمد بن أبي حذيفة، عند هربهم من سجن اللد. فتبعهم صاحب جند فلسطين، وجرت بينهم معركة قُتل خلالها الوالي وجميع من كان معه. وكان المقداد رجلاً صالحاً وخيّراً يساعد الفقراء والمحتاجين والغرباء، وكان الناس يقدمون عطاياهم ونذورهم لهذا المقام الذي يوجد فيه ضريح سيدنا المقداد.(١)

٢) **عبد الرحمٰن بن عوف**: من صحابة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، يقع مقامه في الجهة الشرقية من المدينة شرقي الشارع المتوجه من اللد إلى

---

(١) جاء في سيرة سلمان الفارسي أنه هو وأبو ذر الغفاري والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر كانوا أول أربعة من الصحابة شايعوا عليّاً. راجع: شكري عراف، «طبقات الأنبياء والأولياء الصالحين في الأرض المقدسة»، ج ٢، ص ٢٤٩.

القرى الشرقية، قرب منازل آل حسونة، وتحيط أراضيهم بمقامه، الملاصق لمقبرة آل حسونة. وهم القيمون على المقام ويهتمون به.

هذا ما يقوله آل حسونة وأهل البلد عن هذا المقام. أمّا ما جاء في موسوعة «بلادنا فلسطين» فهو «إن ما يقال من أن عبد الرحمٰن بن عوف مدفون في جوار اللد هو وهم. والحقيقة أنه عبد الرحمٰن بن عديس.»[٢] فابن عوف توفي في المدينة المنورة سنة ٣٢هـ/٦٥٢م، أي قبل مقتل سميّه بأربع سنوات.[٣]

٣) مقام سلمان الفارسي: يقع هذا المقام شرقي الحي الشرقي في المدينة، في بلوك ٣٩٧٣، ومكانه في حوطة، وإلى الغرب منه ساحة فيها قبور.

وسلمان الفارسي هو من أوائل الصحابة، أصله من مجوس إيران (فارس). قصد بلاد العرب ودخل المدينة المنورة، ولما علم بخبر الإسلام قصد النبي (صلى الله عليه وسلم) وأعلن إسلامه، وهو الذي أشار على المسلمين بحفر الخندق في غزوة الأحزاب. عمّر سلمان الفارسي طويلاً، وتوفي سنة ٣٦هـ/ ٦٥٦م في المدائن بالعراق وقيل إنه كان أمير المدائن، وأنه دُفن في القرية المسماة باسمه سليمان باك. كان سلمان الفارسي من أول أربعة شايعوا عليّاً (كرم الله وجهه) وهم: سلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر والمقداد بن الأسود. جاء تشيّعه لعلي لأنه كان فارسياً وأسلم، وكان يشعر بأنه غريب في هذه البيئة، وبأن مقامه لا يكون إلا مع النبي (صلى الله عليه وسلم) وأقرب الناس إليه (علي). كان اسمه الفارسي روزه بن خشنود أومابه.[٤]

سماه الرسول سلماناً بعد أن كان اسمه روزه، وأعتقه من عبودية سيده اليهودي في المدينة، وقد سموه أيام الرسول سلمان المحمدي. وقالت فيه عائشة: «كان لسلمان مجلس مع الرسول (صلى الله عليه وسلم) ينفرد به في الليل، حتى كان يغلبنا على رسول الله (صلى الله عليه وسلم).»[٥]

---

(٢) هو عبد الرحمٰن بن عديس بن عمرو، أبو محمد البلوي، صحب النبي (ص) وسمع منه وبايعه تحت الشجرة سنة ٦هـ (٦٢٧م). شهد فتح مصر وكان من الفرسان.

(٣) الدباغ، مصدر سبق ذكره، ج ٤، ص ٤٦٨.

(٤) عراف، مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٢٤٩.

(٥) عبد الله السبيتي، «سلمان الفارسي»، ص ٤٩.

٤) **مقام النبي كردوشة**: يقع إلى الغرب من مقام سلمان الفارسي.

٥) **مقام محمد الجسر أبو الهدى**: يقع مقامه في مقبرة، وإلى جانب قبره يوجد بئر ماء، ومقامه وقبره في حوطة وفيها عقد من دون سقف وسط البلد، وجاء في موسوعة «بلادنا فلسطين»، أنه «أبو الأحوال، وهو متصوف من أعيان طرابلس، ولد في طرابلس الشام وجاور بالأزهر نحو ١٣ سنة، له نظم وتعليقات على بعض كتب اللغة والأدب، لم تُجمع.»[٦]

٦) **مقام عويدات**: يقع شرقي الجامع العمري القديم، هُدم سقفه في زلزال سنة ١٩٢٧، واستعمل سنة ١٩٣٨ في إبان الثورة مقراً لقيادتها في اللد.

٧) **مقام النبي شمعون**: يقع وسط البلد إلى الغرب من خان الحلو، في سوق الخضروات الحالي.

٨) **مقام محمد الفلاح**: يقع شرقي المدينة وحوله مقبرة، خدمه آل ملك.

٩) **مقام محمد الصالحي**: مقامه مهدوم حالياً، ومنه كانت تخرج زفّة تحمل ثوباً شتوياً (كسوة) لمقام النبي صالح الموجود بالرملة، يوم عيد النبي صالح في كل عام.

١٠) **مقام أحمد الصالحي**: مهدوم حالياً.

١١) **مغارة الأربعين**: فهل هؤلاء الأربعون هم الذين تسببوا بتسمية إحدى المغاور بمغارة الأربعين في اللد؟[٧] تقع هذه المغارة غربي الساحة الشرقية على مرتفع في هذه المنطقة. كانت مسرحاً لمعركة دارت بين صاحب جند فلسطين وابن أبي حذيفة وجماعته عند هروبهم من السجن في أثناء فتنة عثمان بن عفان (رضي الله عنه).

١٢) **حسين العلمي**: «ولي من أولياء الله نزيل اللد، وآل العلمي من السادة الأشراف في المغرب، نزلت القدس واستقرّت فيها، ومنهم جماعة استوطنت اللد وغزة.»[٨]

١٣ ـ **مقام الشيخ صالح النقيب**: يقع شمالي الجامع الكبير ويبعد عنه

---

(٦) الدباغ، مصدر سبق ذكره، ج ٤، ص ٤٧٤، ٤٧٥.

(٧) عراف، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١٠٣.

(٨) الدباغ، مصدر سبق ذكره، ج ٤، ص ٤٧٣.

نحو ١٥٠ متراً. كان يستعمل مسجداً ومدرسة، كما استُعمل مقبرة للأطفال لاعتقادهم أن الأطفال طاهرون، ويجب دفنهم في مكان خاص (بحسب قول عبد الحميد النقيب، وهو من أهالي اللد القدامى).

١٤) **مقام سعد وسعيد:** مقامهما في مقبرة، وقد هدم. ومما يذكر أنه يوجد عدة مقامات أُخرى في أماكن أُخرى في فلسطين تحمل الاسم نفسه. وجاء في كتاب «طبقات الأنبياء والأولياء الصالحين في الأرض المقدسة» لشكري عراف، أن سعد إنما هو سعد بن أبي وقاص وسعيد هو سعيد بن زيد وهما من الصحابة. ويقول البعض إنهما من العشرة المبشرين بالجنة، والمبشرون العشرة هم: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وعبد الرحمٰن بن عوف، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، وطلحة بن عبيدالله التيمي (طلحة الخير)، وسعد وسعيد المذكوران.(٩)

١٥) **مقام يعقوب العجمي:** يقع هذا المقام شرقي المدينة. فهل هو يعقوب المقطع؟

١٦) **مقام النبي دنون:** يسميه البعض «سيدنا دنون المصري» أو «ذو النون»، ويقع هذا المقام جنوبي المسجد الكبير في المدينة.

إن الكثير من تلك المقامات لا وجود لها حالياً، فقد هُدمت بعد الحرب واحتلال المدينة على أيدي القوات الإسرائيلية سنة ١٩٤٨. ومما يجدر ذكره، أن لجنة الأمناء الإسلامية للأوقاف، هي لجنة تعينها وزارة الأديان، ومن مهماتها إدارة تلك الأوقاف مثل: المساجد والمقابر ومقامات الأولياء، نيابة عن وزارة الأديان وبتوكيل منها.

---

(٩) عراف، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٢٤٨.

ملحق رقم ٣
القديس جاورجيوس

ولد القديس جاورجيوس سنة ٢٧٥م من والدين مسيحيين. كان أبوه من مقاطعة كبودوكية في آسيا الصغرى والتي تسمى اليوم تركيا. أمّا والدته فكانت مسيحية من سكان اللد. قتل والده وهو لا يزال صبياً بسبب إيمانه بالسيد المسيح، فتركت والدته مع ابنها وطن زوجها ورجعت إلى اللد وطنها الأصلي. كان جاورجيوس صبياً ذكياً بهي الطلعة وشجاعاً. وعندما أصبح فتىً يافعاً التحق بالجيش الروماني وانتقل مع فرقته إلى مدينة نيقوميديا في آسيا الصغرى وتدعى اليوم مدينة إزمير والبعض يلفظها إزميل. وعندما رأى قادته شجاعته ورباطة جأشه وبهاء طلعته ووجدوا فيه العلم والمعرفة والذكاء، أخذ يترقى في سلك الجندية شيئاً فشيئاً حتى وصل إلى درجة قائد كبير ونُقل إلى الحرس الإمبراطوري، كما نال عدة أوسمة رفيعة. لذلك رفعه الإمبراطور الروماني ديوقليتيانُس إلى أعلى درجات القيادة في فرق الحرس الإمبراطوري نظراً إلى شجاعته الفائقة التي أبداها في حروبه ضد الفرس.

وكثيراً ما كان القديس جاورجيوس يساعد الفقراء والمحتاجين وينصر الضعفاء والمظلومين، ويشفي المرضى.

في سنة ٣٠٣م،[١] أصدر الإمبراطور الروماني ديوقليتيانُس أمراً باضطهاد المسيحيين لأن الدين المسيحي يخالف دين الإمبراطورية الرومانية الرسمي؛ أي الوثنية. لكن القائد المسيحي الكبير الشجاع لم يخف وتمسك بمسيحيته على الرغم من كل الضغوطات والتهديدات التي مارسها عليه الإمبراطور. وكان حينها يبلغ الثامنة والعشرين من عمره. وقد حاول أصدقاؤه ومعارفه إقناعه بالتظاهر بترك دينه كي ينجو من غضب الإمبراطور وعذابه له، لكنه أصرّ وفضل العذاب والمعاناة الشديدة التي كانت تفرض على جميع المسيحيين حتى يتنصلوا من مسيحيتهم. وفي هذه الأثناء تلقى نبأ وفاة والدته، فحزن وبكى كثيراً.

---

(١) جورج إقديلا، «سيرة القديس جيورجيوس اللابس الظفر» (رام الله، ١٩٩٠).

على الرغم من أن الإمبراطور ديوقليتيانُس كان يحب ويقدر قائد حرسه فقد أمر بتعذيبه حتى يتنكر لمسيحيته أو يموت من العذاب.

وفعلاً فارق القديس جاورجيوس الحياة وهو مسيحي مؤمن. وبحسب وصيته لأصدقائه نقل جثمانه إلى مدينة اللد ودفن هناك.

في الكتب الدينية المسيحية وخصوصاً كتب الكنيسة الأرثوذكسية نجد قصة القديس مع التنين وابنة الملك. وهي أنه بينما كان يجول على ظهر جواده وصل إلى مشارف المدينة،[٢] وإذ به يشاهد ابنة ملك المدينة تقف وحيدة على شاطىء البحر وهي تلبس أجمل ثيابها وأحلى زينتها من الجواهر واللؤلؤ. استغرب كثيراً فسألها ما بالها تقف في هذا المكان وحدها؟ فسردت عليه قصة التنين، وهي «أن تنيناً هائلاً يظهر على الشاطىء ويفترس كل من يصادفه من حيوان أو إنسان. ولإبعاد هذا الخطر عن السكان، أمر الملك بتقديم نعجتين لهذا التنين يفترسهما ويرجع من حيث أتى، وعندما لم يبقَ في المدينة نعاج، أمر الملك بإرسال أحد سكان المدينة يتم اختياره بالقرعة. وبعد فترة وقعت القرعة على ابنة الملك، وكان سكان المدينة يصرخون قائلين: «يا ملك دورك دورك قدّم بنتك، هذا دستورك.» وفجأة ظهر التنين على الشاطىء فاعتلى القديس حصانه بسرعة وهاجم التنين وعاجله بضربة قوية من رمحه الطويل استقرت في حلقه. وهكذا، قتل التنين وأراح الناس من شره ورجعت الأميرة سالمة إلى أهلها، فهرع الملك وسكان المدينة يحيون القديس جاورجيوس فرحين مسرورين بهذا البطل المغوار الذي أراحهم من هذا الشر. وقد انتشر هذا الخبر سريعاً في أنحاء الإمبراطورية الرومانية.

منذ ذلك الوقت، أصبح الجميع يقدس ويحيي ذكراه في الكنائس والصلوات. انتشر صيته في جميع أنحاء العالم حتى إن الملك إدوارد الثالث أصدر أمراً باعتبار القديس شفيعاً وحامياً لإنكلترا.

كما اتخذت الإمبراطورية النمساوية الهنغارية أيضاً من القديس جاورجيوس شفيعاً وحامياً لها. وكان وسام القديس جاورجيوس أرفع وسام يقدمه قياصرة روسيا لكبار قادتهم العسكريين. ويوجد حالياً مئات الكنائس في العالم تحمل اسمه. لكن الكنيسة الأصلية هي كنيسة القديس جاروجيوس الأرثوذكسية في اللد التي دفن جثمان القديس في المغارة التي تحتها وأصبحت مزاراً لجميع المسيحيين في البلاد وخارجها حيث يقدمون نذورهم. من الجدير بالذكر أن

(٢) يُعتقد أنها مدينة بيروت.

بعض عظام جثمان القديس محفوظة في علبة فضية موجودة في الهيكل.

عندما تُوج الإمبراطور قسطنطين وآمن بالسيد المسيح وأصبح أول إمبراطور روماني مسيحي، رفع الاضطهاد عن المسيحيين وألغى جميع القيود الجائرة التي فرضها عليهم الإمبراطور السابق وجعل الدين المسيحي دين الدولة الرسمي. بعدها زار البلاد برفقة والدته هيلانة التي آمنت، قبله، بالله وبيسوع المسيح وأمر ببناء كنيسة القيامة في القدس، حيث دفن السيد المسيح، كما أمر ببناء كنيسة المهد في بيت لحم فوق المغارة التي ولد فيها السيد المسيح. وببناء كنيسة القديس جاورجيوس في اللد، وكان ذلك في الفترة ٣٠٥ ـ ٣٣٧. ومنذ ذلك الوقت تقام صلوات خاصة إحياءً لذكرى القديس بتاريخ ١٦ تشرين الثاني/نوفمبر من كل عام يترأسها غبطة بطريرك القدس للروم الأرثوذكس ويحضرها آلاف المصلين والزائرين من جميع أنحاء البلاد ومن خارجها أيضاً. ويحضرها كذلك سفراء وقناصل الدول الأجنبية ورئيس بلدية المدينة. وحالياً يحضر الاحتفال أيضاً عدة فرق كشفية من اللد والمدن المجاورة بطبولها وموسيقاها، الأمر الذي يعطي هذه المناسبة جوّاً من الفرح والسعادة تسر الزائرين. وفي سنة ١٩٤٥، وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية جرت صلاة مهيبة ترأسها غبطة بطريرك القدس للروس الأرثوذكس يرافقه عدد كبير من الكهنة ورجال الدين وعدد كبير من ضباط الجيش البريطاني وحلفائهم.

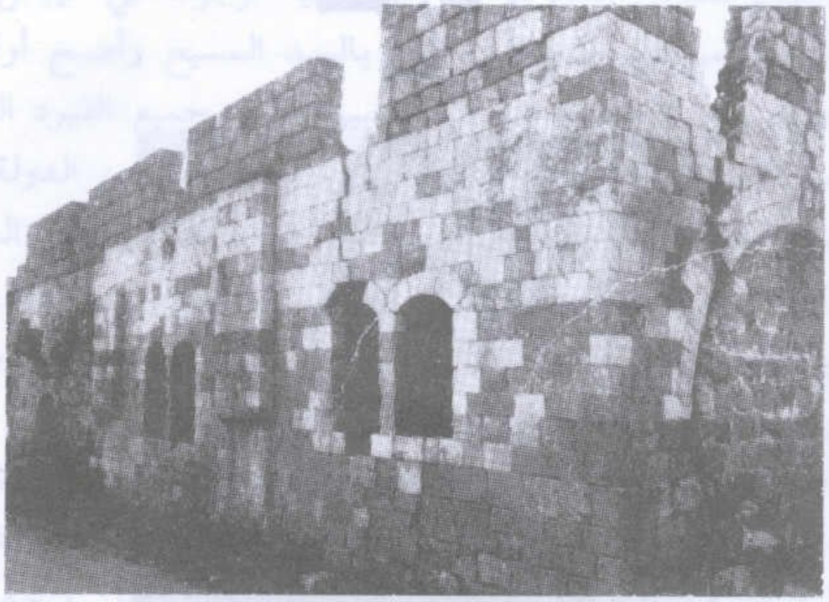
ملحق رقم ٤
صور



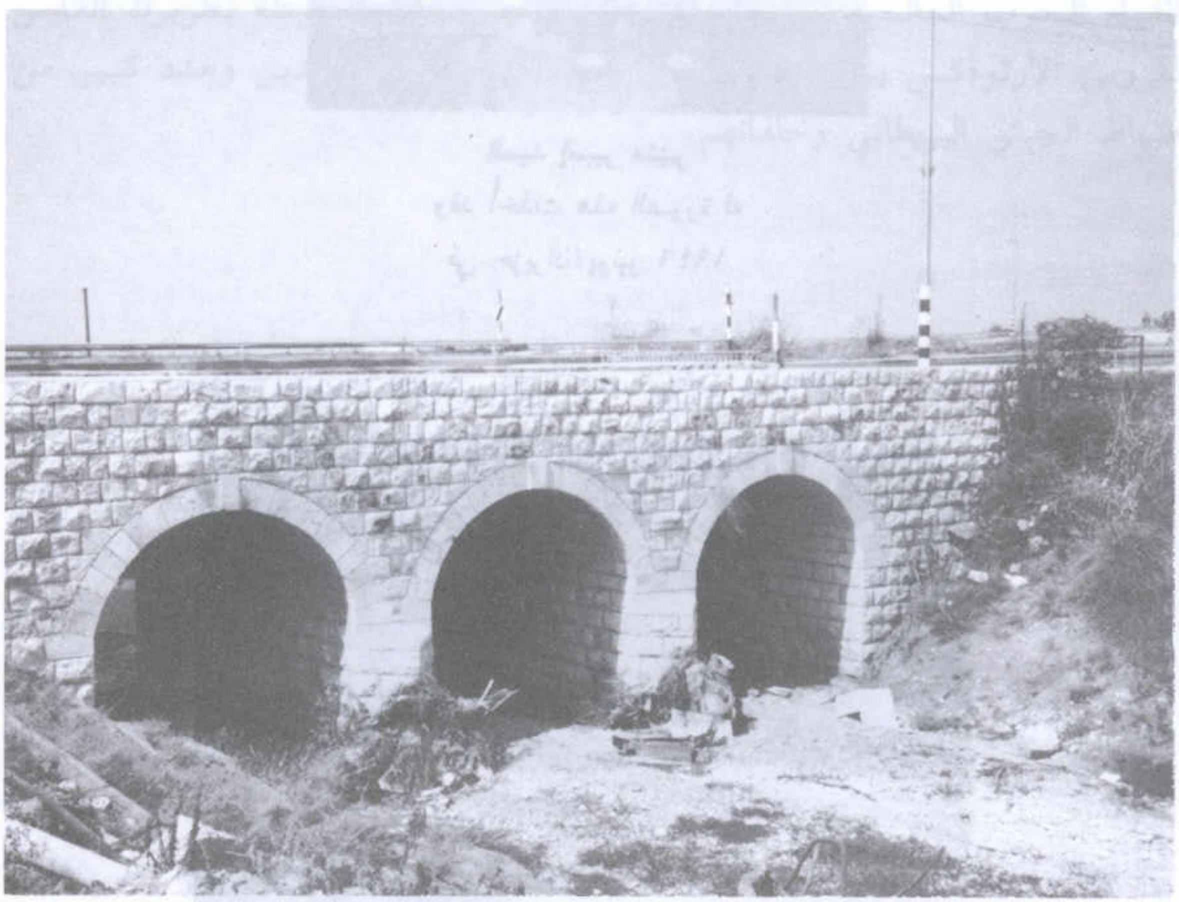
السيد إسبير منيّر
وقد أُخذت هذه الصورة له
في حزيران/يونيو ١٩٤٦



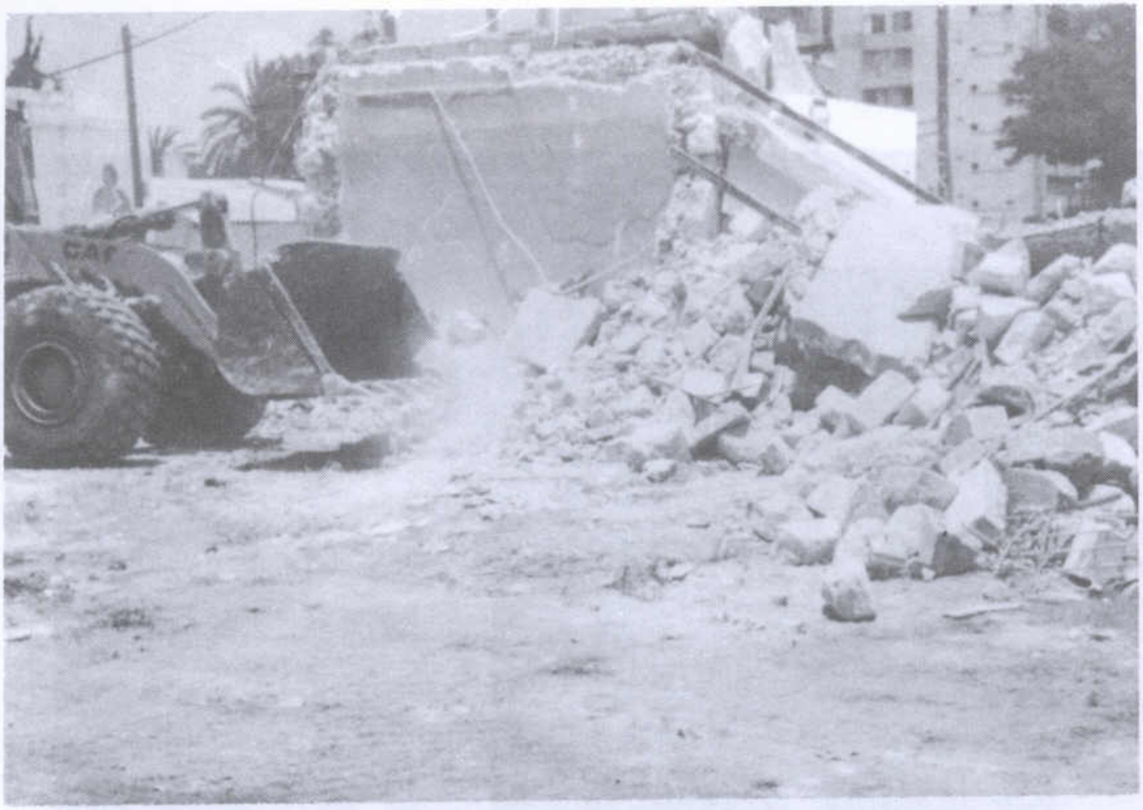
بقايا مصبنة قديمة



بقايا مصبنة قديمة أخرى



جسر الوادي الشرقي على طريق اللد ـ بن شيمن والقرى العربية المجاورة





منازل هدمت في أثناء المعارك ويجري إزاحة أنقاضها